خنادق تحت القاهرة
عبد الباقي المغربي

- سكرة الموت-

فى يوم خريفى من أيام نوفمبر ومع دقات ساعة الجامعة الرابعة بعد العصر وقف قطار الأنفاق في محطة الجامعة وانفتحت أبواب عربة الرجال وهبطت منها فتاة ما يسترها إلا قليلا من الملابس الشفافة الواصفة وكانت عبارة عن بلوزة بيضاء نصفها الأعلى قماشة شفافة مقسمة تقسيم شبكى مجسمة على جسدها والجونلة مثلها من النوع الإسترتش وبذات اللون سميكة القماش وأدق فى تحديد الجسد ترتفع عن منتصف الساق والتى تلبسهم وجهها عظمى قليل اللحم ملامحه جامدة لا تنبىء عن حسن أو جمال صدرها مرتفع منصوب النهدين حشرتهما حشرا فى البلوزة عودها نحيف أوسطه مقوس مشدود داخل الجيبة ذات قدمين طويليتين عليها شراب لحمى يدراى بعضا من آثار الشعر تليها جذمة زجاجية كعبها طويل كأنه مثقوب أسفله وراح الكل يحملق فيها ونزل وراءها بعض راكبى القطار مما كانوا فى نفس العربة وكأنها أرهقتهم جميعا فصارو كجمع كلاب خلف أنثاهم والبعض راح يتحسر وآخرون ءاتون غيروا إتجاهاهم وساروا خلفها وسيدات كأنهن رجال شابقة فرزن جسدها علوا وصعودا يمينا ويسارا وأفرادا يلعنون الأيام بلسانهم الناطق أو كف أيديهم تتمايل في صعودها درجات السلم كثر الذين تبعوها حتى من أتى ليستقل قطار الأنفاق راح يتبعها برجليه أو بناظريه وتعبر الممر العلوي المؤدى للجامعة ثم تتهادى متراقصة بأجزاء جسدها المشدود على درجات السلم الخارجي وفى نهايته عبرت ممشى صغير وكان الزحام شديدا حيث الباب الخلفي للجامعة ،والطالبات تحاولن جهدا الإسراع بالدخول للحاق بمحاضرتهن والحرس يسحقهن ترتيبا وتنظيما الكل تصنم أمام هذه القادمة ثم تلقى التحية بأطراف شفاهها وكبير حرس البوابة يجيب مسرعا بالتحية وحار السلام ويتمنى عليها التفضل بالدخول من جواره فتدخل ويصحبها حتى آخر الطريق وأول المبنى الجامعى وتذوب الكلمات فى شفاه الطالبات سائلات : من هي؟ ....ومن تكون..؟ وكيف تدخل هكذا ..؟وإن كانت مفاتنها المصطنعة تجيب كل متسائل !!!! ويأتي الرد من أحدهم بأنها الفنانة الإستعراضية"نانى "التي أتت للمشاركة في المهرجان الثقافي الفني بالجامعة ! واحتفال الجامعة المرموقة هذا يأتى بمناسبتين الأولى نصر أكتوبر والثانية بداية العام الدراسى واستقبال الطلاب الجدد ...وما عدم الجمع من متحذلق يصف عبقريتها وإبداعها المتميز ودورها الرائد في الفن والإبداع !!!!ويستبين الرأي العام وقتئذ من هذا "الشاطر" أنها أشهر مغنية إستعراضات على مسارح الملاهى التي يغص بها مجتمع العاصمة " والحسرة والندامة ملأت عيون ووجنات الواقفات خارجا حتى لتكاد تغرق فيها كتبهن وتركن منطرحات أمام البوابة الجامعية ويفاجئهن أحدهم بأنها كانت ملتحقة بهذه الجامعة بكلية الإعلام إلا أنها طردت منها لإنتقالها إلى الفرقة الثانية بطريق مشبوه إذ أنها كانت راسبة بخمس مواد إلا أن أحد الأساتذة تدخل وأنجحها مقابل ليلة خاصة قضاها معها .....وعندما تكشف الأمر فى بداية العام الذى يليه طردت معه ثم انتقلا للجامعة الجديدة التى استقطبت طلاب وطالبات المدارس التى تعتمد اللغة الفرنسية كلغة أولى مثل "مدرسة البنات الدولية الحديثة للغات" وتوأمتها للبنين واللتين كانتا مدرسة واحدة فارتأت إدارتها تقسيمها لجزئين مجاراة للحالة العامة التى تعيشها الدولة يومئذ وصار هذا الاستاذ مديرا لأعمالها ثم اختلسها منه أحد مديرى الفضائيات الجديدة بخبرته السابقة كأشهر مخرج إعلانات فى مصر وأنتج لها الكثير من الأغانى والرقصات وتدخل الفنانة الإستعراضية فى أبهة وحشد من شباب الجامعة إلى أن تصل إلى رئيس قسم الأدب

الفرنسي وعميد كلية الآداب مسيو "إيساف "فيهش ويبش من مكتبه لإستقبالها ويترك مساعديه وطلبته الذين كان بإجتماع معهم ويصبغ قبلات على خديها وشفاهها ويبدى سعادته لحضورها المبكر عن ميعاد الحفل حتى يمكنه أن يجلس معها قليلا فتخبره أنها كانت بمدرسة البنات الدولية الحديثة لإلقاء التحية على مديرتها وبعض الأساتذة وتخبره أن مديرتها تبعث إليه بأحر التحيات واسترسلت فى عرض جولتها بالمدرسة وذكّرته بعضا من أيام المدرسة وقتما كان مدرسا بها وهى طالبة.

ثم أخذت تسرد له جولتها بالمدرسة وقد توسعت المدرسة عما كانت عليه وقت إلتحاقها بها وكذلك عن مدة إشتغاله هناك فقد أصبحت المدرسة أكثر إتساعا بعد أن ضمت إليها المساحات الخالية حولها بالتخصيص المباشر من الحكومة بعد القضايا العديدة التى كانت بين إدارة المدرسة وأصحاب الفيلات القديمة التى كانت فى الجهة اليمنى منها وأخذت منهم نصف مساحات الحدائق الخاصة والطريق الواصل بينها بحجة أنها فى الأصل أرض خصصت لأسر انقطعت صلاتهم بها بعدما هاجروا لأوربا وكذلك الجهة الأمامية التى كانت فضاء ومخزنا لشركة الصناعات المصرية الحديثة فتنازلت لهم عنها الحكومة بلا مقابل أما الجهة اليسرى فكانت بها المبانى القديمة للمدرسة وهى عبارة عن خمسة أدوار علوية مبنية من ثلاث جهات والجهة الرابعة مفتوحة على حوش المدرسة كانت جراجا لسيارات نقل الطلبة أو الخاصة بالمعلمين ووسطها كانت أرضية طابور الصباح وفاجئته بأنها التقت عددا من المدرسات القدامى اللاتى كنا يعاقبنها كثيرا ويعنفنها وكيف أصبحت المدرسة وتحولهن جميعا إلى حالة مختلفة بعدما أصبحت بها قاعة رقص باليه ورقص شرقى حلت محل الجراج والذى نقل إلى خارج المدرسة مكان حدائق الفلل المحيطة وأمامها أقيم حمام سباحة بديلا عن كشك الإذاعة وطابور الصباح الذين نقلا إلى الجهة الأمامية والتى بني بها ثلاث مبانى متراصة كرقم ١١١ ويربط بينها ممشيات علوية بالدور الثالث عند طرفيها وعلى الأرض بين المبانى الثلاث حدائق تحتوى على أشجار وشجيرات متنوعة تتخللها مقاعد متقابلة أو أرجوحات وفى أسفل المبنى الأول وهو مغلق لا يدخل إليه إلا من سلم داخلى بالدور العلوى من المبنى المقابل قاعة للجمنازيوم ثم قاعات للدروس بالأدوار التالية إلا الخامس ففيه حجرة بها قبة صغيرة ومجسمين لمنظار وتلسكوب والمبنى الثانى به معامل كيمياء وهو مفتوح من الجانبين ويدخل إليه من خلالها عبر ممر بالحديقتين أعلاه قاعات دراسية وآخرها بالخامس تتواجد به خزانات للمياه ووحدة طاقة شمسية أما المبنى الثالث ففيه وحدة الأحياء ومتحف بشرى مصغر به مجسمات بلاستيكية وجلدية لأعضاء حيوانية وبشرية ثم أضيفت إليه حديثا أجزاء تناسلية جلدية ذكورية وأنثوية للشرح عليها وإن كان يسمح بإقتنائها لمن ترغب بجانب معمل يشابه معامل التحاليل الطبية وهذا الطابق له مدخل ومخرج ممتدين من ممشيات الدور الثالث فيمران بالدور الرابع والمتواجد به قاعة استقبال ومركز تشريح مبسط أما أسفله فتتواجد إستراحة للمعلمين تحتوى خمس غرف مزدوجة الأسرة وعشر منفردة وصالتين كبيرتين إحداهما مخصصة للطعام وأخرى للتدخين والمشروبات بينما حجرات الإخصائيين والإدارة المدرسية فتتواجد فى المبنى الجديد على يمين الداخل من بوابة المدرسة وهو عبارة عن صفين من الغرف المتقابلة وفى الثانى تتواجد حجرات الحراسة المزودة بشاشات مراقبة لجنبات المدرسة الداخلية والخارجية وعلى الأسوار، بجانبها ثلاث غرف نوم لستة من أفراد الحراسة وهم أربعة رجال وامرأتين وهو مغلق بحديد صلب وبوابة مصمتة لها نفس لون

حوائط المبنى فلا يلحظه أحد من الصاعدين للدور الثالث المتواجد به غرف الإدارة وهى عبارة عن ثلاث حجرات متداخلة آخرها غرفة مديرة المدرسة وبدايتها حجرة سكرتارية الإدارة وشئون الطالبات تليها حجرة مجلس الإدارة وهى مخصصة لإجتماعات مجلس أمناء المدرسة ولها بابين أحدهما جانبى على طرقة الدور والثانى من مكتب المديرة أما اجتماعات هيئة التدريس فتتم عبر شبكة فيديو كونفرس ممتد لكل حجرات المدرسين عبر المبانى الخمسةوالدور الأرضى مخصص للفراشين وأدواتهم وهو مفتوح فقط من ناحية المبنى الثلاثى ،والمبنى القديم به قاعات للطعام بالدور الأول ملحق بها المطابخ ثم دواليب مثبتة بالحوائط لحاجيات الطالبات بالثانى يليها قاعات المسرح والغناء بالدور الثالث وبالناحية الأخرى ثلاث قاعات لغوية مجهزة بأجهزة استماع وميكروفانات ثم قاعتين للسينما إحداهما مجسمة ثلاثية الأبعاد أما الرابع والخامس على الجانبين فخصصا للمبيت للراغبات من طالبات ومدرسات إذ أن المدرسة تعمل بالنظام المزدوج داخلى وخارجى للدراسة وفى هذا اليوم كان لدي طالبات الصف الثالث درسا فى الأحياء و ميس "بركسام" مدرسة المادة طلبت منهم بحث عملى كمشروع تخرج وقد رافقتهم مع شقيقتها الصغرى الملتحقة بذات الصف الدراسى عندما دخلن على مدرس حجرته تخاطبه إحداهن بعدما أبدى رغبته فى المساعدة بإيماءة من رأسه وكيف أخبروه بأن لديهم مشروع تخرج عن الوراثة والتكاثر وأن الميس طلبت بحث تطبيقى فى الموضوع وتسأل الاستاذ وقتها: عما يحتاجونه وظن أنهم يرغبون فى مراجع بحثية أو دوريات علمية ؟؟..فابتسمن وراحت إحداهن تجيبه ولكنها تطوعت هى للرد - فلاحظ إختلاف زيها وعمرها فأخبرته أنها متجهه لحفل الجامعة وأنها تخرجت من المدرسة من بضعة سنوات ماضية وجاءت لمرافقة شقيقتها الطالبة ودعوة –انسجنستز- المدرسة وأعضائها لحفلها الجامعى الأول وعرفته على شقيقتها التى أخبرته بأن الموضوع بخصوص الحيوانات المنوية وتركيبها –ثم أخذت تقهقه عاليا على ما بدر منه فقد ترنحت رأس المدرس للخلف ووقفت عيناه ونظر إليهن جميعا واستغرب مدى اللهفة والإنتظار فى وجوههن وهز رأسه مستفسرا عن المقصود بالضبط وأن طالبة رفعت كوبا صغيرا فى وجهه"وخاطبته: أنهن بحاجة لأخذ عينة بسيطة وكيف تندى جبينه عرقا وسأل ماذا تقصد بالعينة ؟فسارعت أخرى منطلقة إلى وسطه ورافعة رمشها وحاجبيها ونزلت بجسدها وأجابته:

-إنها عينة من منى حضرتك وأردفت أخرى أن كل مجموعة اختارت كائن من الكائنات للبحث عن دورة حياته وطرق تكاثره وأساليب التزاوج بينهم وكيفية إنجاب أفراد جدد وأنهن أخترن ذكور البشر كمثال تطبيقى وأنهن مررن بكل المدرسين الذين رحبوا بالفكرة والموضوع وتعاونوا معهم فى إعطاء عينات ذكورية وأنه الوحيد المتبقى من هيئة المدرسين وهنا استعجب البروفسور"إيساف "وأزبد وتمنى لو أنه كان هناك ومازال موظفا بالمدرسة وأبدى إعجابه الشديد بتطور المدرسة إلى هذا الحد وتذكر هذا المعلم جيدا وقدح فيه كثيرا إذ تصادم معه فى عدة نزاعات قبيل تركه المدرسة بشهور وكان قد أتى مستجدا على هيئة التدريس لسد نقص فى أعضاء اللغة العربية التى لم يكونوا يهتموا بها لولا إلحاح الحكومة المصرية ووزارة التعليم بضرورة تدريسها بالمدارس الدولية والخاصة وأخذت تسرد كيف وجم المدرس وتصنم وشرد فذكرته الطالبات بآخر إجتماع مع المديرة وتوجيهاتها بأن يتعاون الجميع معا وتطبيق تعليماتها وتوبيخه شخصيا أمام المجتمعين لتقاعصه عن إنقاذ طالبة فى صالة الجمنيزيوم أثناء النشاط الرياضى بعدما استنجدت به الطالبات عند إنحشار إحدى ساقيها بين تروس عجلة السرعة وتوهانها أثناء محاولته

إخراجها والتصاقها به طالبة منه السلاسة فى تحريك قدمها بطريقة مثيرة ومبالغ فيها لم تعجبه فتركها لزميلاتها اللاتى تقدمن بشكوى ضده للمديرة بحجة عدم مساعدتهن فى هذا الحادث وتجمهر عدد من أمهاتهن بعد ذلك عندها بسبب هذا الأسلوب من التعامل مع بناتهن وفى مقدمتهم والدتها" مدام سوسو " نائبة الروتلينز العربى- وتوجيهات المديرة بأن يكون متفتح وينسى التقاليد البالية وأنه فى المدينة الجديدة وليس أقاصى الصعيد وعليه أن يعايش العصر وأسلوب الحياة الحديثة -وهنا اقترب منها وهم جلوس فى مكتبه بالحرم الجامعى وكسر رمش عينه ووضع يدا خلف ظهرها وأخرى فوق بطنهاوخاطبها بأنه لو كان ساعتها فى المدرسة كان قد فعل معهن ما ينبغى وأكثر وضحكت وربتت على فخذه المجاور لها مذكرة إياه أنه قام بذلك سلفا وأكثر مما ينبغى وأخذا يتذكران كثيرا من لياليها وتمنى عليها ليلة من تلك الليالى ووعدته بواحدة بعد المهرجان ولكن استعجلها بأن الوقت مازال بعيدا فلاطفته وهدأت من شهوته وأعطته بعض القبلات وأكملت له قصة المعلم الذى أخذ حقيبته وهرول خارجا فتبعنه مصرّات على أخذ العينة ونظرن لبعضهن بعين الفشل ثم حوطنه كعساكر الأمن وأنفك هاربا منهن وتركوا خلفه"نهى" شقيقتها لتحصل على العينة وذهبن يتفحصن العينات ودفعنها للإسراع خلفه واللحاق به فتبعته ورافقتها حتى التقتا على درجات السلم المديرة "مدام بسنت " فبادرتها ملحة عليها بإقناعه بمساعدتهن وأخبرتها أن مسيو " برى-وهكذا كانوا ينادونه بالمدرسة بدلا من "عبدالبارى" استاذ اللغة العربية كاسم ثقيل على ألسنتهم – يرفض التعاون معهم وبنظرة تأنيب على تكرار أفعاله مع هزة حدقيها نهرته المديرة وأعادت توبيخه وتأنيبه!بعدما أخذت نانى مرة ثانية فى أحضانها بعدما سلمت عليها عند وصولها للمدرسة وسمحت لها بالتجوال داخلها والتفتت إلى الأخرى تستفسر ما الذى تريده من مسيو برى

– فأخبرتها عن مشروع التخرج المخصص للوراثة والتكاثر والعينات الذكورية لبعض الحيوانات وأن مجموعتها بحثهن عن الإنسان "فاستوقفت الاستاذ عبدالبارى وهو مكفهر الوجه مستشاط من الغيظ " وبإيجاب ومباركة وتهلل وجهها مرددة

-بيان بيان موضوع جميل وبإشارة من إصبع يدها اليمنى أنها تريد أن تطلع أولا بأول على نتيجة مشروع بحثهن والتفتت إليه مرة أخرى راجية منه أن يساعدهن ثم تحولت بجسدها إلى السلم بعد أن وصلها صوت أحدهم يطلبها وإذ به فراش المدرسة بثيابه الجديدة قميص كاروهات وبنطالا أصفر وكرافتة لبنية ووجها أسمر شاحب تعلوه تجاعيد الزمن وآثار شارب حلق حديثا وشعرا مدهونا وواصلت حديثها مع نهى وأرشدتها بأن تذهب لبقية هيئة التدريس "الإنسجنستز"فردت عليها أنهن أخذن عينة من الكل وقاطعتها فى دهشة واستغراب :

- توت لا لموند فردت :

-" وى مدام "

وواجهتها مسائلة لها حتى أونكل "ألى" وهو لا يسمعهم من شدة التعب ووقف لإلتقاط نفسه على سور السلم

-" نو مدام " أونكل "ألى" نو

- بركواه ؟ هو مش راجل ولا حاجة تانية " مع ابتسامة خبيثة " فأمرتها بترك مسيو برى وأشارت لها بأخذ "على" فراش المدرسة .

فدعته إليها :

- توت بيسنت بور ألى وعلت ضحكاتها عندما رد بأنه يفهم أنهن يردن عينة دم وبتدلل رخيص وغمزة عين نافية أن يكون دما وأنهن سيأخذن شيئا آخر فأبدى استغرابا مصطنعا ثم أردف أنه موافق ولا يمانع "وكأنه فهم تماما المقصود متذكرا تلصصه عما فعلته الطالبات مع الاساتذة وتبسمت نهى وشقيقتها والمديرة ودفعت إليه بأنبوب إسطوانى ومد يده ليأخذه وأنه سيأتى به مملوء بعد دقيقة فرفضت بلفظ نووو كبيرة وممتدة وأخبرته أنها لابد أن تأخذ العينة بنفسها فأطرق للأرض ثم ألقى نظرة للاستاذ برى والمديرة التى أومأت إليه بالقبول ثم أمسكت بيده وسحبته مطالبة بأن يذهب معها وأخذته إلى إحدى الزوايا وطالبته بالثبات وعدم التحرك بينما الاستاذ فغر فاهه ،ونظره اتسع ،وحاجبيه انضغطا فوق بعضهما غير مصدق ما يرى وتمد يدها للمديرة بكاميرا صغيرة أخرجتها من بين جيبتها القصيرة والبلوزة الشفافة الضيقة راجية منها التصوير وتناولتها المديرة وجلست على نصف قدميها وفتحت سوستة البنطال وأخرجت مستودع الحيونات المنوية والفراش لا تخفى على وجهه علامات البهجة والرغبة ولسانه يدور داخل فمه وبالجهاز الصغير إسطوانى الشكل وضعته به وبضغطة صغيرة على جانبه بدأ العمل وتوجهت "نانى " للاستاذ تدعوه لحفلتها فتلاشاها وصاح مستنكرا ومتأففا نازلا درجات السلم وأخذ يلعن ويرغى بكثير من الكلمات سمعوا منها تقريعا وشتما لما آلت إليه أمور الدولة وهيئتها التعليمية التربوية وكأن أحباله الصوتية تمزقت فلم يعد ينطق بكلمة وتهادى فتخبط على السلالم مترنحا ونظرت إليه وخاطبت مديرتها مستفسرة عن غضبه فهى لم تألف رجال كمثله فأخبرتها أنه مازال على وضعه منذ جاء سابقا وقالت

- أنه قفل صعيدى-وطالبتهن بعدم الإهتمام به وأعطتها الكاميرا وأكدت عليهن بأن تأتين إليها بنتيجة البحث بالتفصيل مع ابتسامة أنثوية خبيثة جدا وحاجبين قد ارتفعا وانخفضا لغة الإناث الخبيرات..

- فأجابتها "وى مدام" ثم أخذت "نانى" ممسكة بها من أسفل خصرها وربتت عليه قليلا وذهبت بها إلى مكتبها وأنهت الأخرى حاجتها وابتسمت وهى تقف على قدميها بعدما حصلت على مطلوبها وشكرت العامل :

-" مرسى أونكل ألى" فداعب بيده اليسرى خصلات شعرها وبنظرة خاصة أبدى استعداده للخدمة الدائمة وفى أى وقت فحركت إصبعها السبابة أمام عينيه وأن ذلك كل شىء ولا يظن أن يكون هناك أكثر من ذلك وابتسمت وحركت يدها اليمنى فردا وضما بالسلام له وفى آخر النهار تجمعن لدى المديرة مع مس المادة "مدام بركس " كما أصبحت تحب أن يناديها الجميع بالمدرسة ومعهن أوراق بنتيجة فحوصاتهن وأعطوها للمديرة وبدأت تفحصها بسرعة " وتخاطبهم وهى مستغرقة بالأوراق طالبة منهن تقييما سريعا لما حصلوا عليه من نتيجة البحث فقالت إحداهن أنه أولا اتضح لهن أن على الفرّاش أكثرهم خصوبة فردت المديرة "باستغراب تشوبه ابتسامة"

- " ألى باس بوسيبيل !ثم أردفت

- وثانيا : وقبل أن تسترسل الطالبات فى قراءة ملخص بحثهم دخل عليهن الاستاذ/ بودى"علاء سابقا "وخاطبهن بسؤال عن عدم إخباره بنتيجة المشروع العلمى لهن وهنا التقى مجددا بـ"نانى"وعانقها وقبلها فردت نهى:

- أنه لا يوجد مثله فى المدرسة وهنا رمقتها أختها وداعبتها بأنها قد أصبحا صديقين جدا فرد سريعا بأنها تفكره بها فأخذت ترسل خصلات شعرها يمينا ويسارا مؤكدة كعالمة بشخصه أنه لن تسلم منه طالبة بالمدرسة وفجأة صاحت المديرة طالبة نتيجة فحصه خاصة أنها لم تجدها وهى تقلب فى الصفحات يمينا ويسارا " وهنا قررت نانى المغادرة فأخذت تعانقهم وتقبلهم حتى أخذتها المديرة بأحضانها وقبلتها على وجنتيها وثالثة من فمها بينما عانقت بودى بعينيها وألقت إليه قبلة هوائية فبادلها مثلها ثم انسلت من بينهم وغادرت المدرسة متجهة للجامعة فسارعت طالبة تخبرها أنهن محتفظات بها فتسأل المديرة :

- بركوا !!

فردت نهى أنهن ستحتجنها فى الموضوع الأشهر بالمدرسة فتذكرته المديرة بعدما ثوانى تفكير أنه موضوع فيفى وخاطبته مسائلة له ومؤنبة على عدم حسمه حتى هذه اللحظة فكان رده أنه أنهى المشكلة مع أهلها وأنهم سعدوا لما علموا بالأمر ولم يهتموا بأثاره لأنه كان سببا فى قبول تأشيرة سفرهم لباريس وأنه تقرر سفرهم قريبا وقد ضمنوا الجنسية الفرانكفونية وجلس على الكرسى باسترخاء مادا قدميه وتطلع للبنات بنظرات خاصة وهن بادلنه وإحداهن ترسل شعرها خلفها وأخرى تفرق بينهن أمام عينيها والأخريات يحركنه بكفوفهن من أعلى والمديرة ترقبهم وتوجهت إليه بالكلام شاكة أن يكون هناك تطورات مماثلة مع فتاة أخرى فنفى لها قاطعا وعدا بأنه لن يكرر ذلك مع أى طالبة داخل المدرسة لعدم مخالفة سياسة الوزارة أو تعليمات الدولة فهذه المؤسسة على أراضيها وإن كانت ضمن ممتلكات القنصلية ، إلا إذا كانت رغبة الفتاة وأهلها وهنا يرقب الفتيات بعين وبالأخرى للمديرة مع ابتسامات عريضة منهن

وأفهم المديرة أنه لم يجبر فتاة من قبل على الترفيه معه وممارسة الحب :أما مشكلة "فيف" الوحيدة أنها لم تكن بلغت السادسة عشرة وحملت من علاقتها معه وحاول هو إسقاطها فأعطاها حبوبا لذلك مما كاد أن يميتها وهى ابنة لإحدى المنتسبات للمؤسسة الفرانكفونية ووالدها عضو بالجامعة الأوربية بمصر وهما منفتحان جدا على الثقافة الجنسية الأوربية فلم يحاسبنه أو ابنتهما على ممارسة الحب بهذه السن وإنما طريقة التخلص من الجنين واللذين استطاعا استماره للحصول على الجنسية الذهبية لابنتهما ولهما

-وذكّر المديرة بأن لديها خبرة سابقة بأسلوبه فى ذلك وكل من التحقت بالمدرسة تأتى راغبة فى ذلك ووجه كلامه للبنات " ونظرن لبعضهن بلغة يفهمنها ورددن:

- بأنه أخطبوط المدرسة التى لن تستطيع واحدة الإفلات من حبائله فتأكدت أنه قد جعلهن تابعات له " وقبل أن يسترسل وبصوت خافت ناعم خاطبته بأن كل ذلك حرية شخصية تكفلها قوانين الدول المؤسسة لمثل تلكم المدارس ولكنها شدّدت عليه بألا تكون بالإجبار والإستغلال القهرى وألا تتم إذاعتها ونشرها على الملء فعليهم رقابة من الوزارة والحكومة ولا تريد لنفسها الدخول فى صراعات معهما بعد التحقيقات الأخيرة التى حدثت إثر تسريب فيديو الرقص الإباحى الذى رعته معلمة الأنشطة الفنية وقلب الدنيا داخل المؤسسات التعليمية والنيابية رأسا على عقب .ثم أمرت الطالبات بالإنصراف وأغلقت الملف وأعطته لهن

وخاطبنها:-أروفوار مدام ، أبينتو" موجهات كلامهن له "

-ثم نادت على نهى وتوجهت له بالسؤال عما فعله بموضوعهم الخاص "فهز كتفيه وحرك رأسه معبرا بلا شيء حيث أنها لم تأتى إليه وطالبها بالتأكد من نهى فنظرت لها نظرة عتاب "فأجابتها مسرعة بأنها سوف يتما الأمر هذه الليلة فقد التقت بالأمس صافى وسهرتا واتفقتا ، ووضّحت لها أن يكون الأمر كأنه من دون علمها وأوصته بها وإنجاز الأمر فوعدها بأن يكون ودودا ولطيفا معها ويفعل المطلوب كما يجب أن يكون وأنها فى عينيه
" فرددت نهى فى نفسها:
- ماشى يا عم بودى ثم ذكرته بحفلة الجامعة فرد عليها بأن مسيو إيساف قد دعاه كما فعلت نانى ذلك قبل أن تغادرفداعبته أنها تلميذته المفضلة فنفى ذلك عنه وأنها كانت كذلك بالنسبة لمسيو إيساف قبل أن تتم التوصية له بالعمل بالجامعة العريقة ضمن اشتراطات هيئة المعونة الدولية للشراكة معها فى تحسين ترتيبها الدولى ضمن جامعات العالم التى تقيّمها بعدما فشلت فى ذلك على مدى خمس سنوات.
وصافى تلك هى ابنة المديرة من زوجها السابق -أحد مطورى المناهج بالتعليم لمنطقة الشرق الأوسط ضمن مؤسسة الثقافة العالمية -وتطلقا بعدما رفض إنفلاتها منذ التحقت بإتحاد منظمة الروتليز وتعودها على الأسلوب الغربى حتى فوجىء بها ذات ليلة مع إحدى عضوات تلك المنظمات فى غرفة نومهما فقرر وقتها طلاقها وأخذ ابنته منها بالإتفاق على ألا يثير الفضيحة لدى عائلتها ومحيط معارفها وهى الأن ترغب فى إثبات -فشله برعاية ابنته- عن طريق إغواءها ومن جهة ثانية إذا حدث ذلك وأخذت ابنتها اتفاقا أو بالمحكمة تصبح لديها الحجة والوسيلة التى تمكن لها الحصول على إحدى الجنسيات الأوربية عن طريق تجنيس ابنتها ومولودها وقتئذ.
أما "علاء " فهو الإخصائى الإجتماعى الأول للمدرسة يقترب من منتصف الأربعينيات ليس بالقصير ممتلىء قليلا له كرش دائرى رأسه بجبهة ضيقة ذو شعر أسود كثيف أجرد بدون شارب أسنانه متراصة سمراء من كثرة التدخين وهو يعشق السجائر الأمريكية العادية والمخصوصة التى تعود عليها فى سهراته السرية وكان قد نقل من مدرسة بوسط العاصمة بتوصية من إحدى العاملات بالوزارة بعد إختلاطه المفرط مع بنات المدرسة الكائنة بمنطقة شعبية وإعتراض أولياء أمورهن خاصة أمهاتهن لما علمن من إيحاءاته وأفعاله لبناتهن وكانت تلك المسئولة بالوزارة من اللاتى سافرن كثيرا ضمن مشروع تطوير التعليم أوائل الألفية الثانية إلى فرنسا وبريطانيا وأمريكا واستخرجت لها تأشيرة خاصة بالإتحاد الأوربى بعدما تحولت إليه من هيئة الدعم الأمريكى وصار لها نفوذا بالوزارة التعليمية وهى صديقة لأمه التى كانت مديرة إحدى الدور الخاصة لرعاية وتنشئة الأطفال التى كان لها ترخيص كحضانة خاصة تعتمد المنهج الأمريكى وتقع بحى راقى بالعاصمة ثم اتجهت للتجارة وافتتحت سلسة محلات أزياء نسائية حديثة أما زوجها ووالده فكان يعمل بديوان وزارة الفنون الوطنية ضمن مكتب الوزير الأسبق وهو فى الأصل كان راقص باليه ثم تولى الثقافة الشعبية ونقل للوزارة بعد حادثة إحتراق أحد مسارحها وموت كل من كان به حرقا بعدما أستغل سلطته فحوّل أموال الصيانة والترميم المقررة لتلكم المسارح والثقافة الشعبية واستخدمها فى عمل ورش تدريبية فنية وهمية ....ولهذا الابن شقيقتين إحداهما تعيش مع زوجها صاحب ملهى ليلى بأقصرية التركية والأخرى استقرت فى روما مع شاب أوربى تعرفت عليه من إحدى الفرق الراقصة التى كانت تتبادل الزيارات مع والدها أثناء سفرياته ضمن بعثات الفرق الوطنية الراقصة وفور انتقاله للمدرسة الدولية اختلط من

فوره بمسيو إيساف وهو ابن زواج مختلط فأمه فرنسية كانت تعمل فى بعثة آثار التحقت بها فور تخرجها من إحدى كليات باريس ولأنها تجيد العربية عن والدتها التى عملت مترجمة بالسفارة بعدة دول عربية أما والدها فتذكر دائما أن أمها أخبرتها أنه عربى وإن كانت ملامحها تنبأ عن غير ذلك أما والده هو فمتمصر عن أم إنجليزية كانت تعمل ممرضة بالمملكة المصرية التقى بالأم فى باريس إذ التحق بنفس كليتها ضمن بعثة أرسلتها مصر ضمن زيارة مومياء الملك رمسيس فبقى هناك بحجة دراسة علم المصريات وإن كان ممن سهل تجنيدهم أواخر السبعينيات ضمن مجموعات الأثريين أو منتسبى وزارة الفنون وملامحه تبدو غريبة تماما فعيناه زراقاوان وشعر رأسه ناعم أشقر وذقنه رفيع والشىء الوحيد من والده هو لكنته المصرية وعمل فترة بالسفارة ثم ألحق بالمدرسة الدولية لتدريس الفرنسية وظل بها حتى نقل للجامعة ضمن خطتها للتطوير بعدما أفتضح أمرها عند عدم إدراجها ضمن ال٥٠٠ جامعة الأفضل بالعالم فكانت وسيلتها عبر إنشاء مواقع إنترنت باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية وإلحاق عدد من المدرسين ذوى الميول الغربية للتدريس بالجامعة فى عدة تخصصات أشهرها اللغات والتاريخ وعلوم الإجتماع والتربية وكذلك إقامة مهرجانات ثقافية فنية متعددة يدعى لها عدد من فنانى العالم مختلفى المشارب وتسجيلها وعرضها على مواقعها الإلكترونية ومنح درجات دكتوارة فخرية لبعضهم وبعض أقرانهم فى الداخل ضمن خطة التواصل مع المجتمع المحيط حتى وصل مسيو إيساف لمنصب رئيس قسم الدراسات الغربية خلال سنتين من إلحاقه بها كاستاذ زائر ثم تثبيته ضمن رؤساء الأقسام ولكنها فى نفس السنوات لم تخرج عالما واحدا أو تدرج بحثا علميا حقيقيا ضمن الدوريات العلمية وهى التى كانت تفتخر بكثرة الأبحاث العلمية رغم أن غالبيتها كان يلقى على أرفف المكتبات أو داخل أدراج المسئولين ومع ذلك كانت مبعث فخر للدولة والهيئة العلمية ولكنها لم تدرج بأية سلسلة قوائم ابتكرتها بعض الدول والمنظمات لعدم نشر هذه الأبحاث أمّا الآن بعد هذا التطوير الشكلى أدرجت فى ذيل اثنتين من تلكم القوائم وانتشى رئيسها وعمداء كلياتها بهذا الإنجاز وإن كان سبب وجعا وألما فى قلوب علماء الجامعة السابقين وباحثيها الحاليين ولكن لا يهم ما دامت حققت المطلوب وليس ذى بال الوسيلة .

وفى خارج المدرسة يستقبل الاستاذ عبدالبارى ابن عمه " أسعد سعيد" ويجده مكفهر الوجه فيسأله عن السبب ويجيبه بأن دعى الله أن يسامحه بعد أن جاء به إلى هذه المدرسة ورد عليه بأنه ما كان يمكن أن يتركه وقد تم إيقافه عن العمل بالمدرسة الثانوية الأشهر بالعاصمة بسببه ثم طالبه ألا يشغل باله بها فلها عنده جولة بعد أن تكشفت أمورها أمامه ولكن بعد أن ينتهى مما هو فيه فيسآئله عما هو فيه ويخبره عما أتى به فى هذه اللحظات ويخبره بنبأ ابن عمهما .

أرض الحلال

تحرك "أسعد سعيد" النائب البرلمانى للدفاع عن ابن عمه الذى أخذ بحجة الإشتباه فى تورطه بقضية سلاح ومخدرات من خلال حملة شرطية قامت بإحاطة البلدة بإدعاء القضاء على مجموعة مسلحة تزرع وتهرب المخدرات وتم إقتحام بيت ابن العم الذى سحب على الأرض من ذراعيه ثم أقتيد إلى مكان غير معلوم وأذاعوا خبرا أنه حبس لقضية مخدرات وتجارة أسلحة وتخابر مع جهات أجنبية لذلك فهو بيد الأمن الجمهوري وتم ضرب حصار حول النجع وحدث ذات يوم أن خرجت أخت ابن العم "عامرة" حاملة سلاحا صغيرا عبارة عن "فرد ذو ثلاث طلقات " كان قد جلبه شقيقها الأصغر ذو السبعة عشرة عاما من أحد أفراد الأمن بعد أن باعه له بثمن باهظ وهو الذى أخذه من حرز إحدى القضايا بعدما رفض ضابط مباحث البندر إثباته بمحضر الضبط ووضع مكانه بندقية نصف آلية لكى يستحق عليها المكافأة وربما الترقية وتصبح قضية دسمة محبوكة وذات جدوى أمنية خاصة أن المضبوطين تجار بانجو فأخذته وقتها منه وأخفته وتقدمت فى جسارة لمواجهة جمهرة المحاصرين متجهة إلى الضابط وقد التفوا حولها وحاوطوها وسط إندهاشهم وتفاجأهم وهى تمرق وسطهم حتى تصل إليه وقد اعتدل قليلا فوق كرسيه الخشبى المنمق تحت المظلة المزركشة وأدارت حوارا سريعا شجاعا لبقا ..ألقت فيه أسئلة وأجابت بنفسها دون أن يرد عليها إلا أنه أخذ يتفحصها تفحصا شاملاويتقدم إليها من يسارها ضابطا ثانيا كان مشعلا سيجارة بفمه واقترب منها وأمسك السيجارة بيسراه ووضع يمناه على خصرها من خلف يمينها فتفادتها ملقية عليه بصقة.. ومثلها إلى من تحادثه الذى مازحها مبتسما ومتزحزحا إلى الخلف حتى وصل إلى السيارة فيتقدم آخرون نحوها بعد أن فهموا الإشارة ويسلبون منها سلاحها ثم يضيقوا الخناق حولها ويبدأ مشعل السيجارة الإمساك بها من أعلاها جاذبها نحوه فاستشاطت غضبا وخوفا لما أدركت مرادهم وكأنها الفريسة التى وقعت وسط الذئاب ويسيطرون على يديها فتحاول الإفلات منهم ويجرجرونها إلى إحدى سياراتهم والضابط الأعلى رتبة أخذ يشعل سيجارة قدمها له المدخن وهما يبتسمان وقدماها تحفران الأرض ويداها تضربهم بلا جدوى وصرخاتها تتعالى فقد كان الذئاب يلقون بها داخل السيارة التى ملئت بنساء عائلاتها وأخريات اللاتى بادرنها بأكياك نائحات لاثمات لها على خروجها من مخبأها وما ترد عليهم وتلحظ فى سيارة مجاورة جارتها وقد سيطر عليها بعض المجندين ويحاول أحدهم إنتزاع خمرها ورفع جلبابها والعبث بثدييها بعد أن كموا فمها وإذ تنشق الأرض عن " أسعد وعبدالبارى" وخلفهما أفواجا مدججين بالعصى والشوم والفؤس شبانا وكبارا وصبيانا من قريتهم وما جاورها فذهبوا يفكّون أسراهم واتجه بشبّانه للضابط الذى كان مسترخيا داخل سيارته يستنشق دخانه وفوجىء بهم للحظة وبعض حرسه استعدوا وقد شدوا أجزاء الأسلحة فيشير إليهم بالتوقف " وتقع السيجارة من فمه " وقد أخذته رعشة ما إن نظر فى وجه أسعد وبدت خواطره تشرد وحاول إبتلاع ريقه بدون أن يلحظونه مستديرا عنهم بوجهه وارتفعت صيحات المحررات والتفت ابن العم فيرى ابنة عمه غارقة فى دموع

حمراء وقدمين متثاقلتين وما كادت تصل بقربه حتى ارتمت عليه فتلقاها بكلتى يديه من فوق الثرى وزفر زفرات يكاد حرها يحرق ما حوله ويقبلها فوق رأسها وسط سيل من دموعها ومن نحيبهاو تخرج كلمة :

- " الحمدلله " على أنه وصل قبل فوات الأوان (وتوقف الآخرون من فجأة المشهد) ويحاول الضابط إمتلاك الموقف من جديد فيشير إليه بأخذ من تخصه وترك الباقيات بحجة أنهن تابعات لآخرين مطلوبين فى قضايا أخرى منها أمن جمهورى فلم يرد عليه أو يلقى له بالا وتوجه إليهن بتحرير الأخريات وما إن وصلن إلى جارتها فلملمت لها شعثها وسترتها بأجسادهن وأخذ يتفحص العسكر بعينين محدقتين مليئتين نارا فسحب سلاح من غمد تحت كتفه الأيسر فعدلو أسلحتهم واختبأ الضابطين وأشار كبيرهم للعسكر بعدم الإشتباك فأرسل وابلا من الرصاص فوق العساكر والسيارة التى اختبئا خلفها ثم اتجه للقرية وألقى بصاقا عليهم وعادوا مواجهين متحفزين لهم وأصبحوا مع نساءهم داخل القرية وما هى إلا بضع دقائق حتى جاء أمرا للضابط بترك الموقع فألقى بنفسه وجنوده داخل سياراتهم وانطلقوا بعيدا فى نصف لحظة. وأرض الحلال هذه إحدى قرى الصعيد التى تقع شرق النيل تضم عشرة نجوع يربطها طريق داخلى أسفلتى بالطريق الرئيسى للمركز تعتبر درة قرى المركز بها أقدم مدرسة ابتدائية شيدت عام ١٩٢٨ م على يد ابن شيخ البلدة الذى أخذ الكفاءة الأزهرية ضمن ثلاثة شبان على مستوى القرى المحيطة ممن التحقوا بالمعهد الأزهرى بعاصمة المحافظة بعد أن حفظ القرءان وتعلم القراءة والكتابة فى كتّاب القرية وبعدما عين مدرسا بالمعهد لتفوقه ،انتهز فرصة تعميم المدارس فأسس مدرسة أهلية ابتدائية بالقرية وأصبح مدرسا بها وناظرا لها وجلب لها بعضا من معلمى الوجه البحرى الذين كان يلتقيهم أثناء عمله ممن انتدبوا أو تطوعوا للعمل بمعاهد ومدارس الصعيد التى بدأت تنتشر رويدا رويدا به ويقال أنه كان يمر بها ويقيم بضعة أيام فيها أحد الرجال الذى كان يرتحل بين ربوع مصر مارا بمقامات الصالحين وآخر مرة له مر بها قادما من عند مقام العارف بالله السوهاجى متجها كعادته إلى مقام عبدالرحيم القنائى فبات عدة ليالى بها وكان كلما مكث بها يجد أهل القرية نورا يشق ظلمة ليلها خارجا من الحجرة التى خصصها له الشيخ أبوالفدا جد أسعد وما إن يسأله أحد عن حاله يقول :

- جاى من بعيد ورايح لبعيد

وفى ذات ليلة لم يخرج كعادته لمسجد القرية لصلاة الفجر فذهبوا له ووجدوه ساجدا يحفه النور فأغلقوا عليه ظنا أنه يصلى فلما تأخر خروجه فى الصباح فتحوا عليه ووجده ممدا مكفنا فشاع خبره فأتت كل النجوع العشرة فحملوه وصلّوا عليه بعد ظهرهم صلاة الجنازة وما إن هموا بحمله سبقتهم إليه الأنوار فحملته وذهبت به للمدافن ووجدوا له قبرا مفتوحا فنزل وأغلق قبره ولما أتوا له من باكر اليوم التالى وجدوا الأرض استوت على حالها وما استطاعوا له سبيلا ومنذاك اليوم أطلق عليهم أهل الحلّال فتحايلوا بالبحث عن مدفنه فلماأشقتهم الحيلة تحيروا مكانا يتوسط جميزة وشجرة نبق واللتين كأنهما ما لاحظوهما قبل ذلك وشيدوا له مقاما وصار علما لبلدتهم فلما أتت بعد بضعة سنوات رجالات الحكومة السلطانية لشق الطريق العام حددوا علامات للطريق ووضعوا قطعة قماش حمراء فوق المقام الذى توسط الطريق المرسوم ووضعوا أعلاه جريدا متقاطعا ككل مقام فى خط السير فصار كمركب اتخذها المريدون مع كسوة حريرية خضراء بدلا من تلكم الحمراء التى وضعها رجال الإدارة وصارت عصاه

التى كان يمر بها مجدافا لهذا المركب وكليم الصوف الذى كان يصلى عليه راية له وصار لديهم عيدا سنويا لهذا الشيخ الذى أطلقوا عليه "الحلّال" أى المرتحل الذى كان يحل بقريتهم كل عام ومنها أخذ اسم بلدتهم الجديد "بلد الحلّال"ومع لهجة القوم صارت "نجع الحلال" وكان من غريب الأمور أن الليالى التى اعتاد ذاك الشخص المرور بها من خلال القرية يضاء فيها مقامه من المغرب حتى الفجر وكأنه ما زال فى ترحاله جاى من بعيد ورايح لبعيد .

وتقدم " أسعد سعيد أبوالفدا " عضو المجلس النيابى باستجوابا للحكومة ووزير المتابعة الشعبية بصفته الوظيفية عما حدث وأخذ يسرد الحكاية فى مجلس الجمهورية منتقدا إتباعهم نفس أساليب الإحتلال الإنجليزى وتوابعه الملكية بالقبض على أقارب المتهمين والمشتبه بهم إرغاما لهم على تسليم أنفسهم أو الإعتراف بجرائم لم يرتكبوها وتقدم بمشروع قانون يجرم أفعال الشرطة تجاه الشعب ومعاملتهم أثناء الإشتباه بهم أو القبض علي من أتهم منهم داخل وخارج الأقسام مانعا القبض على أقارب المتهم متضمنا إرجاع شعار " الشرطة فى خدمة الشعب " كما كان بدلا من شعارهم " الشرطة والشعب فى خدمة القانون " وعلى عجل تشكلت " لجنة لتقصى الحقائق " وأعطوا رئاستها لـ" أحمد الصعيدى " صديق " أسعد" وثنائيه عن المركز وفى الجلسة ذاتها أصدر الوزير قرارا بإبعاد الضابطين المسئولين عن الواقعة وتحويلهما وعساكر الحملة للمحاكمة إن ثبتت عليهم التهم . وقطع سجون الجمهورية بلجنته غدوا ورواحا بحثا عن ابن عمه الذى اختطف فى مكيدة محكمة التدبير (بعد أن نفى له الوزير القبض عليه) اتضحت معالمها شيئا فشيئا وأن ناسجها مأمور المركز الذى يكن لابن العم حقدا بالغا لمواقفه المعاندة ووقوفه بجانب الحق مهما صغر مقام صاحبه... وكان قد حاول كثيرا تقريبه له خاصة وأنه أهم معاون لابن عمه الذى فاز لأول مرة بعضوية المجلس وانتزعها من العائلة المحتكرة لها منذ أمد الخديوية إلا أنه دائما ماوقف فى وجه تجاوزاته وأتباعه وأبناء تلك العائلة.وعاد للمجلس وسط ثائرة بعض نوابه الشرفاء المستقلين وزمرة من حزبى المعارضة والحكومة على عدم قدرته لإيجاد ابن عمه أو الوصول إليه أو معرفة أية أخبار عنه فى ربوع سجون الدولة وتحققوا من مأساة الشعب بعد عرض تقرير اللجنة خاصة تجاه ما وصفوه من مواجهة الخارجين على شرعية الدولة أو جماعات العنف وألقى ممثل الحكومة فى المجلس بيانا يشرح حقيقة الموقف ومعتذرا عن بعض التجاوزات القليلة جدا والنادرة ! داخل بعض السجون و فاجأ الجميع بمستندات وتصاريح من حرس الحدود الغربية تفيد أن ابن العم قد غادر إليها قبل ثلاثة أيام من الحملة التى شنت على قريته لضبطه وبعض الخارجين والخطرين المتهمين بحيازة كميات كبيرة تم ضبطها داخل منازلهم من المخدرات والأسلحة وكذلك أذون النيابة بضبط هولاء وإحضارهم وأظهر براءة رجالاته المكلفين بالحملة إلا أن قلة من عساكر الحملة والمجندين تم تحويلهم للمحاكمة العسكرية وإيقافهم عن العمل لما ثبت فى حقهم من أفعال اتهم بها سيادة النائب رجاله الشرفاء . وما اقتنع ثلة من أعضاء المجلس بذلك وطلبوا لجنة أخرى مكبرة وشاملة فأجيبوا لطلبهم ورحب الوزير بها فى ثقة غريبة ؟؟!

وأخيرا وسط الغيام ظهرت بعض أخبار سجن الصحراء التى اختفت عن علم الجميع إلا كبار مجرميها إذ أنه فجأة وهو يراجع مكتبة المجلس لفت نظره تقرير عن عام١٩٨١ فترة الإعتقالات الشهيرة ووجود ماسمى بـ"سجن الصحراء" ولاحظه بعض أعضاء المجلس فوصلت الأخبار إلى مكتب الوزير وفى صبيحة يوم تالى ذهب النائب واللجنة إليه وفور وصولهم استقبلهم مديرها فى حفاوة مبالغة وخبيثة ومررهم وسط العنابر والزنازين وذهلوا من رقيها ومررهم على المطبخ وميس الطعام للنزلاء ولم تفاجأهم توافر اللحوم المطهية فرائحتها الفواحة تشبع الأنوف والمساجين مصطفين بنظام دقيق جدا وكأنهم فى أفخر الفنادق بثياب السجن اللامعة ولاحظ سجينا يحاول رفع قطعة اللحم فى لهف وشغف بيدين مرتعشتين تسقطا كلما رفعها ولما تسائلوا عنه أخبرهم مدير السجن بأمراضه العديدة وأنه

دائما ما يسقط مغشيا عليه من شدتها وعندما عاتبوه على عدم إخراجه بعفو صحى أو إبقاءه بمستشفى السجن أخبرهم أن لديه أحكام تصل ل٦٠ عاما فى تهم سرقات بالإكراه وإغتصاب وأن الأطباء قرروا أن لا حاجة طبية لاستبقاءه بالمستشفى ولما سأله " أسعد"وهو يدير وجهه بين المساجين " عنها أخبره بفم مرتعش أنه لم يرتكبها وأنها سرقات صغيرة وقبل أن يفيض فى كلامه رمقه مدير السجن بطرف عينه اليسرى فتوقف لسانه ثم أخبرهم أن هذا جزاء ما كسبت يداه واستعجلهم المدير ليريهم أحوال مستشفى السجن وذهبوا معه ولم تفاجأهم إمكانيات المستشفى إذ توقعوا ذلك ولمح النائب شبحا لشيخ تدور بؤبؤ عينيه بلا توقف فدقق النظر فيه طويلا وكأنه يعرفه وحاول محادثته فما أجاب عليه وما عرفه واكملوا المسير وبقى فترة يلتفت خلفه ليسترجع ذكراه وراحوا يخرجون من الباب الآخر وقبل وصولهم لصالة استقبال الزوار التى استحدثها مدير السجن توقفت رجلاه " هاتفا :

-الشيخ "أحمد الولى" ابن الشيخ محمود الولى وانفزع المدير وعاد أسعد إليه وفرّ مأمور السجن لمكتبه وتأبطه وقبله وأمسك جسده النحيف والرجل ما يرى أحدا إلا أنه سمع صوتا خافتا يقول ابن شيخنا... فرفع يده يتحسس ذاك الشخص فأسمعه :أنا أسعد أبوالفدا يا شيخ و رمى بنفسه على صدره التى كادت تطحن من شدة ضعفها.ثم رفعه فزعا ونظر إلى بقية اللجنة وأعاد ناظريه له وهو يردد أنه ابن الشيخ الولى إمام الجامع والذى حفظ معه وعلى يديه القرءان وصمت بعض الوقت مستغربا وجوده هنا وخاطبه بسؤاله عن عدم وجوده بالأراضى الحجازية مجاورا للنبى وكان وقتها قد اختفى عندما ترك القرية منذ ثلاثين عاما وقيل أنه ذهب إلى هناك بعدما تظاهر مع الأزهريين ضد تسيس الرئيس للدين والإتيان بشيخ مخصوص للمشيخة يحابيه ويؤمن قراراته .وعيناه لاتنفك تذرف الدموع ووجه كلامه لسيادة المأمور (وبحث عنه بناظريه فلم يجده وخرج بعضهم باحثا عنه ووقف على قدميه يلحق بهم فأحس بجذبة هينة فى يده فالتفت وكان الشيخ يريد محادثته وحاول الإشارة بيده والنطق وبعد كثير من الوقت وبتهتهة وصوت خفيض مع أنفاس عميقة متحشرجة وبؤبؤ العين البارز كأنه عرفه فمد إليه كفه فما استطاع رفعه لخد " أسعد " فأنحنى رأسه قربا منه فوضعها فى كفه بعد أن قبلها وحمد الله أن جاء أحد يعيده لبلدته ثم فاجأه بأن أمره بالذهاب إلى"السوبر ماركت" فسوف يجد من يبحث عنه فاندهش مستغربا قوله ثم جاء الباحثون عن المدير فأخبروه أنه فرّ بسيارة الوزارة بعد اتصال قصير وأخبر خدّامه أنه ذاهب لمقابلة الحكمدار فى أمر عاجل وهام ثم زفر الشيخ زفرة فارق بها الحياة ووصلت جموع من وحدات القوات النظامية إلى السجن وقتما خاطب النائب وزيرها وأخبره بتبعية المكان لقواتهاالعامة وبدأت تتكشف الحقائق وكانت نذر ثورة جديدة فما رأوه إلا واجمة للزائرين وبعد جهد جهيد والقبض على أحد مديرى السجن السابقين ومؤسسيه فى نهاية السبعينيات تبين أن هذا السجن كان قاعدة للقوات تم إفراغها من وحداتها وجندها بعد إتفاقيات أمريكا وكانت أحد أهم القواعد التى تدرب عليها جنود وضباط العبور من القوات الخاصة والبرّية قبيل الحرب ودلهم على " السوبر ماركت " وإذا به عبارة عن غرف متصلة تقع أسفل السجن تكاد لا تدخلها إلا نمنمات الهواء كانت مخزنا ومخبأ لأسلحة القوات يدخل إليها من ثلاثة أبواب مختلفة أولها من الداخل ممره طويل ممتد من الحوش الواسع لمدخل السجن وعليه بوابة حديدية صماء وباب ثانى من خلف السجن له مدخل خاص

فى السور مسفلت يتسع بمقدار سيارة لورى كبيرة ينزلق لأسفل السجن وآخرها خشبى صغير بطول قامة رجل متوسط يفتح من داخل غرفة بجوار مكتب مدير السجن ثم ينزل منه بخمسين درجة ملتفة لأسفل وتلك الثكنات خصصت لأصحاب المواقف الخاصة ووجدوا بها الكثير الذين لم يعرف سببا لإختفائهم أو مكانهم واشتموا عند نزولهم رائحة الدم وأخيرا وصل لابن عمه ممضخا بدماءه على الأرض لا يستطيع فتح عينيه أو تذكر أحدا وهرع أعضاء اللجنة خارجين لا يقدرون على الإستمرار فى مشاهدة المزيد واختنقوا من روائح الدم والصديد ثم أخرج الجميع إلى حوش السجن وتكاد أرواحهم تقفز من بين الصدور فلأول مرة منذ شهور يتنسمون هواءا حقيقيا وثارت ثائرة شرفاء الأمة وانفجرت القرية والمدينة وأحرقت النقطة والمركز وانقلبت الدولة على رأسها وما فتئت الوزارة أن سالت دمائها وانفجرت غضبة أمناءها ضد قياداتها بعد أن تكشفت فظائع السوبر ماركت وألبست قضاياه ببضعة من زملاءهم .

وفاق ابن العم من غيبته وما زال الشريط الأسود يمخر فى عينيه وتقف حدقتى عينيه كجندل وسط فيضان الدموع مما رأى ،فهناك وجد من علق عاريا وكانوا يتناوبون هتك عرضه لا لذنب سوى أنه رفض أن يستمر فى عمل السخرة عند أحد كبار الوزارة فترة تجنيده وهو الشاب الجامعى خريج الهندسة الميكانيكية وابن إحدى كبار عائلات الدلتا التى بنت مجدها وترائها على العلم وحفظ القرءان وقد أغرته كثيرا زوجة القائد ودائما كانت تهىء نفسها له عندما تستدعيه لقضاء حوائجها ولكنه يأبى مطاوعتها حتى أبدى يوما الرفض للذهاب فأقسم كبير الوزارة لما علم من أمره معها وكانت قد ادعت عليه أنه تطاول عليها بالقول واللمس بأن يذيقه من كأس الذل فاستبقى بالوحدات عدة شهور تزيد عن فترة تأدية خدمته للدولة قضاها مسجونا فما إن خرج حتى لفق له سرقة مجوهرات وأجهزة اتصال أمنية وسلاح من بيته فألقى بالسجن بتوصية عذاب ووجدو آخر دقت رأسه فى الأرض وهو من شرفاء الكتاب والصحفيين الذين تصدوا لأباطرة الأراضى الصحراوية بطريق الساحل والتى حولها ملاكها لأراضى فيلات وملاهى وملاعب جولف بدلا من استصلاحها للزراعة وكان يعمل رئيسا لتحرير صحيفة مستقلة يملك بعض أسهم شركتها وكان أشهر معارضى السبعينيات وأوائل الثمانينات وهو دكتور جامعى وكاتب صحفى ونائب مستقل أذيع بين الأوساط العلمية والصحفية أنه سافر إلى"ألمانيا الغربية" بعد سلسلة استجوابات ومقالات عن مليونيرات الإنفتاح والإقتصاد العائلى الذين استولوا على القطاع العام والتعاونيات وكان آخرها مقالات عن الإرتماء فى حضن أمريكا واستقالته من المجلس إعتراضا على الركوع أمام اليهود والأمريكان وبيع دماء الجنود المصريين بأبخس الأثمان والتنازل عن النصر العظيم مقابل فتات من الدولارات غاصت بها أرصدة الحاشية وأراجوزات السلام ممن باركوا الركوع والإستسلام وكانت وقفته الكبرى يوم وقف على سلم نقابة الصحفيين مشيرا بقلمه وفى خطبة حماسية قال فيها :

"إن لم تكن بأيدينا بنادق قاتلة ومدافع هادرة فلدينا ذا القلم الحر الشريف والذى لن ترنحه فودكا الحاكم أو تغويه رائحة الغليون " وتلك كلمات كانت كافية وكفيلة بأن تسحقه فى غيابات معتقل عصر الديمقراطية وعرف وسط الجموع باسم "ذو القلم " وعندما أخرج فى عام ١٩٨٢ دعا وساند تنظيم ثورة مصر وقبض عليه وأخذ حكما بثلاث سنوات بتهمة المساعدة فى إعداد منشورات تحض على قتل الإسرائليين قضاها إلى عام ١٩٨٥ ولم

يسكت وأثار من جديد إعتراضه على بقاء المجندين لفترات طويلة فى خدمة النظام كعبيد السخرة رغم حلول سلامهم المزعوم وعدم حاجتهم لجيش بعد قرارهم أن "نصر أكتوبر آخر الحروب " وأعتقل مجددا بعد أحداث الأمن المركزى وكان سجنه وقتها بأسيوط فلما عاد من محبسه فاجعته إتفاقيات "أوسلوا" وراح يشن الحملات من جديد فى أحد المقاهى بعدما أبعد عن جامعته وصحف العاصمة إلى أن استضافه يوما المركز الثقافى للحضارة والسلام كصوت ثان فى ندوة عن فوائد السلام بالشرق الأوسط وظنوا أن سنوات القهر والسجن قد غيرت فكره و نظرته وأنه صار أطوع للدخول فى قطيع السلام فأخذ يردد بأن الأوان قد أتى لتغيير الحاكم فقد انتهى حلم الوحدة وضاعت العراق وأضحت فلسطين مجرد كرسى وأعضاء المنظمة صاروا موظفين يتقاضون رواتب أمريكية مقابل تبريكاتهم للسلام المزعوم بينما شعبهم مشرد أما تهمته الأكبر مقالات الحملة الصحفية التى شنها ضد الخنوع وقت حصار العراق والسماح للبوارج الغربية بالمرور من الممر المائى وإعادة إمدادها بالمؤن وما يلزمها من وقود فأخذته مجددا الحملة الأمنية أثناء المظاهرات إعتراضا على حصار وضرب العراق ومن يومها لم يسمع به أحد...وغيرهم الكثير والكثيرفعندئذ هوجمت السجون وأخرج الأبرياء وكان يوما غضبت فيه مصر كلها كان وقوده مستترا تحت رماد سبعينيات السداح مداح وأجج شعلته شباب بائس أفسدت أيامه سلطة المحسوبية ورشى المؤسسات حتى النيابية والقضائية فلا وظيفة إلا بواسطة ولا منصب إلا وله مقابل مادى أو جسدى .

ومرت شهور الثورة الشبابية تعيسة مريرة فالكل عاش بطريقته من نهب إلى نهب وإلى قتل من قتل وهربت عائلات كاملة عائدة للريف والقرى بدلتا الوطن وصعيده ثم بسط مجلس إدارة الدولة سيطرته على أمور المحروسة فأخذ المخربون يتساقطون واحدا يلى الآخر وإن كان بعضهم فر خارج البلاد فى ملاذ آمن محتميا بجنسياتهم المزدوجة وآخرون حاولوا الهروب ولم يفلحوا وآخرون اختبئوا وسط الأهالى وكان من هؤلاء "متولى حسون "

ومتولى هذا كان يملك شقة فاخرة فى أحد الأبراج بعد سنوات اعتاد النوم فيها بالطرقات أو تحت الكبارى أو بإحدى محطات المترو وكانت عيونه دائمة الترقب والزيغ ما إن يهبط الشارع حتى تنتابه حالة من الرهبة فيلتفت دائما حوله وذات صباح أمسك به رجال الحراسة الشعبية متشككين فى أمره واقتادوه إلى الشرطة المشتركة إذ اتضح أنه ضمن المطلوبين ومنها للنيابة والتى بدأت تحقيقاتها معه ووقف أمام أحد شباب النيابة وهو وكيل النيابة للأمور الجنائية وكان مكان التحقيق غرب المدينة فى مبنى حديث تم بناءه منذ عشر سنوات وكانت تحيطه الصحراء من جانبها الغربى أما هو فأقيم بالجهة الشمالية....وفيلات حديثة بالجانب الشرقى خصص بعضها لأهل القضاء وفى جنوبها بنيت عمارات ذات شقق ثنائية الأدوار كانت بها استراحة الوكيل الشاب وعائلته إذ أنه انتدب حديثا ضمن فرق النيابات التى خصصت لتولى التحقيق مع المقبوض عليهم بعد الثورة وكان شابا متوسط القامة شعره شديد السواد وجهه أسمر بملامح قمحية ليس بالسمين ولا يصل للنحافة ارتدى هذا اليوم بدلة رمادية لامعة برباط عنق مخطط أبيض بأسود وحذاء أسود جلدى ذو ماركة عالمية وكان معه كاتب من حديثى التعيين بالنيابة ولكنه أسن من المحقق التحق بالنيابة منذ عدة سنوات بعد أن كان موظفا بالشهر العقارى ثم قدم للوظيفة وضم لأعضاء النيابة وفى يوم التحقيق جىء بالمتهم "متولى حسون "وجلس أمام المحقق وعن يساره الكاتب فى الحجرة التى تقع بالدور الثالث والتى يصل إليها عبر ممر طويل جدا تتخله بضعة حجرات بين كل أربع منها أقيمت دورة مياه أما حجرة التحقيق فكانت متسعة جدا متشعبة الأركان مقسمة لثلاث جلسات إحداها تحوى أنتريهات مربعة لفت حول منضدة زجاجية صغيرة فى طرفها منضدة أصغر عليها زهرية ورد بها فل أبيض وثلاث وردات حمراء ووردتين صفراء وبنفسجيةبقربها فسحة باتساع مترين يدخل منها للجلوس على الأرائك والجلسة الثانية كانت مكونة من ستة كراسى جلدية مرصوصة صفين خلف بعضهما أمامها شاشة مقاس ٦٤ معلقة فى وسط الجدار المقابل وكانت هذا اليوم مضبوطة على إذاعة البرنامج الموسيقى تخرج منها نغمات منخفضة تشع فى المكان بهجة تكسر حدة الكآبة بالمبنى والثالثة التى يجلسون بها وهى عبارة عن مكتب خشبى عريض من الزان المطلى باللون البنى المحروق فوقه لافتة تحمل وصفة: وكيل النيابة الجنائية بلا اسم شخصى خلفها مقلمية تحمل أقلام أسود وأزرق وأحمر ثم سنادة جلدية خلفها جلس المحقق وعلى يمينه تقع زهرية تحمل رياحين وبعض الفل وبعدها يجلس الكاتب وأمامه المتهم بينهما الكرسى الثانى وبين الكرسيين توجد منضدة صغيرة شبيهة بالمكتب ولكنها ذات مستويات ثلاث تفتح عند شدها من منتصفها أو أسفلها وجلس المحقق وفتح الكاتب دفتر الأقوال وبدأ التحقيق

- اسمك وسنك وعنوانك ؟
- متولى حسين عبدالرجال الشهرة "متولى حسون"سنى ٦٩ أو ٧٠ سنة "فأشار المحقق للكاتب "٧٠ سنة " برج اللؤلؤة وسط العاصمة
- أنت متهم بسرقة البنك الأهلى وبنك مصر وثلاث بنوك أجنبية وحرق قسم شرطة شرق وحرق أجنس سيارات وما به ؟

وقبل أن يرد أشار المحقق للكاتب بالتوقف عن الكتابة وقد وقف خلف متولى فوضع يده فوق كتفه وخاطبه :

- إحنا هنشرب كوبين شاى مع بعض وعاوزك تحكي لى الحكاية من أولها ثم اتجه للكرسى الذى أمامه وجلس وضغط زر الجرس فجاءه الحارس وأمره بإخبار الساعى بإعداد أكواب من الشاى وأرخى المحقق ظهره للكرسى وأشعل سيجارة ثم توجه إليه :
- تحب تدخن فهز متولى رأسه بالنفى رافعا كفه لصدره بالشكر وبدأ الكلام :
- بص يا باشا " فقاطعه
- بلاش حكاية باشا دى فأردف:
- بص سعادتك أنا لن أكذب عليكم العمر مابقاش فيه ونفسى أتوب جايز ربنا يقبل
- ياه أنت شكلك عملت بلاوى كتير
- لا والنبى يا ابنى هم كانوا مستقصدنى دايما وعلى طول يسحبونى على القسم
- ليه أنت كنت مسجل خطر ؟
- لا والله ياباشـ" ولم يكملها " وأكمل لا والله ياأفندم " فطرق الباب ودخل الساعى بصنية بها ثلاثة أكواب شاى ومثلهم من الماء المثلج وضع لهما أربع أولا للمحقق ثم المتهم وأخذ الثالثتين للكاتب فأشار المحقق تفضل اشرب ومد يده ليقرب حاملة الأكواب إليه فأخذ متولى كوب الماء وشرف منه كثيرا فانتعش وكأنه لأول مرة يشرب ماء وجفف فمه بكمه وكان يلبس قميصا لبنيا على بنطلون جينز أزرق وحذاء بنى شمواه ثم أردف :
- تحب أحكيلك من بداية ثورة الشباب ولا اللى قبلها
- أحكيلى شوية عن نفسك شغلك ميلادك أهلك
- تمام سعادتك أنا هاحكي الحكاية من أولها :

- أنا أول ما وعيت على الدنيا كنت فى دار الأيتام وأخبرونى ساعتها أن أهلى ماتوا فى غارات السويس وعرفت بعدين أن دا كلام كذب أصلوا أغلب العيال فى الدار كان بيتقال لهم كده أو أن اباءهم ماتوا فى حوداث سير ومواصلات ففضلت للدبلوم مصدق حكايتهم لغاية ماعرفت أصل الحكاية وبعدين هربت مع اللى هربوا ..
- ليه ؟
- لأنهم كانوا بيستغلونا ويشغلونا لحسابهم وبعضهم كان بيتعرض لينا
- إزاى ؟ ثم سكت برهة وتغير وجهه وتمنى بداخله لو نسى هذه الأيام تماما ثم أكمل سرده :
- كان فى الدار واحد أو اتنين لا مؤاخذة محركا يده بإشارات "فأومىء المحقق له بفهم قصده " ولما وصلنا للدبلوم كانوا بيطلعونا ورش بره المؤسسة ويأخذون هم أغلب الفلوس لحسابهم ويخبرونا أن الدار بتوفرها لنا فى دفاتر بريد " وهز الضابط رأسه بإمتعاض " ولما أتى وقت مغادرة بعضنا لم يجدوا الدفاتر ولا الفلوس التى كانت لهم وأصبح شباب الدار يهربون واحدا بعد واحد لغاية ما وصل الدور عليا وجانى فى الورشة اللى كنت بأشتغل فيها زكى النشال وأخبرنى أن الفلوس أصبحت فى أيديه زى الرز هو وشلته من يوم ما اشتغلوا مع عطية السباك ودا كان بيسرح العيال يسرقوا من زباينه اللى بيتعبوه فى الحساب أما زكى فكان واحد مننا فى الدار فذهبت معه ومن يومها بقى سكنى أسفل أحد الكبارى فى منطقة شرق المدينة وبعدين فتحنا بها ورشة سمكرة سيارات وأصبحت فى الشغلانة دى من يومها نصلح سيارات لأصحابها ونفك ونقفل عربيات مسروقة لغاية ما تجمعت لدينا الحصيلة وفتحنا معرض سيارات مستعملة بالأموال التى تجمعت بعد الإنفتاح واتغيرت حالنا و زكى السباك أصبح صاحب أكبر محل أدوات صحية فى المنطقة وبنى عمارة واشترك معنا فى المعرض وتعددت ورش السمكرة التى امتلكناها فى عدة أماكن للتصليح أو إعادة هيكلة السيارات المسروقة ووارد ضبطيات المرور ومن خلال معرض السيارات اتعرفت على عنتر ثم عرفنى على فريد وبدأت حكايتى مع بشوات الإنفتاح
- إزاى ؟
- عنتر كان واحدا من الذين استغلوا فترة الإنفتاح بمهارة فهو ابن تاجر روبابيكيا كثيرا ما جاب الشوارع مع والده لتجميع الحديد والنحاس القديم وكان يتردد على الأسواق الشعبية والأحواش ومنها تعرف على فريد ثم أضحى من كبار تجار التجزئة بمجرد أن بدأت سياسة الإنفتاح وتاجر فى كل شىء ولذلك تكونت لديه علاقات متسعة ومتشعبة مع الصاعدين الجدد فى المجتمع - وصار للإنفتاح بهوات وباشوات وانتهت الثورة الناصرية وطفت على السطح فئة جديدة بلا قيم وبلا أصل إلا المال وكونوا دولة السبعينات فلا هى أبقت على ذوى الشيم والأصالة- فقراء المال أغنياء الحسب والنسب -

ولا عادت لباشوات كبار الفلاحين بسيمهم النبيلة وقيم أهلهم الأصيلة وإنما دولة طفيلية أصبحت لها سكك متشعبة ومتشابكة للسلطة الحاكمة وهم الذين قطفوا العسل من يومها وكانت عملتهم الأساسية الحشيش والدولار- وهكذا تعرف متولى على أصحاب السلطة الجدد كانت كل صفقاتهم تتم ليلا فى الكباريهات فقد اكتسبت الراقصات مكانة مرموقة فى سلم الدولة أنذاك إذ أن زعيمتهم تباهت بأنها كانت ضمن فرقة الرئيس أثناء نضاله الثورى، وقد اشترك فى تجارة الحشيش التى باتت عادة كل رجال أعمال هذا الزمن بل كانت تتم بحماية ورعاية ذوى السلطة حتى أتى يوم وتعرف على أحدهم وطلب منه أن يكون عينهم على الشعب بعد إزدياد المعارضة وتكرار حوادث العنف الطائفى وكثيرا ما ضبطت صفقات تهريب متنوعة ترك أصحابها لمعلومة أوصلوها للسلطة عن بعض المناهضين للحكم وهكذا بدأ مسيرته وافتتح عدة معارض للسيارات بجانب الورش التى امتلكها

(واستفسر المحقق بعد صمت هل كانوا كثيرين ؟(وهو يقصد من كانوا كمثل حال متولى)فأخبره بكثرتهم وتعددهم وإن كان كثيرا منهم شبان تركوا ذويهم وانطلقوا للشارع بعدما أغلقت فى وجوه أهاليهم أبواب الرزق الحلال ثم جاء يوم التقى عنتر به وعرفه على أشخاص يرغبون فى إقامة ندوات عن السلام وعمل حوارات صحفية ولقاءات تليفزيونية مع فئات الشعب وأتت جموع مختلفة وذهبت ثم جاءت أخرى وغادرت وفى كل مرة يضعون بعض الدولارات فى أيدى المتعاونين معهم حتى استقر واحد منهم مدة طويلة بين عمال السمكرة و شباب العاطلين على القهاوى التى اكتظت بهم وقد صار صديقا لمتولى يأتى إليه بمفرده بدون عنتر وأخبره ذات يوم أنه أصبح يعتمد عليه فى تكوين هيئة خيرية تجمع شباب العاطلين والأطفال المتشردين فأخذ يجمع له الأطفال ويبحث عنهم فى أى خربة مهجورة أو تحت الكبارى وأعطاه مالا لكى يفتتح لهم ورشة دهانات وطلاء السيارات ومخزن لتجميع الخردة والروبابيكيا من نواحى العاصمة والمحافظات المجاورة لها وسأله المحقق :

- هل كان يعلم حقيقة هذا الشخص فأجابه بالنفى وإنما أخبره ذات مرة أنه أحد أعضاء الحزب الجديد للحكومة !
- واستفسر منه عن زمن هذه الأحداث فأخبره أنها كانت قبل قتل السادات بخمس أو أربع سنوات"فازداد المحقق تطلعا وانتباها"وفاجأه بالسؤال:
- هل شاركت فى مظاهرات ٧٧ ؟فأجابه بالإثبات بأنه شارك بالمظاهرات وأنه تأثر بكلام الباحثين الذين دسوا فى نفس الشباب أحقيتهم فى تكوين ثروة كبيرة كالآخرين بعد إنتهاء الحرب والإستفادة من فرص الإنفتاح وكيف أن ضغمة صغيرة ممن تحلقوا حول الرئيس هم الذين استفادو وكونوا ثروات هائلة فى بضعة شهور لذلك كان لديه دافع خفى للنهب والسرقة رغم علمه بأن أغلبها ممتلكات الشعب وأخبره أنه اختفى بعد هدوء المظاهرات إذ أن سلطة البلاد أرادت أن تنهى الأمر كأنه تدبير شيوعى من شلة لصوص لذلك أخذت الكثيرين من همشى الإنفتاح وأبناء الشوارع وبعض الموظفين المعاندين للسياسات الجديدة وألقتهم بالسجون بتهمة إثارة الإضطرابات الإجتماعية والنزعات الطائفية والعنصرية

خاصة ضد الأجانب وكان يقصد بهم تحديدا وقتها اليهود الإسرائليين ورغم أنهم عملوا مرشدين لأذرع السلطة من مخبرين وضباط واستفسر منه هل بلّغوا عن أحد؟ فأخبره أنهم أرشدوا عن كثيرين فسأله:

- هل كانت الناس حقيقى مخربين؟

- فنفى تماما عنهم ذلك بل أغلبهم كان فى حاله لا يهتم بمن جاء أو رحل عن السلطة وإنما كانت السلطة محتاجة أى أشخاص تضحى بهم وينهوا الموضوع فذكّره بأنها نفس أفعالهم أثناء ثورة يناير الشبابية ؟ فلم ينكر ذلك ودله على أنهم هم الذين دخلوا عليهم الميدان بالأحصنة والجمال وحاولوا فض الإعتصامات بتدبير وتمويل من أعضاء الحزب الذين صعدوا معهم منذ "موت السادات "وقبل أن يسترسل أوقفه المحقق وأعاده لما سبق وحكاه حتى يصلوا لموضوع الثورة

- واستمررتم فى تجميع الشباب من يوم السادات لغاية ثورة يناير ؟وهنا شد انتباه العقل الباطن للمحقق ترادف الثورتين يناير ١٩٧٧ ويناير ٢٠١١وكأنها واحدة تفصل بينهما ٣٤ عاما تقترب من عمر المحقق وزمن جيل كامل فجده ووالده أخذا بسبب الأولى وأحس بأن الأمور سوف تكون له كجده ووالده فها هى الثورة الشبابية قد انفجرت وأخمدت جزوتها بعدما سرقها منتسبى الدين ومحبى الدنيا"وهو يستمع بأذنيه لسرد متولى وداخله يفكر فى أمور أخرى وكان يحكى له كيف كانوا يجمعون الشباب على مدى ثلاثين عاما فأراد الإستوثاق منه فسأله عن مكان تجميع الأطفال والشباب وهل كانت لديه منطقة مخصصة لذلك؟ فنفى له بشدة وأنه تعامل مع شخص يدعى "عم بصلة " فاتسعت عينيه أكثر وسأله عن "عم بصلة "هذه الشخصية الجديدة فأعلمه بأنه أول شخص تعرف عليه بعد هروبه للشارع من الملجأ وكان عنده حوش كبير اخر منطقة المرج القديمة تقع وسط أرض زراعية تحفها أشجار النخيل وبعض الجميز وبها طريق صغير يؤدى لمنطقة زراعية ناحية القليوبية وبه كان يجمع العربات المركونة أو النص عمر وعندما كان يجد طفلا أو شابا مثله يتخذه معينا له إن أراد التحصل على بعض المال من غير طريق السرقة أو قطع الطريق فيسرّحهم فى المناطق لتجميع الروبابيكا أو جلب زبائن لدهان وتصليح سياراتهم بسعر أرخص من الورش الكبرى وبعضهم كانوا ناصحين افتتحوا لأنفسهم ورش حدادة أو سمكرة بأماكن أخرى ولم يقطعوا صلتهم بعمهم بصلة وظن أنه سيصعقه بخبر أنه اشترك فى حرب أكتوبر ؟ فرد المحقق باستغراب إستهزائى:

- يااااه!" لا يا راجل معقول دا أكيد كان بيسرح بيك

- لا لا والله يا فندم دا كان فى الحرب فعلا وكان شغال فى أتوبيسات القاهرة اه ما هو حكالى مرة عن تاريخ حياته وكان سواق بريمو لغاية ما أتت الإنتفاضة "وهنا شد انتباهه بجديته وتصميمه وأصبح المحقق مركزا ولم يقاطعه ومال ناحيته أكثر و أكثر"فأعتقلوه ساعتها "فاستهجن منه أن يكونوا هم الذين أبلغوا عنه فنفى له ذلك بشدة وإن لم ينكر أن يكون بعضهم ممن هم مثلهم فعلوا ذلك وطالبه

بقص أصل الحكاية فروى عنه أنه فى يوم الإنتفاضة كان يقود الأتوبيس كعادته صباح كل يوم ثم فوجىء بالمظاهرات فلم يستطع التوقف أو التراجع بالأتوبيس فحرق منه واتهموه أنه هو الذى أحرقه عمدا ودبرت له السلطات الأمنية وقيادات المصلحة تهمة المشاركة فى المظاهرات والسرقة والحرق وعلى أثر ذلك تم حبسه وبعدما أفرج عنه وجدهم قد رفدوه مع أشخاص كثيرين مثله فى البلد وأنه حفظ منه هذه الأقاصيص عندما كان دائما يحدث مستمعيه أثناء استراحتهم بالورشة فترة تناول الغذاء أو ساعة تناول الشاى عصر أي يوم عندما كان يذكر هذه الأوقات أن كل هذه البلاوى التى أصابت مصر حصلت منذ ١٩٧٦ وهنا حاول المحقق تصحيح التاريخ له :

- قصدك كان بيقول ٦٧ ؟
- لا لا لا هو دايما كان بيقول البلد ماكسرتاهاش نكسة ٦٧ اللى كسرها خيبة ووكسة ٧٦
- خيبة ووكسة ٧٦ "وهنا أشار المحقق بيديه له بالتوقف عن الكلام ورددها عدة مرات فى سره"خيبة ووكسة ٧٦"وتوقف الكاتب عن الكتابة وكلاهما لاحظ عليه التغير الشديد وكأن همّا ثقيلا هبط عليه وقام المحقق ودار كثيرا بداخل الغرفة ثم رفع صوت قناة الإذاعة وتوقف أمام النافذة الزجاجية واضعا عليها يده اليسرى واليمنى داخل جيب البنطال وأخذ يطل طويلا منها على الشوارع التى تخترق صحراء المكان ثم فجأة أخذ التليفون وجلس على الأنتريه فى وسط الحجرة واتصل برقم وسمعاه يخاطب محدثه "
- ابحث لى عن حوادث وتقارير سنة ١٩٧٦ م وأية تحقيقات منشورة أو دراسات من هذه السنة وما بعدهاويسكت لحظة ويجيب محدثه :
- ياا سيدى محتاجها فى موضوع شاغلنى..... أكيد ....اه اه ممكن يكون له علاقة بالذى يحدث الأن أيوه أيوه أنا عارف بداية السداح مداح -وأكل القطط والكلاب -ومدرسة المشاغبين ...بقولك عاوز دراسات وأبحاث وتقارير يعنى حاجات علمية تقارير رسمية ...تمام تمام ..لا لا لا براحتك وقت ما تكون فاضى دور وشوف فى الجامعات أو مراكز الأبحاث يعنى أماكن من دى تسلم تسلم يا غالى أكيد أكيد هنتقابل ونحكى مع السلامة وأنهى المكالمة ووقف مرة أخرى أمام النافذة الزجاجية ثم اقترب من مكان جلوسها وفتح درج المكتب وأخذ علبة السجائر وأشعل واحدة فى فمه وأشار لها بأن يشربا وتركها لها على المكتب واتجه مجددا للنافذة وأخذ متولى يرقب علبة السجاير ونفسه تشتهى واحدة ويتحرج أن يأخذهاحتى قام الكاتب وأعطاه واحدة (فأخذ يقلبها كثيرا وردد فى نفسه نوع غالى ومخصوص) وأشعل لنفسه واحدة ورنّ جرس الساعى فأتى ولمّ الأكواب وطالبه بواحد قهوة مضبوط "مشاورا للمحقق" واتنين شاى وأشار لنفسه ومتولى فأردف متولى :
- سكر زيادة لو سمحت وهنيهة وأتى الساعى ووضع الصينية بجانبها وأخذ كنكة القهوة وفنجانها وصبها وقال للمحقق :

- تفضل ساعدتك فاتنبه وأخذها ونظر إليها ووجدها أخذا أكوابها وأشار للساعى بأن يأتى له بعلبة السجائر فأتاه بها والولاعة وأشعل واحدة أخرى مع ارتشاف القهوة ثم عاد بها لمكتبه وسأل متولى

- :هل كانوا أولاد فقط؟ فاسترد هيئته واسترجع نفسه وذكرها بأنه فى النيابة ونظر للكاتب برهةثم أخبره أنهم كانو أولاد وبنات وكبار وعواجيز "تشكيلة بشرية " ووضع كوب الشاى على المنضدة بعد ما ارتشف كل ما به مرة واحدة " وأكمل أنه فى شبابه وبعد إحتراق معرض السيارات ملكهم والذى افتتحوه من أموال التهليب والتهريب أيام الإنفتاح وبعد الثورة ضد النظام وغضبته وإنقلابه على الجميع فلم يجدوا سوى الأحواش المهجورة وتحت الكبارى خصوصا وأنه بعد مقتل السادات أصبحت الدنيا فوق تحت وفجأة وجدوا أنفسهم مطلوبين فى قضايا وجرائم لم يفعلوها ولكنها ذنبا عليهم عما اقترفوه ولابد أن يكفروه ومرت عليهم ما يقارب عشر سنوات متخفين ومختفين تحت الكبارى البعيدة عن العاصمة أو بالأحواش النائية حتى جاءهم يوما عنتر وفريد إلى وكرهم وعرف أنهم كانوا يبحثون عنهم وعليه هو بالذات وأنهم جمعوا بعضهم من جديد وأوعزوا إليهم أنهم متوصيين من جماعة زمان أن يجمعوا أطفال الشوارع القدامى والجدد وفعلا لم يضيع متولى فرصته وكون شلة من جديد وأخذ حوش عم بصلة بعدما توفى وقد بنت الحكومة إمتداد كوبرى فوقه فأعاد ترتيب المكان وأصبح تحته كمثل الثكنات وبقية الحوش أقاموا حوله سور من بعض الطوب أو الأسلاك والحديد المقطوع أو ركام السيارات وأعادوا له نشاطه فى سمكرة السيارات كما كان منذ زمن ولم تمر بضعة أشهر على لقاءهم فأخذوهم ذات يوم إلى الحى الراقى ؟ ولما سمع منه المحقق ذلك استغرب بشدة فأخبره أنهم عزموهم هناك وتسآل عن هم هذه؟ فرد عليه بأنهم الجماعة التى وسطت عنتر لتجميعهم من جديد وأنهم كانوا تبع الجلاد وهنا ازدادت حيرة المحقق :

- من هو الجلاد الذى أتى ذكره فجأة؟ فأخبره أنه ذاك الراجل الذى كان يأتى إليهم بمفرده بعد أن أوصله عنتر إليهم وعلموا بعد مدة اسمه وأنه عضو بالحزب وسأله عن المقر الذى ذهبوا إليه فاستغبى متولى وكأنه نسى اسمه لأنه كان مقرا أمريكانيا على حد وصفه وراح يشرح له وقائع يومه أنهم أجلسوهم فى حديقة واسعة ثم أدخلوهم لقاعة ضخمة مليئة بالمأكولات والمشروبات والنساء وأنها كانت ليلة ذات أبهة ورهبة فأما الرهبة أساسها كثرة رجالات الحكومة الذين كان يعج بهم المكان والأبهة من مقدار الأطعمة وتنوعها وكثرتها بخلاف الأشربة المتعددة التى كانت أرخصها البيرة الأمريكانى غير النساء ذواتى الألوان المبهجة والأجساد المثيرة وأنهم أكلوا وشربوا أشياء لم يروها من قبل أو من بعد فسأله

- هل ذهبوا جميعا ؟ فرد عليه بالنفى بأن الذين ذهبوا هم فقط شلته الجديدة وشلة فريد وعنتر وأنهم كرروا أمسيات وليالى مثلها ولكن بأقل من تلك فى مأكولاتها ومشروباتها حتى فى نساءها إذ أنهم فى الأولى بعدما أكلوا وشربوا وأخذتهم سكرة الخمر تذوقوا من النساء مالم يألفوه وعندما أفاقوا ظهيرة

اليوم التالى وجدوا بإنتظارهم أكوام من الدولارات المنثورة على الأرض أمامهم فعبئوا منها ما استطاعوا وندموا على أنهم لم يأتوا بحقائب تحمل تلكم الأموال ولكنهم وعدوا بمثلها الكثير إن تعاونوا مع الهيئة الدولية المعنية بالسلام والإستقرار بالشرق الأوسط فوافقوا من فورهم وبلا أدنى تردد فاغتاظ المحقق قليلا واتسعت حدقتى الكاتب ورمقه بنظرات مكذبة لتلكم الرواية فخلف لهم حتى صدقوه فباغته المحقق بسؤال عن الأشخاص أو الموضوعات التى عرضت عليهم وعن أصل وفصل عنتر وفريد والجلاد فكان رده على كل سؤال منها:

- :-مش فاكر ....." فرمقه أخيرا بنظرات تهديدية مكذبا له"

فسكت قليلا وأخذ يفرك خديه بيده اليمنى المسندة على المكتب ثم نطق وأوضح متذكرا أن أحدا من هؤلاء الجماعة أخبرهم أن يطالبوا بحقهم فى البلد وثروتها ولا يتركوا الحكومة تتصرف فيها كيفما تشاء وشدد عليهم أن يكرروا ذلك على أنفسهم ولكل من يتعاملون معهم وأنهم سوف يساعدوهم وأخذ يسرد عليه قصة حضورهم عدة حفلات من تلك النوعية حتى امتنعوا عن الإرسال إليهم وانقطعت أخبار صديقيه عدة أشهر حتى فوجىء يوما بدخول أسطول سيارات عليهم عندما كان يتسامر مع أقرانه وشلته تحت الكوبرى فى عمق ورشة السمكرة ووقف وسطهم شخص مهيب يلبس بدلة اخر صيحة وسياراتهم أحدث موديل فظنهم من محترفى الإنتخابات الذين اعتادوا طلتهم كل خمس سنوات وبسبب حالتهم المالية المزرية فكروا من فورهم فى الإستيلاء على بعض تلكم السيارات وقبل أن تأخذهم هجية اللصوصية صاح فيهم أحدهم بلفظ الكلاب وألا ينسوا أنفسهم

- إيه يا بن الكلبة أنتو وهو هتنسوا نفسكم ولا إيه ،فلما سمع صوت الشاتم جيدا وجده عنتر ولكنهم لم يصدقوا أذنيهم وكذبوا أعينهم فقد اختلفت الهيئة وتبدلت السحنة كاملا فبادرهم :

- صدقوا ما ترون فأنا سيدكم ، وظلوا مستغربين تبدل حاله فى بضعة أشهر رغم أنهم كثيرا ما غرفوا من أموال اللصوص أو باشوات الإنفتاح واقتصاد السوق والعهد الجديد ولكن لم تغير فى هيئتهم أو سحنتهم شيئا فما الذى حدث هذه المرة واستفسر منه

- هل سرقت بنكا أو بعت طنا من الحشيش الأصلى أو وقعت يداك على كنزا فرعونيا مما كان يستخرج ويهرب رسميا عبر المطارات منذ عرض جثة "الملك رمسيس الثانى" بباريس فأيقظهم من وهمهم بأن هناك أشياء تكسب أعظم من السرقة و أكثر من تجارة الحشيش أو الإستيلاء على مقبرة ذهبية لأحد القدماء فاستفسروا منه عنها وكيفية الوصول إليها فوعدهم أن يدلهم على الطريقة ولكن بعد أن يقوم كل واحد منهم بأخذ نصيبه وأخرج من جيبى بدلته الخارجيين وألقى عليهم العشرات من الدولارات والتف كل من فى الحوش حوله وأخذوا يجمعون من أوراق البنكنوت الخضراء الملقاة على الأرض ثم انشقت طريق الحوش عن الجلاد ومعه فريد فى أبهة ثانية وهنا توقف متولى عن الجمع وحدثته نفسه عن ضخامة الأمر ثم أشاروا لجماعة يتبعونهم فأنزلوا من سياراتهم

الأكياس المملؤة كبابا وكفتة بسلطاتها وصناديق خمر وبيرة وتوقف الكل عن تجميع الدولارات وأذهلتهم اللحظة ثم استفاقوا على روائح الأطعمة فتسابقوا فى خطفها وتمزيق أكياسها وجلسوا فى الوكر تحت الكوبرى على نور كشافات السيارات وخاطبهم عنتر بأنه يجب عليهم الإنصات جيدا لما سيخبرهم به فريد ورفيقه ثم تركهما الجلاد وغادر بعدما طالبهم بالأكل والشرب أولا ثم الإستماع وتنفيذ ما سوف يطرحاه عليهم وأتوا له بكرسى من السيارة وجلس أمام المتجمعين وتحلقوا حول الأكل والشرب وأدار الكرسى وجلس بخلفه وأشعل سيجارا وجلس فريد فى كبينة السيارة والآخرين حولهم فسألهما:

- أين ذهبتما منذ آخر عزومة بالمقر الأمريكانى وما الحكاية وراء النغنغة التى أصبحتما فيها فنظر لهم بإبتسامة وهو ينفث دخان كثير من فتحتى أنفه وفى يده السيجار وبعد وقت طويل أنهو أكياس المأكولات فأشار بالسيجار لأتباعه فجلبوا لهم وجبة ثانية فكادت كروشهم تنفجر وصاح فيهم واحدا من الأتباع أن كفاهم ...وكيف لم يشبعوا ؟

فردوا فى صوت مشترك وكأنه إجماع :

- لقد شبعنا وامتلأت بطوننا عن آخرها وأخذوا يكرعون فأشار مرة ثالثة بيده فألقوا عليهم علب سجائر أوربية وزاغت عينيه على السيجار فطلب منه واحدا فرفض بحجة أنه لا يستطيع صدره على شد نفسه فاستهجن منه ذلك فأخبره أن كل أكل وله شربه وكل شرب له سجائره ومن تعود على صنف هذا السيجار لابد أن يكون انغمس فى أكله وشربه من قبله وإن تعود عليه فلا يعود لأقل منه وكل حاجة لها إلتزاماها وشروطها فاقتنع قليلا وطلب منه أن يبين لهم أصل الحكاية والمطلوب منهم بعد أن أكلوا وشربوا حتى التخمة والإنتفاخ (فقام واعتدل وأدار الكرسى ثم جلس ووضع قدما فوق قدم وأشار لهم بالقدوم فالتفوا حوله وذكرهم ناصبا عينيه فى عينى متولى وأمام شلته بأمر السادة الذين كانوا يأتون ويعزموهم على المقر إياه فأجابوه أنهم لم ينسوا لحظة واحدة من لحظاتها بينما المستجدين بدا عليهم الترقب لما عرفوه من قصصهم عن أياما وإنما أحزنهم إنقطاعهم فور إختفاءه فأنزل قدمه ورمى السيجار وتغيرت سحنته وكأنه يوسوس فى أذانهم :

- هؤلاء السادة لا يلعبون أو يلقون أموالهم جزافا بلا ثمن وأن لديهم خططهم ومصالحهم وأنهم يحققون ما يريدون بالضبط أين و متى وكيف وبيوصلوا له بأى ثمن وبأى طريقة وأنّ عليهم إطاعة أوامرهم إن أرادوا عودة الليالى ومناهم بأن يروا على يديهم ما لن يصدقوه أو يحلمون به طوال عمرهم فأعادوا النظر له ولهيئته الجديدة وقالوا فى نفس واحد :

-:معاك يا باشا

فبين لهم أن موسم الإنتخابات قرب وطالبين مجهوداتهم وهمتهم فاستغربوا بساطة الأمر وذكروه أنها ليست المرة الأولى ولا الأخيرة وأنهم دائما فى خدمة الذى يدفع والحكومة ورجالاتها "ومن شدة تركيز المحقق تخيل أنه جالس معهم وكأنه أحدهم" فرد عليهم بأن هذه المرة اللعبة اتغيرت فتشككوا أن يكون

قصده أن يكونوا ضد الحكومة وأذنابها فوضح لهم أنه فى هذه الجولة سيلعبون مع الكل وعلى الكل (ووقف وأشعل سيجارا آخر ثم أشعلوا سجائرهم وأخذتهم الحيرة والدهشة فأخذ يدور بينهم)

وسأله بعضهم:

هل سيتركنا رجال الحزب نلعب هذه اللعبة فأردف أنهم خدموا الحكومة والحزب طوال السنوات الماضية "وصمت قليلا وأخذ أنفاسا من السيجار" وأكمل:

- أن الحكومة مرة تختار واحدا يستاهل ومرة كل شى كان وأصدر أمرا أنهم سيكونون مع مرشحى الحكومة ومع حبايبها وكذلك مع الآخرين معارضى الحكومة أو من لم يدخل جنتها وتسألوا :

- كيف لنا فعل ذلك وبأى طريقة ستتم بها اللعبة فأجابهم

- بأنهم سيخبرونهم كيف ومتى فى وقتها المهم أنهم يستعدوا من هذه اللحظة لتنفيذ الأوامر بدقة وبعدما أتفقوا وأخذ منهم ما يماثل عهد اليمين خاطبه أحدهم :

- أن كل شىء له ثمنه وقال آخر :

- طعم الفلوس أحلى ويعمل من الفسيخ شربات (فنظر إليهما وعرف أنهما من الواردين الجدد وألقى ببصره على متولى ومعاونيه)فوقف فيهم منبها لهم وآمرا بالسكوت والصمت

- كل حاجة محسوبة وفى وقتها فهز رأسه موافقا لرأيه ووقف وربت على كتفه بكلمة :

- "تمام يا متولى " وسحبه وحادثه بصوت خفيض وسرى "أنه سينسق معه فى ترتيبات الحملات الإنتخابية والتجمعات الشعبية والشبابية وغيرها وسيدربونهم على تنظيم نزول الشارع وكيف يقسم أتباعه فرق متجولة من البنات والأولاد "وأشار لأحد مساعديه فأخرج شنطة من إحدى السيارات وقربها وأسندها على يدى متولى الذى فتح يديه لها بمجرد أن رفعها أمامه وفتحها وغرف منها وأخذ يلقى على الجالسين من رزم الأموال الخضراء من فئة الدولار الواحد فسارع كل واحد منهم يقاتل الثانى لكى يجمع أكثر وأخذه بعيدا عنهم خلف السيارة حتى أوصله لفريد الذى أصّر إليه

- سيأتى أناس بهيئة باحثين وأخصائيين وصحفيين سيقومون ببعض اللقاءات والأبحاث فى الحوارى والأحياء الشعبية وعليك أن تعاونهم وتيسروا لهم طريق الوصول وتمنع عنهم عيون الحكومة واخرين سوف يأتون لملاقاة الصنيعية الشبان والعاطلين ثم قاطعهم صوت ينادى :

-:يا عم عنتر إيه بعد الأكل والشرب والدخان مش شايف أنها ناقصة حاجة فرد عليه صبى من صبيانه

-مالأنتوا معاكم اللى يسليكم ونظر إلى عشش الصفيح وقد سار إليها كثير منهم فى ذيل ممتد ومعهم فتيات الليل أو رفيقاتهم من بنات الشوارع ذهبوا ليستمتعوا بعد أن ملئت بطونهم وبدأ الهرج والمرج كل يريد دوره ونصيبه فرادا أو جماعة) وكان قد تجمع فى الحوش الكبير ووسط الثكنات أسفل الكوبرى كثير من الفتيان والفتيات الهاربات من أسرهم أو النشالات والمتسولات وكونوا لأنفسهم جمهورية أسفل الكبارى فلم يستطع أن يخرجهم منها خاصة أنه كان كثيرا ما يتركها لأتباعه وقتما كان شريكا فوق الأرض لعنتر وفريد فى زمن إرتقاء الأسافل وهذه الليلة بالذات

تجمعت كل الشاردات برائحة الكباب والبيرة كالكلاب الضالة التى ما إن يعثر أحدها على عظمة أو قطعة لحم فتأتيه العشرات تنهش منها فصاروا معا لتسلية بعضهم فهى ليلة بها أكل وشرب ودولارات فتأنف المتحدث
- إنهم زبالة الشوارع وهو يرغب فى تذكر أيام المقر الأمريكانى والتقاء نسوة خبيرات شقراوات وبيضاوات فرد عليه بأنه يحدث متولى على مثل هذه الترتيبات (وأبدى متولى الموافقة رغم أن الكلام لم يكن له علاقة بالشقراوات أو البيضاوات) وأنه سيجمعهم وينظم الموضوع (وقد نظر له وسحبه إليه وأخذه تحت إبطه وربت بيده على رأسه)وأكد اعتماده عليه فى تنفيذ الأوامر كالأيام الخوالى فسرّ الرجل كثيرا بوضعيته تحت إبطه واطمأن أن الأيام ستعاود سيرتها وظن نفسه قد تصادق معه فأخذ من يده السيجار الجديد الذى أشعله "وتركه له كنوع من الإغراء " وأشار إليه بالسلام لكى يلحق دوره خاصة وأن هناك وارد جديد من لبؤات الشوارع وغاص سريعا وسطهم وأمسك بصبية لم تبلغ بعد تصرخ وتمانعهم فصفعها صفعة أسكتتها وألقتها أرضا ثم طاوعته مجبرة وركب عنتر السيارة وبجواره عشيقه وطلب من متولى أن يشد حيله ويضبط الإيقاع فرد عليه "وهو ينظر كثيرا للآخر والآخر يبادله التلهف وإن تحاشيا إغضاب رفيقهما الثالث وقد فهم أن هذه ليلته معه "
:لا تقلق ولا تشغل بالك كله هيكون فى التمام ،ودارت السيارة وقبل أن تنطلق أخبر سائقه بأن يعطيه اللاسلكى فأخرجه من تابلوه السيارة وأعطاه له

- علشان لما أحتاجك !!"وأشار بإصبعه لمتولى وهو يحدثه"

وبعد أن قلبه وفحصه وأحس أنه سيعرف طريقة تشغيله رد عليه

- هدية مقبولة وعلى رنة يا باشا "وأشار بالتحية بإصبعين "

وانطلقت السيارة وتمنى له ليلة سعيدة والآخر بمزيد الإنبساط لهما فألقى الجهاز فى جيبه وكذلك السيجار بجواره بعد أن اطفأه"وكان قد أخذ واحدا مشتعلا من فمه قبل أن يأخذ تابعه الثانى من يده وتوجه لعشته فوجد " عشيقته" قد جهزت له نفسها والواردة الجديدة (والتى أشار إليها أثناء انشغالهم بالأكل بأن تأخذها وكانت تفهم معنى الإشارة فنفذتها عندما إنتهى الجميع بالفلوس وعلب السجائر) وأغلقت عليهم باب العشة من الداخل وأتمت ليلتها معهما وهذه كانت بداية المرحلة الجديدة فى الفترة الرئاسية الثالثة وأسس الفرق الجديدة ونفذ كل الذى طلب منه وأتت أناس أشكال وألوان تنزل بين الشعب فى الحوارى والمناطق الشعبية وتلتقى الصنايعية وطلبة المدارس الثانوية والجامعات ولم تترك جزءا من القاهرة الكبرى إلا ومروا بها ودخلوا أغلب حواريها بل ونفذوا إلى بعض عواصم الدلتا خاصة المحلة الكبرى وعمال مصانع النسيج ووصل بعضهم للفلاحين من مزارعى القطن والقمح وأصبحت هناك جمعيات خاصة تنشأ لرعاية هؤلاء ممولة بأموال أجنبية ترعاها بعض السفارات الغربية بدعوى تقديم المعونة والدعم للدولة المصرية لإستكمال مسيرة السلام وتغافلت عنهم أعين الدولة وأجهزتها الأمنية بتعليمات من بعض المتمولين من هذه المعونة .

العم بصلة

حتى أتى يوم جاءت فيه مجموعة وتسائلوا عن عم بصلة وقبره وأهله وهنا استعجب المحقق كثيرا وسأل عن ماهية هؤلاء الأشخاص ووصفهم وصفتهم فرد عليه بأنه استغرب أكثر منه وقتها ولكنهم أخبروهم أنهم كانوا أصحابه ومعارفه منذ زمن ويعرفون حكايته فى حرب أكتوبر وأتو الآن ومعهم صحفيين لكى يكتبوا قصة حكايته فى الحرب ولكنه لم يطمأن لهم دونا عن بقية الآتين والذاهبين ولم يخبرهم عن مكان دفن عم بصلة فتسآل المحقق ثانية عن من هؤلاء ؟ولماذا؟

- فرد عليه بأن هاتفا فى نفسه تردد أنهم غالبا كانوا صهاينة فاتسعت جبهة المحقق إستغرابا ؟ ولكنه بدد دهشته بأنه تعلم من عم بصلة كيفية معرفتهم من سحنهم وأنه فطمه كيف يحدد أى اسرائيلى صهيونى وأسر له بأن عم بصلة كان فيه سر مخبيه فتسآل مندهشا :
- سر إيه ؟
- أنا مكنتش أعرف إلا بعد حريق الجمالية ؟
- حريق الجمالية ؟ وتعجب المحقق ونظر للكاتب لعله يفسر له فلم يجد لديه تفسير"فقد رفع الكاتب كفيه وهز رأسه بعدم التذكر أو الدراية "
- إستنى بقى واحدة واحدة كده وافتكر كويس "ثم رن جرس الساعى " فلما أتى طلب له مشروبا مثلجا فأوتى به وتركه يشربه وأجرى اتصالا سريعا طالبا من محادثه القدوم إليه ولحظات دخل عليهم شاب طويل ذو شارب كثيف محددا من الجانبين يلبس بدلة بنية تحتها حذاء أسود لامع وأجلسه معه ليستمعا قصة حريق الجمالية فأوجس منه متولى خيفة فطمأنه المحقق :
- دا المستشار أحمد الشرقاوى زميلنا المحقق فوقف متولى وحياه بوضع يده على رأسه وصدره وإن كان داخله يحدثه بأنه ضابطا وليس مستشارا
- فأشار إليه بالجلوس وسأله عن مدى معلوماته عن حريق الجمالية وهل كان يقصد قصر المسافرخانة ؟فأجابه بالإيجاب بأنه المكان المقصود.....فأردفه بقوله:
- عاوزك تحكيلنا كل حاجة بالتفصيل وحاول تعصر دماغك وراح يتحدث فأوقفه عن الكلام وطلب من الكاتب مغادرة الحجرة للراحة راجيا منه الذهاب وطلب حضور السيد /مختار هريدى "الذى كان يأتيها دائما لتتبع القضايا ثم طالبه بالهدوء والتركيز ثم أقبل أحدهم يلبس جاكت أسود على بنطال كحلى فوقه قميص أبيض وحذاء جلدى لامع له صوت قرقعة عند التحرك على أرضية المكان ثم سلم عليهما مادا يديه محييا ومسلما ومخاطبا بصوت أجش :
- سيادة المستشار بسادة

- إزيك يا أبوحميد "مسلما على المستشار الثانى وبدا أنهما يشكلان فريقا معا ثم انتحى بهما جانبا وأخذوا يتمتمون بكلامات وأسئلة وكل برهة ينظرون له ؟وهو ازداد قلبه نبضا وخوفا وأحس أنه أصبح محط إهتمام الجميع ثم أتى إليه محققه وجلس الآخرين بطرف الحجرة وطالبه بالإسترسال فى الحكى ونظر إليهما كثيرا فطمأنه مخبرا أنه تعرف على سيادة المستشار وعرفه بالآخر بأنه مقدم بجهة سيادية عليا وردد متولى داخل نفسه بأنه كان حاسس بيه من دخلته وإن أبدى أنه يظن كذلك فى الرجل الأول ثم أسر إليه بأنه استغرب فى بادىء الأمر من عدم وجود أحد رجالات الأمن فى مجلس التحقيق لخطورة ما يقوله فرد عليه بأن يعتبره المجلس الذى يتمناه ..ثم خاطبه المقدم :

- إيه بقى اللى تعرفه عن موضوع حريق الجمالية وإيه علاقتكم بيه ؟؟ وطلب منه أن يقول ما لم يقله فى التحقيقات الرسمية ويعتبر هذه الدردشة فضفضة عما فى داخله وأخذه وذهبا لجلسة صديقيه وتركه يسرد الوقائع ثم أرخى المحقق ظهره للكرسى

- أنا زى ما قلت لسيادتك أنّ آخر مرة التقيت فيها عنتر وفريد أخبرونى بأن هناك أناس سوف تأتى لعمل أبحاث على أطفال الشوارع وبعض الصنايعية وأخذ يسرد علاقته بعنتر بأنه تعرف عليه منذ زمن بعيد قبل إنتفاضة ٧٧ بسنة وكانت بدايتها داخل دار الأيتام ولما هربوا من الدار شاركوا بعض فى ورشة سمكرة العربيات اتعرف هو على عم بصلة وأصبح يتردد عليه حتى استقر معه أغلب الوقت وفتح ورشة سمكرة ثانية فى نفس الحوش وأن عنتر كانت عنده عادة اللواط مع الأطفال فافترقا ولم يشترك معه

- وسأله منذ متى هذه الأفعال ؟أو متى اكتشفها عنده؟

- فرد أنه اكتشفها بالصدفة عندما غاب عن ورشة السمكرة عدة ساعات ولما عاد وجده ممسكا بولد داخل غرفة المخزن بالورشة من أحد الصبيان الذين لهم للشغل معه وهو يمارس فيه ..(وسكت ولم يكمل وفهم الجميع مقصده) بينما الطفل لم يكن يبدى رفضا كبيرا ربما كان خوفا أو رغبة منه وأخبرهم أنه قبل أن يهربوا عرف من بعض الآخرين أن أحد مشرفى الدار كان يأخذ عنتر وأطفال آخرين يفعل بهم نفس الفعلة خاصة وأنهم كانوا أطفال بيض البشرة .فلما رأى منه ذلك نهره عن تكرارها إلا أنه صدمه بأن الولد أتى مستعدا ومعتادا للفعل فيه وبعد فترة حاول هو معه فوجده مستسلما تماما ولا يرفض (وهنا امتعض كل المستمعين)وخاطبه المستشار الثانى :

- وهذا الولد كان فريد ؟فرد نافيا تماما لأن فريد كان أكبر منهم بسنة أو سنتين وأنّ الذى تعرف عليه عنتر من ورشة السمكرة التى كان يعمل بها أول الأمر ففريد هذا كانت معه سيارة أو بالأحرى سيارة أمه وأصبح كل فترة يمر على الورشة يأخذ عنتر ويرجعه تانى يوم وفى أحد الأيام سأل عنتر عن حكايته فأخبره أن أمه ست فرنساوية كانت تعيش فى تركيا وأنجبته هناك ولكن بعد فترة ذهبت به إلى إيطاليا وأدخلته مدرسة التنشئة وهناك بدأت معه الممارسة الجنسية من مسئول الرعاية (وهنا

امتعض كثيرا المستشار بسادة وبدأت أضراسه تدك بعضها وترك مكانه بعد أن ضرب الأرض برجله واتجه للشرفة فسكت متولى ثم أتى المقدم بجواره وطالبه بالإستمرار) وحكى أن فريد كانت له طقوس غريبة فى اللواط علمها عندما أخذه ذات مرة بديلا عن عنتر.... وهى أنه لابد أولا أن الشخص الذى معه يدهن له جسده كاملا من الخلف بزيت مخصوص ثم يأخذه إلى مسبح أو بانيو كبير بعد أن يسكب بعضا من ذات الزيت على قضيبه ويدخله بكامله فيه وأنه كان يستلذ بهذه الطريقة أكثر من غيرهاوهى الطريقة التى اعتادها من أب التنشئة واستغرب المقدم من عدم علم أمه بهذه الوقائع ففاجأه متولى بأن عنتر أخبره عن لسانه أن أمه علمت بها منذ أول شهر ولكن تركته ثلاث سنوات يفعل به ذلك حتى أصبح يطلق عليه فتى الدار من كثرة ما غشيه المربين وهو لم يبلغ عامه العاشر وأنه واجه أمه ذات يوم بالتعنيف والتوبيخ أثناء إقامتهم بلبنان بعدما شب وكبر وكان قد بعث إلى هناك بإحدى مدارسهم ومعه لقب ابن سر التنشئة فكانت أمه تفتخر باللقب أكثر منه فاعترفت له أن والده كان كذلك مع كل الأطفال وهو رئيس مشرفى الدار بتركيا بل إن والده أول من فعل به ذلك إذ كانت كثيرا ما تجد والده يضع مقعدته فوق عضوه المنتصب وهنا شجب كلماتها وشكك بأنه والده فما دافعت عن نفسها ولامها على تركه وأخبرته أنها غضبت وقتها غضبا شديدا وهربت به إلى روما، ولكن كأن الأمر أصبح طقس دينى أوربى مفروض على كل طفل يدخل دار التنشئة هناك فاستسلمت للأمر خاصة أنهم وفروا لها مركزا مرموقا كرائدة تنشئة فى بعض البلدان العربية ومنها لبنان فلما قامت الحرب الداخلية بها انتقلت للقاهرة (فلما وجدوا المستشار استشاط غيظه حتى مزق ستائر النافذة التى كان يمسك بها بيده أشاروا عليه بالتوقف وساد الصمت سويعة خرج فيها المستشار الثانى وعاد بكؤوس ليمون وبحث عنه فوجده والمقدم بالشرفة يتناقشان وبعيد برهة دخل الساعى بشراب ليمون مثلج للمتهم ولحظات عاد المستشار بسادة لمتولى فأمسكه المقدم طالبا منه أن يكملوا فى يوم آخر فرفض ثم خاطبه مستفسرا منه :

- هل تعرف أو سمعت أنهم يفعلون ذلك هنا داخل الدولة؟ فنظر له ولهما متوجسا ونظرا لبعضهما متفاجئين من صدمة السؤال فسكتوا جميعا وحثه بهدوء وإشارات بيده اليمنى تدعوه للتذكر والإستكمال

- نعم أعرف ؟فدله على مقرات تحت الرعاية الأوربية بالقاهرة والإسكندرية وأسيوط سمع أنها تعطى صكوك تبرئة لمن يفعل ذلك وترضية لأهل المفعولين بهم وأخبره باسمه فدهش الجميع إذا أنها أشهر جمعية أوربية بالدولة وتعمل منذ عشرات السنين ولها من أعمال الخير ما لا ينكره أحد ؟ وكذبوه كثيرا ...ولكن ثالثهم لم يفعل وكأنما تحققت لديه بعض الشكوك القديمة ؟ثم اعترف لهم أنه بعد حكاية الولد مع عنتر فى الورشة ترك المكان وعاش فترة مع عم بصلة حتى أتى يوم جاءه فريد باحثا عن عنتر فنفى له علمه بمكانه وأنه منذ عدة أشهر لم يلتقيه فاستحثه فريد أن يذهب معه للبحث عنه ثم ادعى تعبه من البحث وأخذه للإستراحة بشقته وهنا تذكر جيدا ذاك اليوم وعادت أحداثه فى رأسه

(فقد كانت الشقة بوسط المدينة بقرب شارع الجامعة الأمريكية وهى عبارة عن أربع حجرات اثنتين تطلان على شارعين والأخرتين متقابلتين بآخر الشقة يصل إليها عبر ممر مستطيل تفتحان ببابان عليه أحدهما فى منتصف الثالثة، والرابعة على يسار الشقة لها شباك داخلى وبابها جانبى ليعطى مساحة كبيرة للغرفة من الداخل ولا يوجد لها منفذ على الشارع وإنما حمام خاص غير حمام يتوسط الحجرتين الأولتين أجلسه وقتها بالصالون الجانبى للشقة ودخل هو الغرفة الداخلية وغاب فترة عاد بعدها وهو منتشى من دش دافىء ورائحة عطر نفاذة أفاقت متولى من غفوته التى أخذته بعدما خرج من حمام الشقة الرئيسى وناوله العصير المخصوص الذى أعده له وتمنى عليه فريد أخذ دش ساخن فى حمامه الخاص بحجرته الداخلية فذهب إليها بعدما شعر برغبة سرت فى جسده منذ شم رائحته وشرب نصف الكوب... وكانت غرفة كلها حريرية أرضها ستائرها مفارش السرير حتى فوط الحمام وتركه فريد ربع ساعة يستحم ثم اقتحم عليه وأخذه الى السرير وما تمالك متولى شهوته التى فارت بجسده حتى لبى رغبته وأخذه أخذة شديدة فوق الفراش استمرت ساعة وأكثر ثم جذبه فريد للحمام وأعطاه زجاجة الزيت واعتدل له معطيا له ظهره ومؤخرته ودله على الطريقة فسكب نصفها عليه ثم أغطسه بالبانيو وأخذ يهرزه رهزا جعله يتأوه من شدته ثم خرجا واستلقيا على السرير وباتا حتى منتصف اليوم التالى وغادر متولى وابتعد عنه عدة أسابيع فاجأتهم فيها حادثة المنصة وقتل رئيس الجمهورية فتفرقوا بعدما سعت اليهم أيدى المخبرين وسافر فريد إلى نابولى بجواز سفره الإيطالى وكان باسم فريدمان عيزرا صاموئيل بينما فى البلدان العربية يعيش باسم فريد عزت جبرائيل وتبعه عنتر عبر تدبير من السفارة بتوصية خاصة من رئيس الأكاديمية وبإلحاح منه وخلال هذه الفترة عاش متولى حسون أو حزون كما أطلق عليه خال بصلة عندما استبقاه معها فى داخل حوشه وجعل له بجانبه ورشة دكو ودهان للسيارات لأنه كان ذو وجه عابس بطبيعته لا تؤثر فى لحاته أية طرفة فإذا ضحك ازداد عبوسا إذ كان نابيه السفليين أضخم من كل أسنانه ويبرزان ما إن يفتح فمه مبتسما أو ضاحكا وقد أخذا عليه عهدا بعدم العودة لأفعاله التى اعتاد عليها مع هذين الشخصين ثم أطلق لحيته وعاش عيشة الكفاف وكثيرا ما سمع حكايات عم بصلة التى كان يرويها عن فترة شبابه خاصة بعدما التحق بالجيش واشترك فى حرب العبور ومغامراته كسائق بهيئة النقل العام وما حدث له ورفاق السلاح بعد خيبة السلام وكان يراقبه كثيرا فى ذهابه وإيابه وإن كان أغلب إجازاته يقضيها لدى عائلته بكفر الشيخ إذ أنهم عادوا إليها بعدما قبض عليه وأخذت منه شقة الهيئة المؤجرة حتى فاجئه يوم أتى فيه شخص بسيارة نصر ملاكى طلب منه طلاءها سريعا باللون الأحمر ثم أتى أحدهم بعد يومين وأخذها وأعادها رابع يوم تاركا لها فى مكان قرب وسط المدينة بحجة تعطلها فذهب وأتى بها وقد وجد عليها أثر صدامات واحتكاكات فطالبه بإعادة سمكرتها وطلاءها ففعل دون سؤال إلا أنه سأله فى المرة الثانية عندما أتى له بسيارة كابرى بها ثقوب طلقات رصاص وأراد منه إخفاء معالمها :

– هو إيه اللى حصل للسيارة؟

- فوعده بإخباره بعدما يفرغ من مهمته وظل يعمل بها ما يقرب عشرة أيام حتى سمع الناس وهو يهم بجلب الشاى من قهوة بوسط الشارع أمامهم على ناصيتها بائع جرايد تتحدث عن بيان ثالث لتنظيم ثورة مصر فأخذ نسخة وتوجه بها ورفعها فى وجه عم بصلة فرد عليه بأنه قد عرف السر فعليه كتمانه وهنا انتفض الجميع وكان مقدم الأمن أسرعهم سؤالا :

- هل تريد أن تقول أنكم شاركتم فى تنظيم ثورة مصر؟ لا لا ليس معقولا ؟؟!!

- وهنا اشتعلت نفسه حيرة فهل يخبرهم أم يصمت فأكمل مترددا أنه لم يكن هو إنما عم بصلة وأكد لهم أنه بعد أن اشترى الصحيفة وواجهه بها أقر بأنه كان يساعد فى إحضار سيارات متنوعة لبعض الأشخاص لإستخدامها فى اصطياد الإسرائليين وكانوا قد أعترفوا له أثناء تجهيز إحدى سياراتهم للمراقبة فى أول الأمر وتأكدوا من حقيقة عزمه وأن الإنتماء والحماسة الوطنية مازالت متقضة شعلتها فيه ولم تنطفىء أو تذبلها بيوع الإنفتاح والسلام الوهمى خاصة بعد علمهم بإشتراكه فى حرب أكتوبر وقد سر لذلك سرورا عظيما وعرض عليهم الإشتراك بالتنظيم إلا أنهم أكتفوا بأن تكون مهمته تجهيز أو إعادة تغيير دهان و سمكرة السيارات عند طلبهم مع ضرورة الإحتفاظ بالسر وكتمانه وكانوا يأتون بها إليه ليتم إعادة طلائها وسمكرتها حتى جاءت قوة من الأمن السرى وقلبوا الحوش رأسا على عقب بحثا عنهم ولم يجدوا أحدا فكان عم بصلة وقتها فى بلدته كما اعتاد أن يبقى لدى أهله عدة أيام أما هو فقد بلّغ فرار ودبر لنفسه سفرية للعراق وقبل أن يسافر أرسل إليه وحذره من العودة للحوش وبقى هناك حوالى ثلاث سنوات وما إن اندلعت حرب الخليج الثانية ففر عائدا إلى مصر ورجع لمكانه ووجد آخرين وضعوا أيديهم عليه منهم بعض صبيانه وكانت قد تغيرت المنطقة وبنى حول الحوش عدة ورش ومساكن من الصفيح استولت الأهالى على نصفه وفوجىء بعم بصلة مازال يعمل بالجزء المتبقى وأخبره أنه عندما عاد ووجد آخرين استولوا على أجزاء منه ساومهم على بيعه وتحصل منهم على الثمن وبعضهم ممن استحسن أخلاقهم شاركهم فى ورشهم وعاد يعمل معه مدة سبع سنين ولكنه كان ما زال لديه الإحساس بأنه يخفى سرا أكبر فصارحه يوما بشكوكه فأجابه بأنه كما علم بخبر تنظيم مصر وأنه الوحيد الذى يعلم مقدار مشاركته فيه سيأتى يوم ويخبره بباقى القصة فأعاد عليه وعده الذى قطعه على نفسه من عشر سنين بأن يحفظ السر مهما كان ووعده الآخر بأنه سيخبره بكل شىء عندما يحين الأوان ثم أفزعه يوما عودة عنتر للبحث عنه ولكن عم بصلة حذره كثيرا منه ومن الذين وراءه ولكنه لم يستطع أن يبتعد عنه رغم كثرة محاولاته للتهرب منه خاصة أنه عاد بشكل غير الشكل الذى كان عليه منذ خمسة عشر عاما وكان دائما يغريه بالمال والسلطة والجاه فلما استسلم لإغرائاته مجددا أخذه معه إلى المركز الثقافى الفرنسى بوسط البلد وتعجب من هذه النقلة وتبديل الولاءات من الأمريكية للفرنسية .

وابتعد عن عم بصلة وانتقل للحى الراقى مع إفتتاح معرض سيارات حديثة شراكة بينه وبين عنتر وفريد أسفل شركة مواد غذائية يمتلكانها فى برجهما و كانت هذه واجهة لنشاطهم الجديد فى تجارة الآثار

وتخليصات جمركية واستيراد سلع معاد تجميعها ومواد غذائية يتم التلاعب فى تواريخ صلاحيتها كايام الإنفتاح السالفة وكانت أغلب الصفقات تتم داخله حيث تأتى القطع الأثرية داخل سيارات نقل لتحميل السلع والمواد الغذائية من جميع الجهات المصرية خاصة جنوب البلاد يليها بعد أن تغادر سيارات ملاكى يأخذ سائقيها ثمنها ،وكانت إما دولارات سائلة يخبئونها بداخلها أو سيارات جديدة مستوردة خالصة الجمارك تستبدل بالتى أتو بها واستمرت الشراكة والتجارة والتهريب وانسجم معهم فأخذوه بسهراتهم داخل الجمالية وهناك كانوا يتجمعون فى بعض قصورها الأثرية بحجة إقامة ندوات ولقاءات فنية وثقافية وكان أكثرها استقبالا لهم قصر المسافرخانة الذى تفد إليه معهم أشكال وألوان من البشر متعددى الجنسيات والملل والثقافات رجال وسيدات تحت زعم فنانين تشكليين ومصممى أزياء وديكورات وفى حقيقة الأمر تحولت إلى دار دعارة مختلطة :رجال مع رجال ونساء مع رجال وفى هذا اليوم المشئوم فاجئه فريد بطلب مساعدته فى إدارة الطاحونة -درة المسافرخانه وعجيبتها-

– تعالى شد معاى الطاحونة دى ؟وقد كانت عبارة عن ساقية خشبية بالطابق الثانى كانت تستخدم لجلب المياه لداخل القصر من بئر عميق متصل بالنيل عبر قناة أسفل أحياء المدينة يديرها ثور كانت مخصصة له إقامة بفناء خلف القصر فى الزمن المملوكى يصعد إليها عبر ممر خاص ممهد له فما إن يصعد إليه وتوضع حوامل دفتها على عنقه ويديرها فترتفع المياه أولا فى نافورة وسط القصر كانت مشيدة بأجمل قطع القيشانى والرخام ثم تنساب إلى حجرات الحرملك المخصصة لنساء القصر عبر ممرات خاصة تتجزء لطرف ثالث يذهب إلى حمامين بالسلاملك أحدهما شتوى تمر خلاله المياه على معابر جصية أسفل المنزل فتصبح ساخنة فيستمتع الرجال بالماء الدافىء والثانى صيفى معابره من الرخام ملتفة حول المنزل من الداخل وبها بعض فتحات علوية تكسبها رطوبة مناسبة فتتحول إلى مياه باردة تدخل إلى مغاطسه وأثناء محاولة إدارة دفة الساقية وقف فريد أمامه ممسكا بها ثم طالبه بمساعدته فى دفعها لتجربة إخراج الماء كما كان يفعل الثور ورغم أنها قطع أثرية إلا أنهم استباحوا كل شىء فى القصر وفعل ما طلبه فظل يجذبه إلى منتصف عجزه أكثر فأكثر بإدعاء صعوبة دفعها حتى اشتعلت شهوتهما فأوسع وأرخى حمالات بنطاله وأنزله لقدميه وأخذ وضعية الإيلاج فأدخله به رويدا رويدا وهما يديران الدفة فاستوعبه جميعا وارتفع الماء فجأة فى نافورة القصر الوسطى وخرجت تأوهات نسائية قادمة من الحرملك وأخرى من الحديقة الفسيحة بالقصر وبعض الحجرات التى كانت سرية وقت بناء البيت وأصبحت مخادع للفنانين ومنتسبى الثقافة وأثناء إلتهاء الجميع بنزواتهم كان يقوم آخرون بتكسير الإيوانات ويأخذون المنمنات الذهبية ونوادر الأحجار الكريمة والأعجب فى الأمر أنه ذات يوم سابق تم تقطيع عمودين رومانيين وردىّ اللون كانا فى واجهة الحديقة ترتفع عليها مظلة برجولة من خشب الزان المزين بأرابيسك محشو بعقيق يمانى أحمر تحيطه قطع كروية من الزبرجد الأخضر تمثلت داخلها زهرات فى قمة الروعة والجمال وخرجوا بهم وسط الناس عبر الزقاق الضيق ولم يعترضهم أحد من رجالات الوزارة المنهمكين فى ملذات لياليهم أو حتى الناس حول القصر من تعودهم

على خروج القطع الفنية والأجزاء الأثرية فلم يعيروها أى إهتمام ومن غرائب تصاريف السياسة أن ظهرت هذه الأجزاء كاملة خاصة العمودين الورديين فى أوربا خلال بضعة شهور قليلة ولم يحرك أحد ساكنا فى الدولة فالعمودين وضع أحدهما باللوفر والثانى بمتحف روما الوطنى أما برجولة الأرابيسك فذهبت للمتحف الوطنى بلندن وكانوا يتجمعون هناك كل يومى سبت و أحد ويفعلون ذلك بصحبة كثير من الدبلوماسيين وأعضاء المراكز الثقافية بالداخل والأكاديمية من روما وكثير من أعضاء الإتصال الخارجى والسياسى والعلاقات العامة حتى جاءت ليلة إحتفال خاصة بنجاح معرض الوزير الفنان وتجديد الثقة فيه فكانت معهم متعة النساء والرجال وحشيش الأفيون بجانب شوايات اللحوم والكفتة بيهو القصر ومن شدة إنغماسهم فى الرذيلة لم يلحظوا النيران التى انتقلت من الشوايات إلى المشربيات والإيوانات الخشبية واشتعل حريق محدود كان يمكن أن تطفئه زجاجة مياه صغيرة ولكن من شدة السكر والإلتهاء خرجوا جميعا على حالتهم عرايا فإذا الأهالى الساهرون بعد منتصف الليل يرونهم كذلك فطاردوهم وتركوا النار بداخل القصر فأخذت تتسع وتتشعب لتلتهم كل الإيوانات الخشبية وارتفعت النيران شاهقة حتى أتت على كل القصر وبعد عدة أيام أفاق الجميع على الكارثة وقد حلت فأسرع متولى إلى الحوش-فوجد العم بصلة وقد أتت عليه كهولة سنه-ولكنه عاتبه ووبخه بل وشتمه على عودته إليه وكثيرا ما حذره من سبيل هؤلاء وأخذ السباب والشتم ولم يغادر فتركه ولم يطرده حتى مرت حوالى ثمانية أشهر وفى يوم سقط العم بصلة بأرضية الورشة وكانت ساعة رحيله قريبة فطلب منه مجالسته لبضعة ساعات ثم نقله لبلدته وأثناء هذه الدقائق أخبره السر

- لقد قمت بتشكيل تنظيم خاص للإنتقام من الإسرائليين بعدما قبض على أعضاء ثورة مصر ،واعترف له أن السنيين التى سافر فيها رجع هو للحوش بعد أن أغلقت القضايا بالنظام الجديد واستدرج على فترات خمسة عملاء كانوا متجنسين بجنسيات مزدوجة منهم ثلاثة إنجليز وفرنسى وأمريكى وقتلهم ودفنهم فى المكان الذى بنوا فوقه مساكن الصفيح وحوله أقيمت أعمدة توسعات الكوبرى العلوى- وأنه شارك آخرين فى مجموعات صغيرة متفرقة تترقب للإسرائليين قدومهم وكانت أغلب هذه المجموعات لرجالات من أبطال أكتوبر وفدائيها الذين عزّ عليهم أن يغلبوا فى بلدهم بلا حرب وعرّفه بمن ما زال حيًا هذه الأيام ليوصل لهم خبر وفاته وتوديعه لهم مع إرسال بعض قلادات لشركاءهم فى الحرب ممن فقدوا وقتلوا أثناء المعارك لإستكمال العهد بأخذ ثأرهم بعدما فرط فيه الآخرون بأبخس الأثمان ثم أخذه إلى أهله وجلس معهم يوما ثم فارق الحياة وعاد للحوش وكان قد أعطاه بعض الأوراق الخاصة بتملك أجزاء من أرض الحوش كتبها له مقابل أن يعطى ثمنها لأهله ففعل وأصبح المكان له وأخذ يبحث عن قبور المتجسسين حتى استدل عليها وكانت على هيئة حلقة دائرية بين عمودين من أعمدة الكوبرى الجديد فطمسها أكثر مما فعل الشهيد بصلة ثم أقام فوقها مزرعة للخنازير بجانب مقلب القمامة والروبابيكا الذى تفرغ به حمولات الأطفال السريحة الذين امتلأ بهم الحوش (وهنا طلب منه المستشار الأول التوقف للإستراحة وإعادة تكرار أقواله بعدما استدعوا كاتب التحقيق) وليبدأ من

ساعة معرفته بقصة تنظيم ثورة مصر وعم بصلة (وكان المستشار الثانى قد غلبته الفرحة فرفعه عن الكرسى من كتفيه وتأبطه وأخذه بين ذراعيه فرحا بما سرده عليهم وسط دهشة واستعجاب خفيفين من الآخرين) فجاء الكاتب وسجل كل كلمة قالها عن عم بصلة ما عدا السر الذى قرروا أن يبقى بينهم فقط ومنه التعريف بشخصيته(كان اسمه الحقيقى محمود شمس الدين أحمد عبدالله وكانت شهرته فى هيئة النقل العام" شمس الدين" نحيف الجسم شديد العظم ذو شارب رفيع حاد شعره أكرت مسود ببياض وسطه صلعة لم تظهر تماما إلا قبيل وفاته بخمس سنوات من مدينة دسوق أتى العاصمة أوائل الستينيات وكان شابا ذو ستة عشرة عاما بمجرد أن أنهى دبلوم الصنايع واستخرج بطاقة شخصية وكان قد أرسله والده لدى خال أبيه الذى يعمل بمصانع حلوان للحديد بينما كان والده بائع حلويات أمام السيد الدسوق بعربة تقف على أحد النواصى القريبة من البيت الذى يقيمون به وكان من ثلاثة طوابق مستأجرا به الشقة الثالثة وهى شقة ذات ثلاث غرف إحداها طويلة تستحوذ أغلب الجانب الأيمن وأخرتين متوسطتى المساحة إحداهما بجانب الباب وكانت حجرة استقبال للضيوف وفى ذات الوقت مبيت للولد والثالثة نوم لشقيقتيه وبينهما رحبة توضع بها كنبة بعرض الحائط ذو الشباك المطل على الشارع بين الغرفتين وتفتح عليها بشباك صغير أما غرفة الضيوف فلها شباك على الشارع الرئيسى للبيت بينما الأولى هى غرفة نوم والديه وكانت أمه تربى على السطح الكثير من الطيور المنزلية مع برج حمام كان مشتركا لسكان البيت الثلاثة وتزوجت أختيه اللتين تكبره إحداهما بثلاث سنوات وتصغره الثانية بسنة فالصغرى تزوجت بابن أحد الجيران منذ أشهر قبيل سفره بينما الكبرى استقرت فى آخر الشارع ولديها طفلين صغيرين وفى العاصمة ألحقه خال والده بأحد ورش السمكرة لبضعة أشهر تعلم خلالها فن طلاء السيارات وإصلاحها فكانت سببا للإلتحاق بهيئة النقل العام إذ لاحظه أحد سائقيها وأعجب بمهارته فدله على الهيئة التى طلبت سائقين وفنيي سمكرة فسارع الولد لخاله والذى ما إن علم حتى سعى له فى التقديم لها ووفق للوظيفة ولكن داهمته الأيام بوفاة والدته فأشار عليه الجميع بضرورة الزواج لكى تأتى من ترعى والده فما مرت الذكرى الأولى لوالدته حتى زوج من إحدى بنات الجيران فى غرفة الأختين وهما اللتين سعتا فى اختيار العروس حتى اقترب يوم ولادة طفلا له فذهبت الزوجة لبيت أمها وأنجبت ولدا أسماه"جمال"وهنا صارحه الأب بعزمه الزواج فلم يعترض وكانت الإبنتين هما أيضا المدبرتين لهذا الزواج وبعيد سنة استأجر شقة بمنطقة قرب المطرية تحيطها أراضى زراعية عرفت بعد ذلك بعزبة النخل فجلب إليها زوجه وابنه وما إن استقر بها حتى زف إليه خبر ولادة شقيقا له فاغتم وفرح فى آن واحد فالفرح إذ صار له أخا والغم لإحتمالية دخوله الجيش وكانت نزر حرب ٦٧ تدق على الأبواب وحدث ما حدث وحصلت النكسة ولكنه لم يستدعى وظل بالهيئة وأن تدرج من مجرد فرد صيانة لسائق أتوبيس بسبب قلة السائقين الذين أخذتهم الحرب ورزق بفتاة اسماها "انتصار" حتى إذا ما أكملت عامها الثانى استدعى للجيش وألحق بفرق المركبات واشتهر بينهم باسم"أبوجمال الدسوقى" وذهبت سنة ونصف قضاها بالوحدة ثم

أنبلجت حرب أكتوبر فكان من ضمن الفوج الثانى الذى عبر بالمعدات وظهرت موهبته فى سرعة إصلاح المركبات وتجهيزها ودائما كان يطلب من قادة الوحدات باسمه فكلما تعطلت مركبة وعجزوا عن تشغيلها نادوا على بعضهم :

- "هاتولنا أبوجمال الدسوقى" وحوصر مع الجيش الثالث وأبلى بلاء فائقا فقيل أنه أصلح مائة مركبة حربية فى خمسة أيام وتصدى لتقدم الإسرائليين بل وقتل منهم ما يقارب العشرين ولكنه جرح من إحدى قذائف الدبابات التى أتت شظيتها بكتفه الأيمن فأعجزته بعض الوقت عن صيانة المركبات ولكنه لم يبالى وأنجز كل ما طلب منه حتى أتى يوم ووضع مع المجموعات التى تستلم تعيينات لمدينة السويس والجيش الثالث فكانت له طرقه فى إخفاءها داخل السيارات وتمويه سيارات أخرى وتمريرها من مدقات استكشافها مع بضعة ضباط وعساكر الجيش كانوا خلالها يمررون كثير من تعيينات الأطعمة وبعضا من الذخائر وطوروا الخطط حتى استطاعوا شن غارات على الإسرائليين وقتلهم وإخفاء جثثهم عن وحدات المتابعة الدولية التى كانت ترقب الأوضاع حتى توصلت إليه وحدة تنصت أمريكية إسرائيلية وعلموا بمجموعته وألتقطوا اسمه الحركى"جميل مطرية " وكثيرا ما ألحوا فى طلب تسليمه بتهمة خرق الهدنة وقتل إسرائليين من ذوى الأصول الأمريكية فلما تولت هيئة الأمم شكواهم لم تسفر تحرياتهم عن اسم لضابط أو عسكرى بذات الاسم وأغلقت الشكوى وانسحبت قوات إسرائيل من الثغرة إلى أبعد نقطة تلاقى بالجيش المصرى فى عمق سيناء ولكنهم لم ينسوا هم أو الأمريكان شخصا اسمه "جميل مطرية" وانتهت مدة خدمته بوسام عسكرى عاد بعدها للهيئة وثبت على وظيفة سائق وأتى بولديه وأمهم من بيت أبيه الذى توفى بعد الإنتصار أثناء فترة الحصار فلم يحضر جنازته وإن كان أقام له واحدة بعد عودته للحياة المدنية تحولت إلى عرس من كثرة المهنيئن وكؤوس الشربات التى كانت توزع فيها فرحا من أهالى شارعه وبلدته بالإنتصار العظيم ثم رزق بابن ثالث خلال العام التالى أسماه "نصرالدين"وظل سعيدا مسرورا مع أسرته الصغيرة بالقاهرة والكبيرة بدسوق يرعى شقيقتاه وأخيه وأمه والتى ما انقطعت الصلات بينهم يوما حتى فاجعته كما فجعت مصر حالة الرئيس المزاجية واتخاذه قرارات أضرت بالجميع إلا قليلا ممن لم يحاربوا ولكنهم صاروا أبطال زور تحلقوا فى المناصب وبدأوا سلب الوطن عزته ومجده فلما اشتد الأمر على الجميع انتفض الشعب المصرى ولكنها حولت من إنتفاضة أحرار إلى نقضة موت فأخذ الشعب على غرة وتبدلت الأخلاق وسقطت القيم .

وبعد سجنه شهورا أراد العودة لعمله فأبعد بقرار من أحد القافزين على المناصب ممن أدعوا بطولات زائفة فى حرب أكتوبر وإن كانت وظيفته الأساسية استبعاد كل من شارك فى النصر أو كان له هوا ناصريا،فوجد شمس الدين نفسه من المستبعدين ومنع من مكافأته ولم يستخرج له معاش بإدعاء تركه عمله شهورا بدون عذر فضاقت عليه المعيشة فاستبقى أولاده ببيت أبيه وظل فترة بدسوق على الذكريات وأصابه الإكتئاب الشديد حتى أتى إليه يوما خال والده الذى استبعد أيضا من مصانع

الحديد بعد عشرين عاما قضاها بها ولحقه مالحقه وأتهم بتأليب العمال من قبل الهيئة الجديدة لمجلس إدارة المصنع وقد كان أحسن حالا من حفيد أخته فجعل له معاشا وأعطيت له مكافأة استطاع بجزء منها استئجار مكان بمنطقة المرج التى كانت بركا وغيطان تكسوها أشجار الجميز والنخيل استعملها كورشة حدادة فأراده معه لفتح ورشة سمكرة واقتنع وأتى معه وفوجىء بالمكان إذ كان عبارة عن أرض فضاء متسعة يتخللها كثير من النخيل بطرفها الأيسر وبجانبها الأيمن قامت ورشة حدادة خاله فبنى بجوارها ورشة السمكرة وسارت المنطقة كحوش لأعمالهم واشتهر هناك باسم عم بصلة وأصل هذه التسمية أنه كان دائما ما يأتى الصباح قبيل بدأ العمل بحزمة جرجير وبصل ويعرج على مطعم فلافل فيأخذ طبق الفول وقرطاس الطعمية ويفض الحزمة ويأكل مع الآخرين أو بمفرده وكانت عادته منذ أتى من بلدته واستمرت معه فى هيئة النقل و كان الذى يناديه بها خاله فصارت علما على ورشتيهما"ورشة بصلة للحدادة والسمكرة "هكذا يصفها الجميع لمن يسأل عنهما واتسع رزقهما ووجدا كثيرا من الشباب العاطل والصبيان والفتيات قد ملأت الشوارع فحاولا جمدهما لإنقاذهم فنجحوا مع البعض وفشلوا مع كثير وكان من هذا البعض "متولى حسون" فأخذه يوما بعدما رآه فى مطعم الفلافل ونظر ليديه فعرف منها أن له نفس الصنعة فاقترح عليه العمل معه فوافق فلما استمر معهما ورأى الخال كثرة حزنه وعبوسة أساريره سماه "متولى حزون " واستمر معه بعد وفاة خاله فكان كثيرا ما يغيب عنه لشهور ثم يعود إليه ويتقبله حتى صارحه يوما بإستقلاله وإشتراكه مع آخرين فى شركة بيع وتأجير السيارات وإن لم يقطع صلته به فمن كانت لديه سيارة عجز عن إصلاحها جميع من فى كار السيارات يرسله إلى ورشته وقبيل وفاة عم بصلة وفى آخر مرة عاد إليه " حسون "جاءه محامى ممن أصلحوا سيارتهم عنده منذ سنوات فتعرف منه على قصته فوعده بأخذ قضيته على عهدته الشخصية ففاجأهم فى ذاك اليوم قبل وفاته ببضعة أشهر بمجيئه بحكم استحقاقه معاشا من الهيئة مع مكافأة نهاية الخدمة ومجمد المعاش ففرح بها كثيرا وجعلها لأهله وكانت من المبشرات قبيل وفاته.

وهنا استوقف المحققون متولى عن الكلام وإن بدرت منه حماسة ورغبة فى استمرار السرد ولكنهم استكفوا هذا اليوم منتشين هم الآخرين وإن كانوا لم يدروا لما هذه الغبطة والنشوة وشددوا على المقدم توفير حماية كافية له ومخاطبة آخرين ممن يثق بهم خاصة من جهات الأمن الأخرى ففعل وحيّوا بعضهم متعاضدين كما لم يكونوا من قبل وأوفوا متولى حقه من الثناء وشد الأزر لعل أن يكون لديه أكثر من مباهج الأسرار التى تضىء تلك الليالى المظلمة وهو كذلك ارتفعت روحه عاليا وراح كل واحد يفتش فى نفسه عن سر الإنتشاء والسرور فها هو المقدم مختار الغرباوى يتذكر حديث والديه عن أخوته الذين قتلهم الإنجليز والإسرائليين صغار قبل أن يولد فقد كان والديه يعيشان ببورسعيد الأب هريدى عبدالعال مختار ابن إحدى أكبر عائلات سوهاج سليل الأمير همام أمير الصعيد والأم ابنة محمود الغرباوى أحد باشوات الفلاحين يمتد نسبه لأحمد البدوى عاشا ببورسعيد بعد أن ألتقى والديهما فى ليلة من ليالى السيد البدوى وتوضدت صلاتهما حتى كبرا أبنائهما وتزوجا وهناك التحق

الوالد بشركة للنقل البحرى تابعة لشركة قناة السويس وأنجبا ابنا عام ١٩٤٧ قتل وله تسعة أعوام أثناء العدوان الثلاثى بنيران المعتدين الإنجليز وفطر قلبيهما فلم يرزقهما الله غيره لعدة سنوات ثم اقتضت حكمة الله أن يعطيهما توأما بنتا وابنا بعد خمس سنوات من وفاة أخيهما وقتلا أيضا وقد أُكملا سبع سنوات فى غارة إسرائلية على بورسعيد أصابت الأب بفقد لإحدى عينيه ومرضت الأم بداء السكرى حزنا على أبناءها وهجّرا مع الراحلين وذهبا بحزنهما إلى أهلها بقرية من قرى قطور الذين بنوا لهما بيتا بجوارهم وبعد الإنتصار بقيا ولم يعودا إلى هناك ورزقهما الله بعد ذلك بثلاث أطفال بنتا ثم مختار ويليه أخ ثالث وأما المستشار أحمد الشرقاوى فهو حفيد للزعيم مُحمّد كريم من ناحية جدته والدة أبيه والذى انتقل والدها من الإسكندرية ليستقر بمدينة الزقازيق بعدما أعدمت الحملة الفرنسية أبيه بالقاهرة ويشاع أن والد جدته كان قائدا بجيش أحمد عرابى وقتل على أيدى الإنجليز فى معركة التل الكبير بعد خيانة ديلسبيبس وكان هو ابن كاتب بمحكمة الزقازيق بينما الأم تنحدر من عائلة بنى عطايا إحدى العائلات التابعة لقبيلة النفيعات التى يمتد فرعها إلى فلسطين وكان له خمسة أخوة واحد قبله قتل بغارة إسرائلية على غزة عندما ارتحل إليها ليزور أقارب والدته وشقيقتين تكبرانه واثنين يصغرانه.وأثناء مغادرتهم تبادلوا بعض تفاصيل قضايا يتابعونها أو يجَمعون حولها الأدلة والمعلومات ومنها مركز الحضارة والسلام ذو الواجهة الإجتماعية كجمعية خيرية أدبية .

عبارة عن مبنى مكون من أربع أدوار على ثلاثة نواصى يعلوها سطح واسع جدا معد و مخصص لإقامة حفلات أو ليالى أدبية وثقافية تقيمها السفارة بهذا المقر وقد اشترته من أحد ملاكه الأوربيين لتميزه وإطلالته من وسط العاصمة على شارع يقابل النيل حيث أغلب الشوارع على نسق واحد وكل مبانيها القديمة لا تزيد عن خمسة أدوار استخدمته ومازالت السفارة كمقر لبعض أعضاءها وإن كانت خصصت الدورين الثانى والثالث به كمركز ثقافى يلتقى فيه أعضاء السفارة مع بعض مثقفى الدولة من ذوى الميول الفرانكفزنية أما الطابق الأول فخصص لاستقبال المواطنيين ممن لهم رغبات للسفر إلى فرنسا أو الهجرة إليها فيتم إعدادهم بهذا المبنى قبيل إرسالهم إلى إحدى نقاط التجمع ببعض الدول المجاورة .

وبعدما اطمأنت مديرة مدرسة البنات الدولية الحديثة لغات- لحال ابنتها أخذتها وتوجهت إلى مقر المركز يوم الجمعة المخصص لتلقى الطلبات ومقابلة المواطنيين وهو يوم عمل لديهم فقابلتهم "السكرتيرة "وكانت تجلس فى بهو مزجج يتخلله عدة مكاتب فارهة بها أبواب مانعة للصوت زيها قصير جدا بلوزة حمراء بجمالات تبرز ثدييها الصغيرين ووسطها مكشوف وبنطال نصفى أصفر اللون ،شقراء على جسم رفيع أبيض كأنه شد على عود تلبس حذاء زجاجى له دقات رنانة عندما تمشى به على أرضية من الرخام الأزرق .

-" أفوتر سرفيس ؟ " تسألها عندما دخلت إليها "

-إحنا روحنا السفارة علشان تأشيرة الهجرة وخلصنا كل حاجة بس فاضل المقابلة بتاعت النهاردة"هكذا ردت المديرة "

-تمام مدام : اسمك مسجل عندنا اتفضلى " ومدت يدها بورقة مكتوب عليها رقم ٦٦ وبها اسمها واسم ابنتها وأدخلتهما غرفة مجاورة من خلال ممر ضيق وطويل بها بضعة سيدات وفتيات وجلستا فى تترقبان دورهما وأخذت تتناقش مع بعضهن وبعد برهة سمعت رقمها من خلال تليكم " بعد أن رن جرس بجوار السكرتيرة وتوجهت لغرفة المقابلة التى كانت فى جانب حجرة الإنتظار تمشى إليها من خلال ثمانية درجات لأسفل ثم خطوات على ممر مستطيل له جوانب داخلة بالحائط تخرج منها أضواء زرقاء ومثلهن لأعلى ثم تستدير يسار بطريق مماثل فإذا بها تلتقى مدام شاهيناز التى ما إن لمحتها حتى سحبتها من يدها نازلة بها الدرجات جانبا فى إحدى الزوايا :

- شوفتى يا مدام بسنت "وبتحية وسلام أزيك يا نادين إيه الأخبار استلمتوا التأشيرة "؟

- نو ،أصل اللى عايزينه غريب أنتى عارفة دول " وتخفت صوتها وتلتفت حولها وترفع بصرها إلى كاميرا مثبتة فى مدخل السلم الصغير" مش عارفة أقولك إيه ثم تسحبها جانبيا أكثر داخل زاوية الحائط وتخبرها بقانونهم بأن التى تسافر وابنتها معها أن البنت لابد أن تكون ..... ولم تكمل وحركت لسانها بكلمة فهمتها المديرة أثناء الحديث الهامس ولازم يتأكدوا من ذلك وبواسطة الشخص الموجود بالداخل ويديرالمقابلة وهو بنفسه الذى يستوثق من ذلك "

فقالت لها :

- عادى ودى فيها إيه " وبدا على أم نادين قليل جدا من الإستغراب وكأنها تسمع إقرارا بواقع موجود بالمدارس الدولية ذات المناهج الغربية وتوجهت للبنت

- نادين ما أنتى كنت عندنا فى المدرسة وعارفة شغل البنات إيه مش معقولة مفيش حاجة كدا " فأطرقت نادين بعيدا عن ناظرى أمها"

-وكأنها مستغربة :" إيه هو كان فيه حاجات من دى فى المدرسة " ملقية نظرة بين ابنتها وابنة المديرة "

- ما أنتى عارفة بنات وشبان اليومين دول مع بعض على طول وبقوا بيعرفوا كل حاجة الموضوع بسيط ما تكبريش الحكاية " يالا تعالى تعالى معاى ونشوف هايقولوليك إيه " ووضعت يدها على كتفها لتأخذها أمامها ثم نزلت بها على خصرها حتى أردافها وربتت عليها وتحركت معها ثم استوقفتها الأخرى وأمسكت سلسلتها ذات الصليب الفضى بطرفى أصبعها "

-دا أنا كنت فاكرة أنهم لما يعرفوا أنى زيهم هيوافقوا من غير أى حاجة

-زيهم يعنى إيه ؟!" وتبدى إستغرابا بإستهزاء من خلال ابتسامة على شفتيها يا ستى الحاجات دى مش مهمة عندهم ،المهم إزاى هاتعيشي هناك هم عايزينك تطبعى بطبعهم من قبل ما تدخلى أوربا والموضوع معمول مخصوص فى بلادنا علشان الثقافة بتاعتنا وهم مش عايزين حد يروح يغير فى بلدهم أو يسيطر عليها لا دينيا ولا سياسيا ويبقوا هم أقلية حتى ولو عن طريق عرف ثقافي طب اسمعى أنتى عارفة عيلة صفوت بركات

-ومين ما يعرفش صفوت بركات ؟

-أهو مش زيهم ولا حاجة لكن أول ماقدموا على الهجرة وافقولهم فى ساعتها

- بفلوسه واتصالاته طبعـــ " قاطعتها قبل أن تكمل الكلام "
- لا مش كده خالص دول أول ما أتوا هنا وعملوا المقابلة وعرفوا إن بنتهم اللى عندنا فى المدرسة حامل فى شهرين أدولهم التأشيرة وهم واقفين ولا تقول لى لبنان ولا جزاير اللى بيعتبروهم فرنسيين من قبل ما يتولدوا ... تعالى تعالى "
- البنت اللى كان ليها حكاية مع مسيو بودى ؟سألتها وهى عالمة بكل قصص المدرسة
- أيوه هى دى
- ودخلت المديرة وأم نادين وابنتاهما اللاتين كانتا تبتسمان لبعضهما وتأبطتا ذراعى بعضهما

وفى الغرفة كان يجلس مندوبا من السفارة وأمامه كأسا مملوءة بالشراب الأحمر ومساعدة له غير السكرتيرة أجلستهم على " أريكة " ورحب بهم" ووجه حديثه لأم نادين :

- إيه غيرت رأيك وردت :

- أصلوا زى ما تقول " فتدخلت فى الحديث مدام بسنت :

-"هى بس كانت مترددة وأنا أقنعتها "وأبدى ترحيبا كبيرا بها مع بعض القبلات وكأنهما صديقين لم يفترقا إلا من قليل "

- وإحنا يهمنا إن اللى يجى عندنا يكون مقتنع ومؤمن بكل قوانينا وثقافتنا وشروطنا " ثم تناول بعضا من الشراب وأعطته مساعدته ملفا بدأ يتفحصه وقرأ بصوت مسموع :

- مدام بسنت مديرة مدرسة البنات الدولية الحديثة للغات "ونظره مصوب لأم نادين" وابتسم شاكرا لها ومثنيا عليها وعلى دورها خاصة فى المدرسة وذكرها أنهم مبسوطين جدا من طريقتها فى إدارة المدرسة وكمان اهتمامها بمدرسى اللغة الفرنسية وبعض العاملين لديها وخصوصا مسيو "بودى "وعندها انتبهت ابنتيها ونظر إليهما نظرة يملؤها اللؤم مع ابتسامة خفيفة بينهم ثم تابع قراءته :

- صافيناز شوكت صبرى ١٧ عاما طالبة ثانوى لغة فرنسية بالمدرسة الدولية للبنات " بيان بيان " صافيناز اتفضلى وأشار بيده إلى كرسى جلد عريض ومرتفع أمام مكتبه فقامت وجلست حيث أشار وأمامها على الكرسى المقابل مساعدته

-إنتى عارفة أكيد وأنتو كمان شروطنا علشان تصبحوا مواطنين لكم حقوق كاملة فلازم تلتزموا بالقوانين والثقافة بتاعتنا وتعرفوا أننا إحنا أساس الحضارة الأوربية الحديثة وبنلعب الدور الرئيسى فى الإتحاد الأوربى بس بتواجهنا مشكلة بسيطة جدا جدا أن شعبنا بدأ يكبر فى السن "عجّز" ووصلنا لمرحلة الشيخوخة العامة يعنى نسبة الشباب قليلة جدا وعلشان كده فتحنا باب الهجرة من كل دول العالم خاصة للشباب اللى ممكن يجلبوا أحيانا معهم أهلهم يعيشوا فى دولتنا الحرة بس الأساس عندنا واللى هيحصل على الجنسية هم الشباب علشان كده لازم نتأكد من ولاءهم وإنصياعهم لقوانين بلدنا العظيم ودى " ثم أعطى لمساعدته بعض الأوراق التى أخذتها ووزعتها علي الأمنّ " وثيقة إذا وافقتم عليها يبقى من حق بناتكم الحصول على التأشيرة ثم انتظر حتى أخذتا الوثيقتين وبدأتا قراءتهما وكانتا مكتوبتين بالفرنسة فقط ثم أردف

- إيه رأيكم ؟

مدام بسنت " أخذت نسختها وبلا تردد وبقراءة سريعة

- " طبعا موافقين "وى ...داكور" ووقعت عليها بالموافقة رغم استغرابها من شرطين أساسيين يتعلقان بإختبارات قدرة الإنجاب للفتيات ثم سلمتها للمساعدة وحثت أم نادين على التوقيع بعد ترددها البسيط وأشارت المساعدة لنادين بالتوقيع وأعطت الأخرى لصافيناز ثم أعادتهما إلى المندوب

- تمام دلوقتى كدا نفذتوا أول خطوة نحو المواطنة الكاملة وتبقى خطوات قليلة وأهمها إننا لازم نتأكد من نضوجكم الجنسى والخبرة التامة فى أسلوب الحياة ودا علشان نضمن لدولتنا استمرار الأجيال "موجها كلامه "لصافيناز"" ونادين " التى أجلستها المساعدة مكانها أمام صافيناز فى مواجهة المندوب وكانت الغرفة جدرانها على ستة أجزاء أربعة منها زجاجية واثنين متقابلين من الرخام الأبيض وأرضيتها سيراميك لامع وشفاف ونقشت على الجدران الرخامية بطريقة مقلوبة ومرسومة كتابات عربية لا تظهر معتدلة إلا من داخل الجدران الزجاجيةومنها كتابة:" وأنحكوا ما طاب لكم من النساء " وعلى جدار آخر رسمت على هيئة امرأة عربية عارية عبارة :" اذهب فخذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب فذهب وأخذ جومر بنت دبلايم فحبلت وولدت له ابنا "

وغيرها كثير من الأشعار والنقوش العربية وبعضا من الأوشام والوسوم الغريبة ويتخير فى كل مرة موضع كل فتاة أمام أو فوق هذه الكلمات والنقوش كى تظهر بالكاميرات التى كانت تعج بها جدران الغرفة التى تتوسطها منضدة خشبية كبيرة معشقة بالنحاس جلبت من حى الحسين يليها مكتبه المعدنى وله كرسى صغير دائرى الظهر موسد بجلد وحرير ثم كراسى جلدية مرتفعة خلفها أرائك من خشب الصندل المطعم بماء الذهب ذات ظهور محشوة بكسوة حرير ثم غرفتين ملحقتين إحداهما متسعة بها سرير حديدى حديث عليه مرتبتين فوق بعضهما من النوع الحديث ومكتب صغير وبار مملوء بالزجاجات المختلفة ولها حمامها الخاص والأخرى صغيرة لا تسع إلا سرير خشبى صغير ومنضدة وكرسى وبها شاشة وبعض الهواتف وسماعات بداخل جدرانها ..وتحرك قليلا من مكتبه ثم أردف :

- واسمحو لى أنى أقوم أنا بالخطوة دى ما دامت معنا شابتين جميلتين " وصار واقفا تجاه صافيناز وأخذها من يدها وأوقفها ثم أزاح بيديه خصلات شعرها عن عينيها وأرسلها خلف أذنيها وقبلها على شفتيها وأشار لمساعدته إلى كاميرا بعدما ضغط زرا لتشغيل أخريات خلف الجدران وتوجه إليهم :

- لازم كمان نوثق الحاجات دى علشان تبقى نسخ تسهلكم الدخول لما توصلوا بلدنا العظيم وطبعا الشباب بتساعدهم أنجيلا -وهى مساعدته سيدة ثلاثينية بيضاء الشعر بوجه دائرى مشرب بحمرة على الوجنتين بعينين خضراويين وعودها ممتلء ملفوف مقسم لثلاث صدر عريض ومثله الفذخين وبينهما وسط تلمح منه دائرة مكتنزة على البطن وكانت ترتدى بنطالا جنزيا أزرق اللون حدد تفاصيل أسفلها يعلوه قميصا أبيض حريرى ذو خمسة أزرار الأثنين العلويين مفتوحين يطل منهما ثدييها- وتأخذ الكاميرا وتديرها على الأمين مبتسمة وهى تخاطبهم :

- الأسبوع اللى فات كان عندنا "بترو" وطلع عنده خبرة كبيرة قوى أنا أكتشفتها بنفسى وأدارت الكاميرا عليها وهنا توجهت مدام بسنت لأم نادين :

- بترو " أخو صافى كان هنا من أسبوع وهو دلوقتى فى ليون "

وأجلسها على المكتب وبدأ ينزع عنها ملابسها القليلة قطعة قطعة وبدأ فى اختبارها وهى تطاوعه فى كل ما يريد ويفعل حتى فرغ منها تماما وبعد أن انتهى أشار لنادين فذهبت إليه وبنفس الأسلوب وبعد لحظة حرك حاجبيه مندهشا موجها كلامه لأم نادين "

- ما هى نادين جاهزة " ولم تنبت ببنت شفة إلا أنها أطرقت أرضا وجانبيا ثم عاودت المتابعة وبعد ذلك وقع على وثيقة الهجرة بالموافقة وهنأها

- أفيك بليزير" مبروك لكم الجنسية أما باقى الخطوات فستكون فى بلدنا العظيم فرانس هتسافر صافيناز ونادين الأول ويدخلوا فى معسكر خاص لمدة شهر فى مكان تجمع قريب ثم ترسل كل واحدة إلى أسرة تعيش معهم مدة بعدها ممكن أن تذهبوا إليهم فى المقر الذى ستخصصه لكم الحكومة

- ومرة ثانية " وهو يجفف العرق عن جبينه ويرفع من درجة التكييف بالريموت " أهنئكم وألف مبروك لكم ولدولتنا ثم أعطاهم علما من الحرير الفاخر ...ورزمة من الأموال وأخذت كل منهما ابنتها وغادرتا وبدا عليهم الإنبساط ...واتفقوا على موعد لاحق ..وقرروا أن يأخذوا القطار من محطة وسط العاصمة للوصول للمركب التى حددها لهم المندوب بالميناء الغربى وأعطاهم تذاكر خاصة بالقطار الفاخر من كثير التذاكر التى لديه وكل منها بيوم وتاريخ محدد ومختومة بتوقيع وزير المواصلات ،والتى دائما ما تكون جاهزة لمدة شهر كامل ..وأشار عليهم بضرورة حضور الموعد القادم فى القنصلية بالاسكندرية ولم ينسى أن يذكرهما بحضور اجتماع الروتليز القادم لأنه سيكون له شأن عظيم على عضواته.

حريم الروتليز

وذات يوم ربيعى ذهبت حرم الرئيس فى جولاتها بنوادى الروتليز وافتتحت أحدها بقرب القصر الجمهورى قبيل غروب النهار بعد إعادة تجهيزه وتطويره وكانت ليلة صاخبة .فيها إعلاميات ونائبات وفنانات وسفيرات وطالبات وكل من يريد الغد الجديد أتت زوجته أو ابنته أو حتى أمه لتحجز لنفسها مكانا فى عهد جديد وهاهى الرئيسة الشرفية لتجمع الروتليز العالمى:تحيها على حضورها

- أحب أولاً أشكر وأرحب ب..... " خاطبتها بدون أى ألقاب وباسمها الشخصى "والتى شرفتنا اليوم وأخذت تسرد لهم تاريخها فى أرض النيل منذ عصر" مدام تيتى "وكان اسم الشهرة لديهم ووصفا لـ" أبرز سيدات مصر وقتها وكيف أن ذكرى هذا اليوم ((نهاية عام انتفاضة "الحرامية واللصوص "كما سميت وقتها فقد كان هو يوم تأسيس اتحاد نسائى لهم)) فبعدها تمكنت المنظمة من تحييد الأرذال وتلك لفظة انتشرت وقتها على كل معارض لسياسة النظام وسردت لهم قصة بعض المعارضين الذين حاولوا منعهم مثل ذاك المعلم فى إحدى مدارس العاصمة التى كانت قائمة فى قصر منيف هائل وأرادوا هم أخذ هذا القصر ليكون مقرا لجمعية "الإتحاد القومى للمرأة الجديدة " برعاية السيدة الأولى رائدة تحرر المرأة وقتها وذات يوم كانوا فى زيارة لها بتوجيهات حرم رئاسية وسمعوه يصف فى درسه وسط تلاميذه لحظتهم هذه بزمن إخناتون :

- وحكى أن هذا الفرعون كانت له نفس الهيئة" الورع والتقى" وأن الجميلة نفرتيتى كانت شريكته فى الحكم بل موجهته وملهمته للحب والحضارة والسلام ودسوا له لدى الرئاسة وعلى الفور أبعد إلى السجن معتقلا مع آخرين .. ومن يومها صارت الخطة كما أعدت ونفذت تماما وهاهم بعد خمسين عاما يجنون ثمار نضالهم) وكانت تسرد لهم نضالها طوال تلكم الحقبة وأكملت:

- وشعارنا الآن :المرأة للمرأة ...حرية المرأة فى كلمتها ....حريتها فى قرارها حريتها فى عملها .حريتها فى جسدها ونفسها تهبها لمن تشاء وقتما تشاء فقد انتهى عصر الرجال انتهى عصر مصر المغلولة بالأزهر والكنيسة (وهنا نبهت إحدى تابعات حرم الرئيس لوقع الكلمات فإنبرت خارجة من فورها وما شعر بها أحد أو اهتم لها أحد إلا وقت ترحيب رئيسة الروتليز بها عند بدء ندوتهم بعدما مر منتصف الليل)

- الآن عصر دولتنا المتفتحة المتحررة اليوم يوم جديد عصر جديد للعرب وأفريقيا انظروا انظروا ونظر الكل على شاشات عملاقة ملتفة حول القاعة (فإذا رايات الدول العربية متداخلة مع رايات أخرى) فى المؤتمر التأسيسى ل"نادى باريس للسلام والتنمية المستدامة "وهوجزء مستحدث ضمن "نادى باريس للدول الدائنة" ووسطهم تقزمت راية هيئة العروبة الخضراء ذات أغصان الزيتون (ورؤساءها وملوكها وأمراءهامتجمعين حول مجسم كوكبى صغير مع رؤساء وملوك من أوربا وأمريكا ،وتردف :

- لولانا نحن ما عم السلام أرض الشرق نعم نحن أصحاب النصر فقد كنا فى بيروت عند الحرب الأولى٧٦ وكنا هنا يوم القضاءعلى لصوص الناصرية وأشعلنا ثورات الربيع وكنا هناك بالجزيرة وناضلنا فوق نهر دجلة وبالشام وثبتنا وضعنا فى مراكش والآن نفتتح مراكزنا حتى فى الأماكن المقدسة وقريبا فى جنوب النيل ووسط أفريقيا وأرض بلقيس التى ستكون جميلة سعيدة بشكل جديد!!ويأتيها ملك اليهود ليأخذها على بساط الريح ؟!

بإختصار نحن نعيد تشكيل تاريخ أرضكم وترتفع هتافات النسوة وقليل جدا من المترجلين وعلى شاشات التلفاز تتبدل صور وزراء العربان متأبطين لنظراءهم من دول البعد والجوار وسط تصفيق من مندوبات الإنجليز والأمريكان والفرنسيز وتأتى آخر صورة لأمراءها وهم وسط جموع مندوبى نادى باريس للسلام والتنمية.

ورغم أن السلطة الجديدة فى أرض النيل ادعت ثوريتها ونضالها من أجل رفاهية شعبها وأمنه وحريته ولكن مالبثت أن ظهرت كوامنها وإذ بالمغضوب عليهم من العصر الأسبق يعودون من جديد بفساد أكبر وسطوة أعظم وعاد الشعب لسيرة قديمة وكأنّ أربعون عاما لم تكن كافية ومازلوا يريدون له أن يقبع فى نفس المستنقع .وتداخلت طرقهم ودروبهم حتى فى الهيئات السيادية الأربع .ومازال زمن (أزهى عصور الديمقراطية) له بقية حتى انتشر الفقر وعم الفساد أروقة الدواوين رغم الهالة الرقابية الحديدية التى أدع النظام أنها ستطارد كل مفسد والقبضة الأمنية الخانقة التى دخلت كل باب فى أركان واديها كأنّها الحارسة للثورة والعصر الجديد وعادت مؤسسات الحب والحضارة والسلام وازدهرت مثل المؤسستين "الأوربية الطبية والتعليمية" و"مؤسسة المرأة والتمكين" للحقوق السياسية واللتين ترأستهما عائلتين من أحفاد بكوات وبشوات عصر الإنجليز فالأولى بها الكثير من الأطباء و منتسبى العدل والأمن الذين خطوا لأنفسهم طريقا وسط مؤسسات الدولة محتمين غالبا بإزدواج جنسياتهم أو على الأقل جنسية زوجاتهم وأبناءهم – لثمة قانون تم تعديله بعدما كان يمنع عنهم ذلك وهم فى الخدمةفلما تركوها وجدوا أماكنهم بإنتظارهم بالمؤسسة الأوربية والثانية بها زوجات لرجال الأولى أو من يسير فى دربهم وكأنهم تقاسموا الأدوار للسيطرة على المجتمع بأثواب جديدة تدعى الحرية ومراعاة حقوق الإنسان على النهج الغربى .

وتأتى الحقيقية الفاجرة من داخل المستشفى الفرنساوى الخاص أحد أكبر صروح المؤسسة الأوربية والتى تملكها عائلة من أكبر وأشهر العائلات المسيطرة على أنفاس الشعب السياسية والإقتصادية ولها سبعة مقار فاخرة بالقاهرة فقط إحداها بالمنطقة الشعبية الأكثر ازدحاما، بطلتها ممرضة نقلت من المنطقة الشعبية للفرع الأشهر بأرقى أحياء المدينة الحديثة فترى خبائث علية القوم ففيها كانت تلقى أجنة فى القمامة لأمهات آثمات حملن بهم من علاقات محرمة رغم إرتباطهن بأبناء أكبر العائلات وآبائهن من أسطع سياسي واقتصاديي البلد وغيرهن الكثير الكثير ثم تطور الأمر وأصبح مشروع مربح لنقل الأعضاء حيث يتم تربية أولئك اللقطاء فى دور رعاية تابعة للمستشفى لحين إكتمال أعضاءهم فيتم بيعها لمن يحتاج داخل أو خارج الدولة وأكثرها تجارة النخاع الشوكى والخلايا الجذعية هذا غير بنوك الحيوانات المنوية والتى انتشرت فى ربوع المدن وتتجمع أغلبها بالمشروع الأوربى بعد أن نسيها أصحابها لشهور وسنوات فيتم التلاعب بها بتلقيح الراغبات للحمل بحيوانات من غير أزواجهم بل ووصل الأمر لتخدير السيدات الراغبات فى الحمل قبيل العملية وتناوب الطبيب والممرضين مواقعتهن خاصة إن كانت من نساء المجتمع المتغربين أو مشاهيره وإن صارت بعضهن تأتين خصيصا ليفعل بهن ذلك بإدراكهن الكامل ومنهن أميرات لإحدى الدول اشتهرت بتطورها اللافت للنظر وارتفاع سلطة المرأة فيها فأخذن يترددن عليها كثيرا بل وأسهموا بالكثير من ثروات بلدهن الذين يحتلون أكبر مناصبها فى تمويل المؤسسة حتى يأتى يوم تتعرض تلك الممرضة للإغتصاب الجماعى من حفيد عائلة الفرنساوى وأصدقاءه السكارى داخل الفرع ،وعائلة الفرنساوى

تنتسب لجدتهم التى أتت ضمن "حملة لويس التاسع لإحتلال مصر". وكان هذا الحفيد دخلها كمريض نفسى وهو فى الحقيقة متهرب من جريمة قتل ضابط أمن بعدما أوقفه يقود سيارته مخمورا وبداخلها هيروين فأطلق عليه رصاصات قاتلة فتم حبك الموضوع من أقاربه المتسلطين بمناصب عليا بأنه يعانى مرضا نفسيا وأصدر القضاة قرارا بإيداعه إحدى المصحات النفسية وتدخل جده السياسى والإقتصادى والبرلمانى المعروف لدى رجال الحكم حتى يتم إستضافته فى مستشفاهم الخاص ...وهنا تدخلت شقيقة الحفيد إحدى أبرز سيدات الروتليز الدولى وأشهر مذيعات الفضائيات المدافعات عن حقوق المرأة الجنسية...ووعدتها بثروة ومنصب وتزويجها أحسن زيجة وجاءوا لها بشاب من وسطهم وعقدوا لها قرانا مزيفا رغما عن الفتاة وعندما أصرّت على الرفض كانت قضايا الإتجار فى "مورفين المستشفى " والأدوية المحظورة وبيع الرضع للمتسولات جاهزة لها وتم تسليمها لهيئة المتابعة الإدارية وكأنها قضية تلبس وسرعان ما رضخت لهم وأصبحت متعة لمن يأتى للمستشفى من رجالاتهم ووجدت أن بالمستشفى كثيرات غيرها ممن سقطوا فى هذا الفخ الذى كان ينصب لهن عن طريق إغراءهن بدعوى العمل بأرقى المستشفيات حتى جاء يوم وأحرقن المستشفى علي أبناء سفلة القوم وبدأوا بغرفة لإحدى حفيدات المستشارين الذين أعترضوا على تولى ابن زبال منصب وكيل نيابة لعدم الكفاءة واللياقة الإجتماعية!! وكانت هذه الحفيدة تجهض حملها السفاح من أحد الشباب الذين التقتهم فى حفلات الروتليز التى كانت تقام فى قصور وفلل مستأجرة لذلك خصيصا بأفضل أحياء العاصمة الجديدة وأحيانا بساحل البحر أو بالمدينة الخضراء التى أقيم جزء منها على أرض الدولة وبرغم أنها متزوجة رئيسا لأحد أجهزة النزاهة المهنية .....وكانت شرارة ثانية لثورة جديدة بعدما تكشفت أبعاد الإنحراف الإجتماعى الخطير لفئة علت فى زمن الخيبة ثم اختفت بعيد ثورة الشباب ولكنها عادت سريعا بأساليب جديدة وإن كانت أغلبها لفئات وعائلات عادت لتنتقم من الثورة الكبرى ثورة يوليو والتى قضت على باشوات الإنجليز والأتراك فأخذت فى صب حقدها على الشعب ورفعت بجانبها حثالات المجتمع وسفلتهم ممن نبتوا فى عصر ديمقراطية السداح مداح وأوكار الفودكا مع الغليون .

وفوق رصيف قطار الصعيد دخل عليهم بجسده الضخم وأنيابه الحادة وعيناه الجهنميتان يتسلل بينهم بكبرياء يشتمهم بتقزز والكل متوجس كأنهم متهمون بلا جريمة ..أثواب وجلابيب تراها أجسادا فتظنها حفريات وهو الثمين الأكول النظيف المتأنق ،هنا بهذا الجانب تبجح وإخوانه نباحا فهذه الهياكل البشرية تمزقت ثيابهم من كدح عمل ووهج عرقهم ماانفك يملؤهم انهدوا من شقاء لقمة عيش جلسوا القرفصاء فوق الرصيف أو مستندين على حائط المحطة بعضهم يلملم شعثه بجنيهات يعود بها لأبنائه وآخرون يذبّون البعوض عن أقراص الفلافل التى تصطك بين أسنانهم وزيتها المحروق يخنف الأنوف قانعون وديعون هادئون حامدون بعظامهم المهترئة يتساندون ببعضهم صابرون صامدون وتهب فى قيظهم نسائم رحمة هارية من شط النيل لتذكرهم بصرهم ونيلهم،سويعات ودقائق ينتظرون بمحطة العاصمة قطارا ينقلهم لأهلهم ثم هاهو يترنح خارجا من الجرّاشة فيمتلىء ويفيض بمن يتوافدون وينحشرون العظام تطحن بعضها بعضا تتصادم وتتلاطم وتتلاقى كفوف تعرف بعضها بعضا بالسلام ووسط إكفهرار الجو تنبعث نشوات نسيم تلفح القلوب فيزداد عبقهم ضياء.وفجأة يدخل وسطهم بكلبه فيعاتبه أحدهم فيرده بسب الأم والأهل ويطرحه بصفعة قوية على وجهه الهادىء البرىء فصار كالجمر من حمرة الغضب فكتم غيظه وصبر ولكن ما تركه بضعفه وسكونه فركله وداس عليه فوق الرصيف وتطايرت الجنيهات فى الجو وتحت عربات القطار ووقف المسكين متألما بلا حراك وذرفت عيونه شلالا من الدموع ولكن آخرون ما كتموا غيظهم وأخذوا فى الصراخ بوجهه وكلبه وصبوا عليه اللعنات تأنيبا وتوبيخا وأنقذوا أخاهم وجمعوا له جنيهاته الباقية وما استطاعوا لمه من بين سكة القطارات فكانت غضبة الجميع توحى بشرر ثورة وما استطاع صدهم وهرول بعيدا عنهم محتميا بكلابه.. وكأنه مشهد معتاد وبذات نفس الأشخاص وإن تبدلت الملامح ....يختفى دقائق ويعود آخر بكلابه يسير وسطهم متهما إياهم بجريمة لم يرتكبوها وكثيرا ما يخنع الجميع إلا أياما نادرات تعلوا فيها غضباتهم فيهرب مسرعا مختبأ حتى جاء الموعد وكأن الدنيا كلها غضبت ..و جاءت الأنباء عن زفرة غضب من أعماق الوطن تنفجر فى وجه النظام والغضب يملأ الأرض وكانوا جميعا قد علموا بواقعة المستشفى الفرنساوى والمشروع الأوربى وقضية ابن نجح الحلال ووقعات أخرى . فانصهر الكل فى بعضهم وخرجت جموع عاتية تنادى بسقوط النظام الجديد من جديد ..فتسحلهم الحكومة وتهشهم كلابهاوتقتلهم رصاصاتها:

- فالأمس كان وعدا بالعيش وصرنا جياعا وبالكرامة فأخذتنا المهانة وبالعدل فبات القضاة أزواج وزوجات لسلطة المال والجاه كشعب بمفردهم فوق الجميع كان لابد إذن من الغضب وامتلأت الطرقات بالمدججين سلاحا وكلابا واستشاط الشعب فما عاد بالصدور صبر فالثياب لا تطاق والجلود خانقة ففى صبرهم لأجل أبناءهم ما ضنوا على أنفسهم بمهانة ومن ذل.....ولكنها أيضا لم تجدى نفعا أحاطتهم كلاب الحكومة وأمرت القطارات بالتحرك فما لبت نداء ولا أطاعت أمرا فاللهيب ارتفع والحواجز تكسرت والناس عادت من غفلتها وراح البهوات الجدد يستفسرون واللواءات تطمأن وتطمأن.والباشوات من بطن المصايف فى ساحل المتوسط يأمرون بلجم وتكسير عظام الجميع وكانت دائما كلمتهم

- دى زوبعة فنجان وعصا تفرقهم

ولكن هيهات هيهات أن يصبروا هذه المرة ثلاثون عاما أخرى وصارت بكل الطرق عساكر ومصفحات عسكروا الشوارع عسكروا الجامعات عسكروا الأرصفة عسكروا الزقاقات ، والقطارات تجىء وتجىء من الصعيد تجىء ومن بحرى تجىء ومن شرقها تجىء ومن غربها تجىء ويوقفونها بعيدا جدا أول الجيزة أو بالعاشر ولكن أهلها يتلاقون رغم الحواجز والموانع وكان دائما صوت اللواء الأكبر يردد:

- يا أفندم ما فيش حاجة دى شوية عيال و ما تقدرش اللى حصل قبل كده مش ممكن يتكرر ..

-يا أفندم "ويسكته صوت كبير النظام"عبر اللاسلكى :

- خلصوا الحكاية دى بسرعة مش عايزين قلق .وكان يكلمه وهو عارى الجسد ممد على رمل مدينتهم الجديدة التى ابتنوها خصيصا لهم على شاطىء المتوسط الغربى أما شوارع البلد فملئت دماء وعسكر مصفحات ومجنزرات وجثث ما عاد فى الجو ذر هادىء الهراوات فوق الرؤوس كلاب الوولوف والبولدوق فى كل حارة والناس تكتظ من كل جانب فانقلب القطار الأول بفعل ضباع الحكومة مؤخرة على عقب لتمنع الجموع من المجىء للعاصمة فازدادت الأرض حرائق ودماء وعسكر فقد انهدت أركان النظام الجديد الذى ادعى أنه مع ثورة الشباب وإذ به يعود لأسوء سيرة من النظام الأسبق والزمن تخطى عقارب السنين بأيام جديدة وجموع البشر انسابت من كل بيت ومن كل شارع وصارت الشوارع للشعب وانسحبت العساكر بكلابها من جديد وكأنهم عادوا خمسة عشرة سنة للخلف منذ الثورة السابقة فلم يتغير شيئ. .وامتلأت الزقاقات بدماء و شظايا عظام بدخان ومياه وغاصت فى المصفحات والمجنزرات أجساد وفاضت الميادين هذه المرة بشيبة وكهول وكأنها لأول مرة فى مصر "ثورة الآباء والأجداد " حتى صارت الأبواب والشرفات فى ثورة ،الأرض والحوائط فى ثورة، الأعمدة والأسوار فى ثورة..... .خمسة عشر سنة من ضيق العيش على الشعب ووعود كاذبة بإنفراجة قادمة قصور تبنى وشعب يجوع خداعات زائفة للأمن والأمان كيف يأمن جائع وكيف تشعر بالأمان"أم" انهدم بيتها على رأسها وبناتها لا لسبب إلا أن زوجها وأبناءها بنوه من غربة سنينهم بدون تصريح أو ضريبة ، بعكس أبراج الأغنياء التى تكسر عنان السماء خالفت كل قوانين الدولة ونظم البناء ولم يقربها أحد -واااحسرتاه على ثورة الشباب -.

وكان هذا اليوم ميعاد سفر" نادين"و"صافى " وأميها ووسط سيول البشر هذه خرجوا فيهم باتجاه محطة القطار .ومن داخل المركز الفرنسى تجمع الآخرون مندوب السفارة و رئيس المركز ومعاونيه وسكرتيراته وصاحوا فى الشعب من خلال إذاعة "هنا الحرية "التى اتضح أنها تبث من داخل السفارة ولها محطة إرسال بالمركز :

- نحن نحىّ ثورتكم ونحميها نحن معكم من أجل الحرية والعدل والمساواة.

وخرجن مسرعات من المحطة عائدات إليهم وقبل أن تصلا كان بركان الغضب قد جرفهم فأحرقت السفارة والمركز وحاولوا الإختباء على أحد الأرصفة بين العمارات المقابلة للمركز وهم ينظرون يمينا ويسارا وجلسوا تحت حائط الرصيف مختبئين فى بعضهم وهنا طلّ المندوب من زجاج مموه يكشف ما أمامه ولا يرونه ثم أسرع للهاتف والتقطه وحادث أحدهم :

- هذا وقتكم ابدأ التنفيذ وأغلق الخط وعلت وجهه ابتسامة عريضة ورن الهاتف فضغط على زر التحدث ووضعه على أذنه وهو ينظر على المشهد أمامه :

- ستصلك الطائرة "كان هذا الصوت الصادر من الهاتف ثم انتهت المحادثة" ودخلت عليه مساعدته فأشار لها بلملمة الأوراق والمستندات وكان هو قد جمع كل الإسطوانات والفلاشات وبطاقات التخزين الرقمية فى حقيبة صغيرة استعدادا للرحيل ثم بذات الهاتف المحمول ضغط على زر بإتجاه الحائط فانفتح ودخل ثم تبعته مساعدته والسكرتيرة ومن تبقى من موظفى المركز ثم أشعل سيجارا وألقى بالمشعل " وهو ثقاب أتوماتيكى صغير جدا بحجم عقلتين" داخل الغرفة فارتفعت النيران وانغلق الحائط ثم جاءته نغمة صوتية على الهاتف فهز رأسه مبتسما وأشار لهم بإتباعه وصعد سلالم تكاد تكون عمودية حتى وصل لأعلى البناية فوجد الطائرة وألقى التحية على قائدها بيسراه وردها عليه ثم استقلوها وطارت محلقة ونظر إلى المشهد فى أرض العاصمة فإذا خطتهم قد أثمرت وتحققت وهاهى تشتعل والناس فى الطرقات متظاهرة أو محترقة وإما حارقة أو قاتلة ثم بعيد تحليق أبصر من علو "قبر جمال " فأفرغ من فاهه دخانا كثيفا فوقه وقائد الطائرة ينظر إليه منتشيا فأشار للقبر ملوحا بيده اليمنى وحركة من حاجبيه ثم أشار بيسراه لصديقه بالمغادرة ومن وسط الحريق المرتفع والمبانى الملتهبة المتساقطة جاءهم شبان يحملون جنازير وخناجر وعبوات مملوءة بسوائل وجذبوهم من شعورهم وعلى الطرف المقابل آخرون توجهوا للمبانى المحترقة حاملين ما يجدونه وأشارو لهم بأخذهم فتعالت وتعالت صيحات الابنتين ، وأمهما ترتعشان فزعا فصفعوا الأمين وألقوهما أرضا فحاولتا التشبث ببنتاهما فركلوهما وألقوا عليهما بعضا من السائل فبدأتا فى الإحتراق والذوبان وطاش عقل الابنتين وصرختا صرخات تبعها كتمان لصوتيهما بيدي أنفسهما وهما تبصران أمهما تتقلبان على الأرض وألقوهما فى سيارة ميكروباص مع بعض الأجهزة والأمتعة وأموال ثم طرق أحد على الباب فتحركت مسرعة ودارت مسافة ليست بعيدة وعادت وقذفوا بهما ثم أنزلوهما سلالم تحت الأرض ويصلون بهما إحدى غرف التحكم والتهوية لقطار الأنفاق ثم يتناوبوهما هتكا وإغتصابا حتى تفقدان الوعى ولا يتوقفون حتى أتت سيارة جديدة بفتيات أخريات وأشياء لا حصر لها فيتروكونهما ويبدأون بالأخريات أو يفعلها من جاؤا بهن ويخرجون هم لإستكمال جلب أشياء وفتيات ويأتى آخرون ويذهبون ويذهب غيرهم ويأتون بعضهم من سطح الأرض وجزء من الأنفاق على مجرى القطار سائرون أو ركبانا لبعض عرباته التى يجرونها أحيانا أو يدفعونها حينا ويفرغون ما بها من نساء وفتيات وحلى وذهب وأموال وآثار وأسلحة وقذائف وطلقات رصاص ..وظلت العاصمة كذلك ثلاث ليالى حالكات ....حتى نزلت القوات الخاصة بعشرات من المدرعات ثم عادت للظهور فى الشوارع أجساد ملانة عفية بذقون قنفذية متطاولة وأيدى ناعمة غليظة مكتنزة وأحدهم خطب فى الكل :

- أيها الشعب الثائر نحن منكم ومعكم وإليكم ....خذوا حريتكم و تمتعوا ؟!!وفوق الشعب تتساقط الأموال دولارات و ريالات ودراهم ألوف الألوف ،فمن أين بزغت وأين كانت طوال سنوات المحنة والضنك ومع من خبئت وممن سرقت "كثير من الشعب تسائل "وقليل جدا الذين مدوا يدهم وغرفوا من تلكم الأموال.وتذكر الشعب الأمس حينما خرج أقرانهم السابقين ذووا الحراشيف الذقنية واندسوا وسط الشباب الثائر وسرقوا منهم ثورتهم وهاهو الزمن يكر دورته كرا ولكن مع أولئك وكانت سمتهم الظاهر ذقون طوال تكاد تحارب من يقربها وتكفره..... وكروش منتفخة متدلدلة كبطن الخنزير وزبيبات كبيرة جدا ذات بروز على الجبهات .أما السابقون فكان لبعضهم ذقون قصيرة

مستطيلة نحيفة أو بدون مع ذات الكروش وغالبا بلا زبيبات على الجبهات ..نظرات حيارى من ذوى الذقون القنفذية فما أحد اتكىء يعبىء الألوف .....ما طأطأ أحد رأسه ليغرف من أموالهم ....

فصاح الشعب للشعب:

- أتتذكرونهم ألا ترونهم إنهم هم هم الكلاب العفية يمرقون بيننا بأنيابهم الناشبة فينا هى هى الأجساد الغليظة المتينة كلها صحة وافرة فهل سيحرسوننا أم سينهشوننا .....

أما لصوص الشعب وقراصنة الدين فردوا:

- يا شعبنا يا أهالينا ما استترنا عنكم إلا لنعبّد لكم الطريق طريقا ممهدا سلسا فكّرنا عنكم واندسسنا مكرا وتدبيرا بعيدا عنهم ويتلوا كبيرهم " ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين " " وإنّ جندنا لهم الغالبون" حتى واتتنا الفرصة فخرجنا من مكامننا لننقذكم وندلكم على السبيل ولا سبيل إلا سبيلنا

فصاحت جموع من الشعب :

- ومن أنتم ؟.

ردوا:

- أخوتكم وابناءكم" فتبسمت الجموع ساخرة من قولهم !!!.."
- كونوا معنا فطريقنا الأنجى (تخرج من طياتهم أيد تحمل رشاشات وقنابل يدوية وبالأخرى دولارات وريالات)وسبيلنا الأعز" يطلقون على السماء رصاصات ويلقون على الأرض ريالاتهم الدولارية " يا أخوتنا يا أبناءنا كونوا معنا نحن منكم ولكم

فتتراجع أقدام الشعب قليلا بثبات ورجالاته كحائط مشدود تشع فى دائرة عيونهم الأمانى والحقائق .والشعب ينطلق صائحا هذه المرة :

- الطريق طريقنا واليوم يومنا وكان الكل فى صوت واحد يهتفون :

- الشعب هو السيد والقائد الشعب هو السيد والقائد نحن نحن الشعب الطريق طريقنا واليوم يومنا ، فيخرجون عصيانهم الكهربية وسلاحهم الأتوماتيكى وأخذوا فيهم ضربا وتنكيلا وأخذوا الشارع من الثائرين وصارت لهم السلطة بين يوم وضحاها كسابق الأيام وكالآخرين وكأنّها تقسيمة يوما لهولاء ويوما لأولئك رغم العداوات الظاهرة بينهم فكلهم نبت من نفس الطينة "طينة الإنجليز "سواء تلكم التى غرست على أرض النيل أو السابقة لها التى انبتت غرب الحجاز.

وكان المستشار الشرقاوى يتابع الأخبار وتذكر ثلة من هؤلاء فقد أتوا أمامه متهمين بتكفير المجتمع وإحياء فكرة هجرة الشعب مما هم فيه إلى سبيل هؤلاء وأنه فشل فى تغيير فكرة واحدة داخل عقول هؤلاء وقد ارتفعت صيحاتهم بتلكم الأفكار ما بين الثورتين السابقتين وأنهم دبروا أن تكون الجديدة لهم وقد أعدوا أنفسهم إعدادا جيدا للسيطرة والتحكم خاصة بعد زوال دولة غرمائهم وجهز المستشار نفسه جيدا بمزيد من الإطلاع والتثقيف الدينى فقد حصل على ماجستير فى نشأة دعاوى تلكم

الفرق مذ ظهرت بذرتهم الأولى فى العصر الوسيط قبيل الإجتياح المغولى لشرق العالم الإسلامى فأنذووا مبتعدين عن فريضة الجهاد وأخذوا يلعنون المسلمين بأنّ ما حل بهم سببه فجرهم وبعدهم عن إتباع تعاليم مساليخهم وقادتهم والذين كان أغلبهم باطنيين يختفون يوم الجهاد ويظهرون بعد إنهيار الدولة فيلومون عامة المسلمين وهكذا انتقلت بذرهم من عهد لعهد فقاتلوا أهل الجهاد من دولة بنى زنكى وحاولوا إغتيال صلاح الدين من بعده حتى وصولوا لهدم الخلافة الأخيرة فى دولة بنى ترك وما إن تمزقت وحدة المسلمين طفوا على السطح مدعين السلفية الأولى فكثروا أول أمرهم بجزيرة العرب وانشأت لهم إمارة على يد الإنجليز استولت على أرض الحرمين بعيد إسقاطهم خلافة الإسلام.

وصارت بينهم وبين الشعب جلجلات ومواجهات ومعادنة غريبة لم يتوقعها أحد من ذوى الحراشيف الذقنية بعدما توقع الجميع حربا بينهما ولكن اتفقوا على الشعب وقسموا الأمر بينهم واعدين أنفسهم ألا يحدث ما سبق ولا ينفرد أحدهما بالدولة دون الآخرين حتى أتى يوما سريعا فخرج عليهم الشعب وداسهم تحت أقدامه وسحقهم فلا يمكن أن تتكرر سرقة ثورة الشعب مرتين و تكونت إدارة عليا لتسيير أمور الدولة فما أغلى الدماء تلكم الأيام فالشوارع كلها جثث.ونيل الدم يغسل الوطن ولكل فيض تهدم دثور لتبنى للمجد بيوت وقصور .

أخذ الكل يلملم جثث أشقائهم وأبنائهم ونسائم الربيع من قيظ الحر تتناثر فوق العاصمة .تستعد لكى تلاقى الأمل الأخير ،أحان الوعد أم ما زال هناك انتظار وإن يكن للأمل انتظار فقد عادت روح الأمة بعد إبعاد وهاهو ذا الكل يعيد بناء نفس الأمة يرجو لذاته أملا أن ينضم لركب القائد المنقذ الذى سيجىء وتصور الجميع أن هذا اليوم قد أتى وطل يومه منذ خمسة عشرة سنة سابقة وقتما أجريت انتخابات جديدة أتت برئيس وعد المصريين برخاء وحرية وحياة كريمة وسلام ووئام وتذكر البعض أنها نفس الكلمات الجميلة التى قيلت إبّان ثورة الجياع بقطاف ثمر السلام والإستقرار ووعد الناس بحياة شريفة ونزيهة وأياما ذات حرية فما لبث غير قليل حتى ذهبت الكرامة ولم يجد الناس لقمة عيش تعزهم وتغنيهم وبعد أن كانوا آمنين فى بيوتهم هدّت البيوت فوق رؤوسهم بدعوى مخالفة قواعد البناء فكلاب الإدارة تركت القصور والفيلات المنهوبة أراضيها وأموال السارقين بناتها ودمرت تدميرا سكن الفقراء وبيوتهم هدت الدور على عجائزها المرضى وكهولها العاجزين لا لعلة إلا لسبب واهى ألا وهو عدم الحصول على تصريح بناء رغم أنّ الأرض ملكهم دفعوا عنها كل ضريبة ولكنه أمر قواته الشرطية والعسكرية بهدمها فوق رؤس سكانها وأجبر المجند على دفن أبويه تحت ركام دارهم إنه الظلم البين يستأسد على الفقراء قليلى الحيلة ويتصالح مع كبار اللصوص والناهبين وترك السفارات تفتح منتدياتها ليرتع فيها المنتسبين لها من صحفيين ورجال سياسة وجمعيات حقوق الإنسان ومراكز تمكين المرأة وازدهرت خلالها نوادى الروتليز التى تدعو لحرية المرأة وتمكينها السياسى والإقتصادى وجرفت إليها أكثر فأكثر سيدات من عوائل الناهبين ...والنظام ينظم ويصفق ويبسر لهم كل سبيل حتى امتلأ صدر الشعب بالغيظ والغضب من جديد وفاض قلبه بالحزن فكان لابد من ثورة جديدة وثورة على الخديعة ثورة على الإستنواق حتى صار كل حقير يتجرأ على هيبة الدولة وحقوقها وأملاكها

وانفجرت الغضبات الشعبية ضد النظام القائم وعادت هتفات الناس :

- فين العيش فين الحرية فين الزيت فين السكر فين الريس فين الريس هو معانا ولا علينا ومرت أيام صعاب وشداد حتى بدأت الأمور تعود رويدا رويدا للهدوء "وأبعد الرئيس لثالث مرة فى عقد ونصف" خمسة عشرة سنة قامت فيها ثلاث ثورات اثنتين شعبيتين عفويتين بينهما واحدة مرتبة.

عجيب أمر هذا الشعب يصمت سنينا وعقودا وفى لحظة قدرية يثور بلا ترتيب أو تدبير.وقبيل استقرار الإدارة وهدوء فورة الغضب فر النهابون بأموالهم وكنوزهم لخارج البلاد وبقى الشعب المسالم و برزت فئة هائجة مائجة لم تترك بالعاصمة صالح أو طالح إلا تعرضت له إنهم ساكنى الخرائب وأسافل الكبارى كانوا مئات زمن الخيبة وصاروا ألوفا فى زمن الإستسلام وتألفوا مئات الالاف بعدما جاء قاهر الإخوان فقدوا كل ضمير ولم يردعهم أى وازع وركزوا حقدهم على ذوى الرتب والمال فخطفوا نسائهم وسرقوا منازلهم .

ويوم وليلة خرجت جموع الجاهلية الأولى واحتكوا بالمريدين من زوار الإمام الحسين ومزقوا الرايات التى كانت منصوبة وأسقطوا خيام المديح وصوانات الإطعام المقامة وفرقوا الناس ففزعت الناس منهم فقد فوجئوا بهم يهلون جماعات متتاليات وأغلبهم شبيها لبعض وبذات السمت فكلهم له كرش بارز ولحى كثيفة طويلة جدا نابذة كشوك القنفذ وبعضها مخضب حمرة وصفرة وأيديهم ناعمة ووجوههم تغض غضا من امتلاءها سمنة وجلدهم ناعم نعومة الثعابين ونساؤهم متشحات بالسواد التام من أحذيتهم حتى الطبقات المتعددة من غطاء رؤوسهم ففرقن النسوة والأطفال وفرغ ميدان الحسين بأكمله من عامة الشعب وانتشروا هم بذكورهم وإناثهم ورابط المصريون داخل مسجد الحسين خوفا عليه من محاولة هدمه ونزلت قوات مشتركة فوجدوا كل الناس حشروا بالأزقة والشوارع وبعد جدال مرير مع أولئك المحتلين قرروا فك حصارهم بشرط عدم إقامة سرادقات أو تجمعات أمام أضرحة ال البيت فى طول مصر وعرضها . ثم خرجت شرذمة منهم قاصدين "مشيخة الأزهر " للتعرض لشيخها ووكيلها اللذين بيّنا حقيقتهم الدنيئة وخفايا مكرهم عندما ردا على أحد شيوخهم ممن دعوا بجاهلية الدولة حاكمين ومحكومين وضرورة إتباع بدعتهم فى الحاكمية وهنا تذكر الشعب أولئك السابقين الذين قصدوا مدينة الإنتاج الإعلامى للسيطرة على بعض القنوات التليفزيونية التى تهكمت على أحدهم بعدما كان زعيما بحزب الحكومة قبيل ثورة الشباب .

وما إن هدأت الأمور وبعد ترتيبات وموازانات وأحيانا مساومات انتشرت بعض الفرق تجوب الشوارع والميادين والأضرحة على نفس خطى ليلة الحسين إلى أن وصل الأمر يوما فقرروا هدم مساجد الصحابة وال البيت بحجة أنها بنيت فوق قبور واتخذت شركا ونووا البدء بالمسجدين وضريحى الإمام الحسين والسيدة زينب وهدمها وابتدرو بمقام السيدة وتجمعت حشود الشعب غفيرة هادرة تحمى الضريحين ومسجديها ويسقط المئات غارقين فى دماءهم وما استطاعت القوات المشتركة إيقاف سيل الدم فكثير من المجندين والعساكر انضموا لصفوف الشعب وضحوا بأنفسهم عن المقامات والأضرحة حتى هلّ يوم فإذ بجموع شعبية يتقدمها أسعد أبوالفدا و"الاستاذ عبدالبارى " وابن عمه "حسين أبوالفدا" وأختهم عامرة أبوالفدا وصديقهم"محمد القناوى" الذى كان معتقلا وألوف من خلفهم منضمين للأهالى محاولين منع تلكم الشراذم من الإقتراب ولكنهم ما استطاعوا بأيديهم العزّل. فتصل

جحافل الجهل إلى مسجد السيدة الطاهرة وترى على جانب الضريح منتقبات بنقاب عاهرات بنى دريعة ، بمعاول يهدمن جدار الضريح من ناحية مصلى السيدات وبالجانب الآخر ذقون كرؤوس الشياطين بدأوا فى هدم الضريح والمسجد وكلما حاول المصريون إنقاذ المقام تكالبت عليهم كلاب الضالين حتى وصل الهدم إلى اللحد وإذ الليلة تتبدل والجهلة يفاجأون بنور كثيف بارق ينبثق من القبر وتخرج من بين ضياءه سيوف تمزقهم أرباعا فصاروا محترقين متفحمين تخرج منهم نتن الروائح ويسطع من بينهم سيف ذو نصلين يتخير من يقتل بين الحشود وخلفه عشرات من نصال مضيئة تأخذ رقاب هذه الزمرة الحاقدة وتترك المصريين الذين تعلوا تكبيراتهم وتهليلاتهم والكل مذهول غير مصدق ونظر الشعب لبعضهم البعض وتأكدوا من نجاتهم جميعا وهللوا وكبروا ووقفوا فى وجه البغايا ومنافقيهم ووسط أكوام الجثث يتراءى لهم الذهب والنساء وذقون برؤوس غارقة فى دم أسود وكروش من فرط الشهوة علت وبغلت ...وكانوا يستفتحون على الناس بصلاتهم ومسابحهم قبلما ذلك ويجهّلون الشعب ويكفرونه.

فهاهى الأقدار تفضح كل كاذب جدال فى ليلة هوجاء تبعها طل مطر وصيبا ينزل على رؤوس الناس .

وبعدما استتب الأمر واستعاد المصريون أنفسهم هربت رؤوس تلكم الشراذم واتخذت لبنان موطئا لها وبعضا من دويلات الحصرومية ثم اتجهت إلى الغرب خاصة لندن من بوابتى لبنان و تركيا واستبقوا بعضهم فى بيروت استلذاذا بالمقام فيها واستيحانا لفرصة وترحيبا من قرناء لهم كونوا تجارات عابرة منها لوسط أفريقيا وغرب أوربا وما كانت بيروت لينقصها أولئك فهى مليئة من بحرها لجبلها

بيروت يا بنت الشيطان

بيروت يا عدوة الله

التهب قلب العاصمة اللبنانية وصارت ساحة معركة من جديد فما لبث الهاربون أن ازدادت شرذمتهم داخل العاصمة وكانت قبلهم قد أتت جموع الروتليز لتقيم مهرجانا بها إيذانا ببدء عصر جديد للعرب فكانت سكناهم فى مارونتينيا وهى مدينة جديدة وعصرية صغيرة حقا ولكنها تستوعب الآلاف أياما وأسابيع ليرحل كل لوجهته ثم يأتى آخرون ويذهبون بناها الجيش بأموال أوربية عربية كتجمع إقليمى أسسه نادى باريس "للتنمية والسلام"وهو منظمة إقليمية منبثقة من تجمع دول"نادى باريس للدول الدائنة" وهى بالطرف المقابل لمخيم "كرنتينا" ذلك الذى ذبحت به عائلات فلسطينية أثناء حرب الكل للكل لتحل محل المخيمات الفلسطينية التى أفرغت من اللاجئين ولكن ارتأت الدول الأوربية أن تسميها مارونتينا تشبيها لمدينة مماثلة بالطرف الآخر الغربى من المتوسط اسمتها "موروكونتينيا" ولها نفس الغرض وهو تجميع اللاجئين أو المهاجرين من عرب و أفارقة ضمن خطتهم لإستجلاب شباب وشابات يعمروا لهم أراضيهم بعدما شاخ أهلها وإن كانت فى حقيقة الأمر هى ثكنات مخابراتية من الدرجة الأولى وكذلك كانت تتردد عليها جموع سوداوات الملبس رجالا ونساء لنفس غرض الآخرين وأغراض أخرى وبعضا منهم يدخلون بسلاح شخصى محمول كتفا دونما إعتراض أو منع فما إن اقترب البعض من بعض حتى صار الكل يحمل سلاحا من جديد ويهتف بفعل وقرار.

وكان ذاك البناء هو الشرارة التى أشعلت الحرب فعندما أتى الهاربون أرادوا جعله "موطن ضرار"على هيئتهم ومرادهم رغم أن أكبر مساحته تقع فى داخل كنتونات مهاجري "مارونتينا" وهى تغص بشباب وشابات من كل الأقطار العربية والأفريقية لهم فيها حرية لم يألفوها فى مكان آخر أساسها المتع الجنسية فمن أثبتت حملها نقلت فورا لإحدى عواصم أوربا وكثيرا من أصحاب الذقون و تلك الكروش جابوا وسرحوا فيها وأقاموا بينهم أسابيعا وشهورا كأنها قرى مسيار على عهد ما ألفوا من حلة شيوخهم وإباحة الإستمتاع بالنساء مسيارا إدعاء بقلة عدد الآتيات معهم -و"المسيار" هو فتوى شيوخهم بأنه يحل للسائر أن ينزل بقوم ويأخذ منهم فتاة يتسرى بها ويستمتع مقابل أجر ومال يسمونه "بدلا" لمدة محددة هى مرور أو إقامة هذا السائر بتلك البلدة على نفس غرار المتهودين رغم ما بينهما من مشاحنة كاذبة لايهام عامة المسلمين بإختلافهما، بينما الإختلاف الوحيد فقط فى هيئتهم فأولئك يتشحون بالبياض وأولئك يتزينون بالسواد .ورغم معارضة الأزهر الشديدة وعلماءه جميعا لهذه الفتوى ووصفها بالزنا الفاحش إلا أنهم أسروا عليها مخالفة لأهل مصر وشيوخها بإدعاء إباحة النبى للتمتع للجنود فى الحرب -ولقد أباح النبى التمتع فترة قصيرة جدا جدا ويقال أنها مرة واحدة فقط حتى أتاه الوحى بتحريمها المطلق - فنهى عنه بتاتا فى باقى غزواته وحذر من إتيانها ومنعها منعا باتا الخليفة عمر من بعده إلا أنهم اتخذوها عادة لهم حتى فى زمن المسالمة ولغرض غير شرعى فلما أخذوا شهوتهم من نساءها فكروا ببناء هذا البناء على هيئة المساجد ورغم الصلات العميقة التى توطدت وتوثقت بين قادتهم ومديرى "مارونتينيا" الذين يدعون أنهم متحررين من أية ديانة وهم بحقيقة الأمر مبشرين معمدين فاتيكانيا إلا أن ذلك أوقد فتيل الغل فى قلوب ساكنى "القصر الأحمر" فاشتعلت النار وإلهبت الجميع

وبعد بضعة أيام تفصل بين الجموع قوة أوربية يرأسها فرنسي وتجمعت الدبابات والرشاشات حول الجبل وعسكر آخرون بالقصر الأحمر وتزداد الهتافات إلتهابا كلما طل أحد المجتمعين فوقه .....فيغدو مبعوثا عربيا ويعود مطأطأ الرأس فارغ اليدين وآخر أمميا لا تفلح له حيلة ولا مكيدة والمصرى بينهم يقارب ويراقب دون إلتقاء أو حل وبعد أيام الإرتقاب يخرج جمع المؤتمرين ويرأسهم مسيو" شارل " مبشرا :

- لقد انجزنا اتفاقا عظيما سيكون للعرب مثال وللشرق دليل وللغرب انتصار (كانت هذه بداية كلماته فى جحافل المتظاهرين يقف عن يمينه المبعوث الأوربى وعن يساره مبعوث أمريكا وعن يمين يمينه روسيا ثم صينيا وشمال يساره المسئول المصرى "لقد قررنا أن يكون هذا البناء " ويشير لبناء أعلى الجبل فى شرق"مارونتينيا"بنى على أنقاض مبنى أهل المسيار) للجميع لنا ولكم وأطلقنا عليه :
" بيت إبراهام " فتعلوا صيحات التنديد والتوبيخ من كل جمع وهو يبتسم بفاه أصفر وعينان حمراوين ويد تمسك سيجارا وأخرى تحثهم على الهدوء وأردف:

- هذه تسمية لا تعبر عن المضمون فسيكون به مراكز علمية وتعليمية وتثقيف وترفيه للجميع
" ويحاول نفر الوصول إليه فتمنعهم القوة ،وعلى جوانبه سيكون جزء لكل منكم " تهدأ الصيحات ويخفت أزيز الغضب قليلا" سيكون هناك فاتيكانية"فتتعال صيحات جوع مستنكرة" ويسكتهم مدة وتتعالى صيحات أخرى مرحبة وتركها وظل صامتا وكأنهم أكثرية أو أراد هو أن يكونوا كذلك فترد أصوات بزئير حاد يطبق السماء فيسرع ويكمل فى جملة واحدة " وجامع وحسينية وكنيسة وكنيس" وتعالت الصيحات من كل جهة مرحبة ومنددة وهو ومن حوله مسرورا والبعض فى سعادة غامرة وآخرون سعادة باهتة إلا ذاك المصرى " الذى لاحظه فالتفت إليه وجذبه من أنامله وخاطبهم "وسيكون أخيكم ويقدمه بجواره على المنصة " منسقا بينكم بدعمنا ورعايتنا " فتتعال هتافات مرحبة ومحبة وأخرى خافتة تبدى رفضا " ويرفع يده من تحت إبطه ويهزه رغما عنه كأنه يحيهم ويكمل

- "أشكركم ....أشكركم ..... هذا بلد عظيم ومثال يحتذى للديمقراطية بين العرب وشعوب آسيا وأفريقيا " ويرفع يديه ليلم المحيطين ويمدها مدا حتى يأتى بكل المحلقين حوله ثم يصافحهم فردا فردا حتى إن وصل للزعيم " دوس " فيجذبه معانقا ومتأبطا ويسيرا معا...

وإن كان المصرى لم تختفى دهشته وإمتعاضه منذ كان بقاعة الإجتماع فقد وجد نفس النقشين معلقان على أحد جوانبها وكان قد ارتأهما فى مدينة "موروكونتينيا " عندما كان دبلوماسيا بدولتها ودعى من سفير أوربى لحفل دبلوماسى داخلها ضمن مبادرات نادى باريس للسلام والتنمية وكانت كلماته المنسوجة بالنص الفرنسى وتحته بنمط عربى من زمن الموحدين وبإطار مزخرف بأشكال عربية إسلامية تقول "وحدث عندما سكن إسرائيل تلك الأرض أن ذهب راوبين وضاجع خليلة والده بلهاء" "وهكذا قال الرب هأنذا أقيم عليك الشر من بيتك وأخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك فى عين هذه الشمس"ورجع من فوره للقاهرة ليخبر وينذر.وفى نفس الطائرة كانت عائدة الشيخة " سعاد الزعترى" المعالجة الروحية وهذه وظيفتها الجديدة وصفتها التى اكتسبتها قبل خروجها هربا من مصر مع فريد وعنتر اللذين صارا من كبار رجال الأعمال الدوليين بشركات

متعددة الجنسيات وكانت معهم بالطائرة أمّى نادين وصافى واللتين ارتحلتا إلى مارونتينيا بعد إنقاذهما عن طريق السفارة وفشلتا فى السفر للحاق ببنتاهما اللتين استخرج لهما جوازى سفر على عجل بعد نجدتيهما مما حدث لهما فى بداية الإحتاجات الشعبية ونقلتا مباشرة إلى نيس وما كان ليحدث ذلك إلا بعدما بردت فورة الثوار ولم يكن غريبا على بعضهم وجود "سيد الخضيرى " على نفس الطائرة.

وعاد الاستاذ " عبدالبارى " لمدرسته الرسمية الوطنية بعد أن أسقطت عنه التهم الملفقة وبدأ يسترجع أيامه وفاجأه أن يجد بالمدرسة أحد الجدد والذى تعرف عليه من رسمة عينيه ووجده كما توقع ابن تلك التى تعلق بها فى الجامعة ثم ابتعدت بعد أن تزوجها أحد الأمراء الذى كان زميلا لهم أنذاك ولكنه لم يخبره عن ذكرياته وفضل ألا يطلعه عليها حتى جاءت صبيحة يوم لإصطحاب ابنها وكان وقتئذ يدّرس له فطرق الباب مدير المدرسة وبصحبته سيدتين راجيا أن يتركه يذهب مع والدته لأمر هام فتحرك إليها ابنها وأخذته وصارت به ثم رفعت عينيها لتشكر الاستاذ وإذ ترى رفيقتها تردفه بنظرات محدقة كمن اكتشفت سرا فوجدته هو ورجف قلبها أيما رجفة واستأذنتا مسرعتين قبل أن يلحظ أحد شيء وتبعها بقلب هاتف وعاودت نظرتها وحادثت بها الأخرى بأنه هو وأجابتها تلك بأنها تأكدت منه وتحادثتا كثيرا بناظريهما وأن شدت علي يدها ومعاتبة لها بوجهها مذكرة إياها بماضى ذهب ولا يجب أن يعود وحاول أن يعاود درسه فطلب من طلابه تذكيره بما وقف عنده فأجابوه وبين لحظة وأخرى ينسى شرحه حتى تهامس الطلاب

- بأنّ الحسناء قد خطفت ناظريه وما إن وصلت مسامعه تلك الكلمات حتى نبههم بخبط أنامله على المنضدة لا ليسكتهم ولكن ليوقظ نفسه .

وكانت هى قد جاءت لتزور أم " أحمد المصرى" مع رفيقتها "أم حسام " ولتلتقى أخيها وتودع ابنها لديه حتى تستقر الأمور بالعائلة والتحق أحمد الأصغر بالثانوية بنين بينما أخيه"حسام " التحق بالجامعة وهما ابنى الأمير " حميد " ابن عم والدها و كان قد تولى منصب وزير بالتعديل الجديد ورأى ما سيحل بالدولة والعائلة فآثر إرسال ابنيه لمصر بدعوى الدراسة والبقاء لدى خالهما وكانت الصديقتان "رهف " و"وجدان "- تدرسان بمصر فترة عمل والديهما بالسلك الدبلوماسى لدولتهما،ثم تزوجتا من أميرين أبناء عمومةوخئولة لوالديهما وإن كانت"وجدان" قد تعلقت بهوى "عبدالبارى "فترة دراستهم بالجامعة المصرية ولكن حكم العائلة أن تتزوج من الأمير أما أخيها فهو"الدبلوماسى المرموق" الذى بقى على درب والدهم وأمضى كل حياته بمصر وكان ثالثهما بالجامعة وإن كان أصغرهم وتزوج من مصرية ابنة أحد رجالات البلد والتى انجبت له "أحمد المصرى وثلاثة أخوة إحداهما فتاة "بجانب إمتلاكه لأسهم شركة مقاولات ولديه العديد بها من الممتلكات ورث بعضها عن أبيه والأخريات له اشتراها قبل أن يلتحق بالعمل الدبلوماسى بعد وفاة والده السفير وتجمعوا كلهم وتناولوا الغداء وتعرف أبناء العمة رهف على زوجة خالهما وأبناءها الذين عادوا معهم من مدارسهم وجلس الأبناء معا فى حديقة الفيلا وتجمعوا هم كذلك بإحدى قاعاتها وبدأت أخت الزوج تسرد حكاية العائلة فقد قررت العائلة أن يكون الأمير "حميد" مع أخيها الأمير "أحمد" الدبلوماسى المقيم بالقاهرة ممثليها بأوربا لحضور المؤتمر الدولى للسلام والتنمية بالشرق الأوسط وأخبروا "ميزاب" الأخت الصغرى للأمير حميد والمقربة من قلبه فهو قد رباها بعد وفاة والدهم وصارت كابنته أن تبلغه بما حددوه فى اجتماعهم بمجلس الحكم فى قصر الدرة والذى لم يحضره وبحكم أنها كانت زوجة للوزير الثالث فى الحكومة الجديدة حكت لهم "رهف" وقائع هذا اليوم فقد رافقتها ،فهى ليست زوج أخيها بل صديقتها المقربة

إذ دخلت عليه ميزاب القصر فصارت فى طريق كله رياحين على جانبيه قنوات مياه صافية تتدفق فى حركتها وكان جالسا على عتبة باب السور الخلفى المخصص للذهاب إلى إسطبلات الخيل ينظر فى أفق الصحراء من خلف حدائق غنّاءة تحيط بالقصر من خارج السور "وهى التى يصل إليها الداخل عبر باب واحة فسيحة ثم دهليز مرتفع السقف يخرج منه إليها تحفها البلابل وعصافير الجنة " وعيناه تترقرق دموعا ودلفت إلى عتبات المدخل الخلفى للحديقة عبر دهليز مواز للأول مخصص للسيدات وتفاجأ بأختهم الكبرى " جوهرة" مسجاة على الأرض غارقة فى بحر دموعها وبجوار يدها اليسرى السيف الذهبى ملقى على رخام العتب الداخلية منزوعا من غمده فنظرت لها وإليه وتركت أختها وأسرعت إليه وجلست على ركبتيها وأمسكت كتفي أخيها وتضع عينيها فى عينيه مستفسرة عن الموقف وحالها وأتت جوهرة على قدميه وارتمت وبللتها وبصوت حسير كسيف وهى تحض بشفاهها أصابع قدميه تترجاه أن يرحمها ويرحم نفسه ويخلصها من العذاب والهوان وهنا تركت ميزاب أخيها وأمسكت رأس أختها من عند أذنيها وهزتها هزا عنيفا تسفتسر عما حدث وسائلتها كثيرا ومرارا وتكرار وهى في يدها كوردة ذابلة كلما هزتها تساقط بعضها وأمسك نفسه وترنح ناحية مدخل القصر وتناول السيف بضعف واتكىء على سنه وترددت فى جنبات القصر آهات حارقة خرجت من جوفه المشتعل غضبا فأطارت جمع الطيور من أفنية الحدائق الملتفة حول القصر ورفعه عاليا ثم هوى به يضرب القوائم والأعمدة الفضية وتصرخ ميزاب فيه صراخا شديد وتمسك كتفى أختها بعنف وشدة وتهزها هزا مزلزلا ثم تسمعه يصرخ فيها بأن أختها أميرة الأميرات ودرة القصور ويمتنع صوته عن الخروج وتتساقط قوائم رخامية فى القصر من ضربة السيف فتقف وتضع كلتى يديها على فمها كأنها عرفت المقصد(فوقفت أختها وهى ساقطة على الأرض فبدأت إخبارها أنها ذهبت لأحد قصور الضيافة المتخذة كمقر قنصلى للملاقاة إحدى عقيلات ملوك أوروبا والوفد المرافق معها للترحيب بهن ومن بينهن رئيسة أكبر تجمع لنوادى الروتليز بأوربا والأميرة المنتدبة لها بالشرق الأوسط ...وكانت معها وصيفاتها اللاتى أغلبهن أمريكيات واتضح لها فى اللقاء أنهن عميلات مخابرات وحاولت الملكة الأوربية استمالتها لإقناع سيدات العائلة خاصة من لهن تأثير على رجالاتهم بقبول قرارات المجلس العالمى للسلام والتنمية بالشرق الأوسط ومنها القرار الأهم والأساسى بإدارة عالمية للأماكن المقدسة من القدس لسيناء وكربلاء ومكة والمدينة ولما عارضتها وبينت لهم أنها من الأمور المستحيلة فكشفت لها عن خباياها كلها والتى ما خفى منها شىء وأذيعت كثيرا منها مسجلة عن طريق وصيفاتها التى أتت بهم العائلة ضمن المجلوبات لكل أميراتها ومن هذه الأسرار إعجابهن الشديد الذى زرعته تلك الوصيفات فيهن بالجنود الغربيين المقيمين بأراضيهم لحراسة دولتهم وقوتهم وبطولاتهم الخارقة وكذلك علاقاتها السرية ببعض تلك الوصيفات منذ كانت ببداية البلوغ وأحيانا بشباب أوربى فى جولاتها الخارجية للترفيه أو التسوق ...ولما وجدوا منها الرفض كأغلب العائلة ولم تفلح إفشاء خباياها المصورة فى تغيير موقفها أو الحصول على موافقة العائلة أسلمتها لبعض الجند الذين كانوا حرسا لها وللقنصلية وكانوا ضمن فرق القاعدتين البحرية والجوية لتلكما الدولة ممن جلبتهم العائلة كوسيلة حماية وضغط على الدول المجاورة فتبادلوا إغتصابها فرادى ومجتمعين ثم حولتها إلى حفلة جنسية جماعية مصورة وبعدما انتهوا أسلموها لشرذمة من الخدم البنغال والأفارقة التابعين أيضا لتلكم المخابرات وصعقت الصغرى من هول الكلمات وإن كانت تذكرت حالها وباقى

الأميرات مع تلكم الوصيفات ومدبرات البيوت التى امتلأت بهم قصورهن وتهاوت الكبرى مغشيا عليها بعدما نظرت فى عينيها محاولة نفى التهمة والعار عنها وأردف هو برأس منكس بين يديه وعينين جاحظتين من شدة الغضب أنه:

- كان مجتمعا حينئذ مع وفد سياسى وأمنى عالى المستوى من تلكم الدول الراعية للسلام بالشرق الأوسط يحاولون إقناعه بنفس القرارات "بصفته المرشح القادم"لأهم وزارة بالدولة.وعندما رفض الرضوخ لهم أبرزوا له الأشرطة المصورة لها ولأخريات من العائلة الحاكمة " وهددوه ببثها على المواقع الإلكترونية وتسريبها للصحف والمراسلين فسقط بينهم راجيا متوسلا وصار لهم كعبد الحقول ودوى منه عويل وصرخات وتبعتها ندبا من الصغرى أرجفت القصر وما حوله استفيظت على أثرها المغشية عليها وترقى مرة أخرى فى بهو القصر تحت قدميه وترجوه أن يخلصها من ذاك العذاب فيرد عليها بأنها ليست هى الملامة على ذلك وأنّ الآخرين حاكوا الدولة هم الذين يجب أن يدفعوا الثمن ولا يمكن أن يكون مصيرها الموت وإنما الآخرون وأنه لابد من خطة محكمة للتخلص من جنود القاعدتين الحربيتين اللتين تحكمان وتتحكمان فى مصيرهم وصرخ فيهما أنّ الوضع آن له أن يتغير وأن كل شىء يجب تبديله "وكأنه حسم أمرا قرر من ذى قبل "

وردت ميزاب وهى لاتكاد تتمالك نفسها وجوهرة على الأرض ملقاة تخبره أنها :

- جاءت بأمر من زوجها بأنه مكلف بإبلاغه أن عمه حاكم البلاد وولى عهده وكبار العائلة فوضوه بتمثيلهم فى "مؤتمر أوربا" وتتعالى قهقهته الباكية وهو يفلت قدميه من أخته "ويردد :

- نعم نعم وسأل نفسه مستنكرا وموبخا هل كانوا منتظرين أن يمنوا عليهم بالمزيد ويعطونهم الأذن بالإستمرار فى حكم البلاد بلا ثمن " وتخرج زمجرات عالية من بين أضراسه وآهة حارقة " ويرفع جوهرة عن الأرض ويمسح عنها دمعها المشتعل بكلتا يديه " ... وهنا تدخل رهف منسلة رويدا رويدا إلى الحديقة الخلفية بعدما بقيت فى بهو القصر الخارجى حتى سمعت صراخهم فلمحها وأمسكت بإحدى الأختين وخاطبهم آمرا الجميع بأن يذهبوا إلى القصر الأخضر عند " جود" لكى يبقوا عندها حتى يتم تسوية الأمر وتبادلت بينهم نظرات الإستفسار

- بس يا حميد " تحاول ميزاب الكلام موضحة له قرارات العائلة وما أصرّه إليها زوجها " فيصدها رافضا أن يسمع أى كلام آخر ويكفكف دمعه ويخفض شبا سيفه وأثنائذ تتدفق جموع شبابية مهرولين إليه عبر الدهليز الرجالى" ويصرخون فى لفظة واحدة " :

- حميد : فيتجه إليهم باحثا عن عقاله وأشار إلى أختيه بالإحتشام وتوقفت الحشود أمام مرئاهم الباكى الحزين وجاء أحدهم من الخلف ملقيا عليهم السلام فردون بإنحناءة من رؤوسهن وهن تغطيانها وينصرفن من دهليز النساء ويأتى سؤالهم عما يحدث و كلمات تعجب تخرج من بين تلك الأصوات فأشار إليهم بالقدوم إليه وألقى سيفه على طاولة من خشب الزان الهندى المطعم بقشرة ذهبية فيقطعها نصفين وينتصب على حافتها وشد ناظرهم السيف وحال القصر ودمع عينيه وأختيه وأصابتهم كثير دهشة وراحو ينظرون لأنفسهم محاولين الوصول لإجابة عما حدث فأخذهم ومشى إلى القاعة الصغرى فى آخر الحديقة الخلفية. وسأله أحدهم :

هل ستذعن لقرار العائلة والذهاب إلى أوربا للتتفاوض هناك والتوقيع على طلباتهم؟ " وبادروه بكلمات معاتبة وهم يدخلون القاعة وذكروه بما اتفقوا عليه سابقا فرد عليهم

- أنه من المستحيل أن يحقق لهم أمانيهم وأنه مصمما على ما أتفقوا عليه ألا يتركوهم فى أرضهم أو يسمحوا بتواجد قواعدهم مرة أخرى على ترابها :" وكانت تلك الكلمات التى أعادها عليه ذو الجلباب العربى وهو الوحيد من بين القادمين الذى تمسك به وكانوا جميعا بزى غربى" وراح الآخرون يعيدون المناقشات السابقة عما يجب أن يتم أولا فقاطعهم :

- وأشار عليهم أنهم يجب أن يخبروا الآخرين ويختبروهم وكان يقصد تحديدا من أبعدوا عن الحكم إلى الحدود فى حرب وهمية أو نفوا إلى خارج البلاد فى مهام دبلوماسية فمن كان منهم معهم فهو ضمن السلطة القادمة أما الرافضين فليرحلوا مع الراحلين وشدد ذكرا على المقيمين بمصر فاستنكر أحدهم حالها الآن ومن بها من مقيمين فهى داخل دوامة من الأزمات الإجتماعية والإقتصادية والسياسية فنبههم جميعا على أنها هى الركن الركين فإن سقطت سقط كل العرب وإن استفاقت عاد للعرب عزهم ومجدهم وكان كل شاب اتخذ لنفسه مقعدا حول الطاولة الخشبية الصغيرة ذات النقوش العربية المحلاة بالفضة فأجابهم :

- أن الذى تمر به مصر من شدة إقتصادية وأزمة سياسية أمر مدبر لإلهاء رجالاتها وساستها وشعبها عما حيك للأمة العربية وتمنى أن تمر كبوتها سريعا بلا أضرار وأمّن الكل جميعا على قوله وأخبرهم أنه ليس قلقا على أهلها فهم أصلب الشعوب عودا وأقواهم على المحن لكن الذى يسبب قلقه حقا أبناء الحصرومية بينهم ومن دول الجوار وكل تلكم القواعد الأوروأمريكية التى انتشرت على جزيرة العرب وناف عددها على الخمسة عشرة قاعدة وبالأخص القاعدتين اللتين تقبعان داخل دولتهم وتسيطران على تسيير دفة الحكم فيها وما ترتكبانه ضد الشعب مما فاق ما فعلوه باليابان وألمانيا من إنتهاك لحرمة المواطنين وتذكروا الحوادث الكثيرة التى كان يتم فيها إستلاب الفتيات القاصرات من الطرقات بحيل وإدعاء توافر ترفيه داخل ملاهى القاعدتين واللتين تحولتا لأكبر وكرين لرجال الحكم الفاسدين وسارتا مجلس الحكم والإدارة للدولة وتذكر هو ما تعج به قصور الأميرات وما حدث لأختيه وأخريات لم يستطعن البوح بما حدث لهن خاصة تلكم اللاتى كن انتحرن منذ شهور ماضية وألصق الأطباء الغربيون الظاهرة بأكتئاب الأثرياء وهذا الترف الذى تعيشه الدولة منذ سنوات كأغنى دول العالم والخواء الحضارى الذى تعانيه فى نفس الوقت فمن دولة بدوية صحراوية إلى مجتمع تجد فيه كل مخترع عالمى ثالث يوم من إنتاجه وألعاب الكترونية خليعة بيدى الكهل الكبير قبل الطفل الصغير ووسائل إباحية بيد المتزوجات قبل المراهقات ،لذلك صمموا وهم جميعا يعلمون بكل ذلك فيهم وفى أهلهم وأخذ يردد لهم :

- المعركة دى معركتنا معركة هنا ومعركة هناك ..

فرد أحدهم

- معركة هنا عارفين ومتفقين لكن معركة هناك ..أين هناك؟ فرد عليه سريعا :

- فى مصر ؟ والكل نطق مستعجبا :

- فى مصر ؟! واستفسر بعضهم ؟هل قصده المساهمة فى الإطاحة بالنظام القائم الآن فنفى لهم ذلك وأن الشعب هناك أدرى بطريقه بعدما أعادهم نظام الحكم الحالى أربعون عاما للوراء وبديون أضعاف مضاعفة عما كانت عليه وإنما ما قصده هو

- منع الآخرين من التحكم فى إقتصادها وتسآل أحد الجالسين عن قصده تحديدا فأخبره بأن أولهم دولتهم وتلكم الشرذمة من رجال الأعمال الذين تغلغوا فيها كمستثمرين عرب وهم فى الحقيقة عملاء مخابراتيين من الدول الغربية أصحاب المؤسسة الجديدة "نادى باريس للسلام والتنمية بالشرق الأوسط " ...فأخبرهم

- أنّ عليهم فعل الشىء الصحيح أو سوف يصبح كل العرب مجرد عبيد فى نادى باريس وأوضح لهم الحقيقة التاريخية أن العرب لم ولن يستطيعوا الوقوف فى وجه الغرب والمتآمرين بدونها ولما اقتنع الجميع بذلك تسآلوا :

- كيف إنقاذها ؟ فالحصار مفروض عليها من الداخل والخارج .فمن الداخل الذين مسكوا الحكم عاثوا فيها إفقارا للشعب ووقعوا فى الشرك المنصوب فما كاد الكل يستبشرون بعودتها من غيبوبتها الحضارية منذ الإتفاقيات السرية أواخر السبعينيات حتى صار هؤلاء الآنيين كأولائك السابقين وكأنهم معصوبى العقول لا يقرئون ولا يفهمون .فأخبرهم مجددا

- أن هذا وقتنا وهذه معركة الجميع

- الأولى تبتدىء من داخل الدولة والثانية هناك فى وادى النيل .

وفاجأهم جميعا صوت ناعم حانى من أحد القادمين يسطع فى وجهه أثر النعيم المقيم وترى به خوف فواته يعيب عليهم عدم تنفيذ أمر الأسرة المالكة والذهاب لأوربا وكادت تفجعهم ردة فعل الأمير حميد بأن أخبره بذهابه إلى هناك

- سوف أذهب إلى هناك وأقوم بما يلزم

لولا أن أشار لهم إشارة خفية بموافقته على رأيه وتأجيل المواجهة لوقت آخر فهم جميعا يعلمون أن هذا الآتى مدسوسا عليهم من ولى العهد للتلصص ونقل أخبار الأمراء الشبان إليه وهناك مثله الكثير حتى من بين الأميرات فبعثوا معه رسالة طمأنة لولى العهد ووالده بالموافقة على ذهابه للمؤتمر الدولى وتحقيق رغبتهم كاملة فانصرف مسرورا فرحا ثم بدأوا فى الإنصراف بعدما اتفقوا أن يكونوا فريقين :

- فرقة تسيطر على أمور الدولة بقيادة الأمير "المهيوب"

- وآخرون يذهبون للقاهرة للإحتماء والإختفاء بها ولنصرتها ثم طلب دعمها .وأخبرهم أنه فعل ذلك قبلا بإرسال ابنيه للتعليم عند شقيق زوجته منذ تولى منصبه الوزارى ورأى وعرف ما سيحدث.

والأمير "المهيوب"هو الوحيد من بينهم الذى التزم بالزى العربى المصرى وراثة عن جده ووالده فكلاهما كان أزهريا وهو كذلك ولم تغره حياة الغرب وملبسه وقد زوجوه من الأميرة "جود"مرغما بعدما فرقوا بينها وبين المصرى وأتوا بها مرغمة..ويسرى أمره الآن فى العائلة إذ أنه حفيد العم الأكبر للأمراء الحاكمين وبيده دعوة مجلس المشورة والرأى الذى تولى منصب أمينه بعد جده الذى تخلى عن حقه وأولاده فى حكم البلاد مقابل أن يأخذوا أمانة المجلس الإستشارى للعائلة الحاكمة ".

(وكانت جود إحدى الأميرات الصغيرات لعمومة الحاكم أغرمت بمعلمها الشاب المصرى الذى كان يدّرس بإحدى مدارس الدولة وجىء به للقصر ليعلم فتيان وفتيات تلكم العائلة التى ظلت متمسكة ببعض التقاليد ومنها عدم خروج فتيات العائلة للمدارس المختلطة والتى انتشرت بالدولة بعدما بدء العهد الجديد تغييراته فى نظام الحكم وأساليب العمل والتعليم مجاراة للآخرين وخشية من وصمة التشدد الدينى وكّكل المعلمين المصريين اتصف بحسن خلقه ونقاء سريرته وتحاشيه فى تعامله عن التلصص حيث ظل ثمان سنوات يدرس لهم الرياضيات من المرحلة الإعدادية حتى الثانوية فتخرج أكثرهم من الجامعة والتزامه التام بعدم رؤية أو محاولة التحدث لفتيات العائلة طوال تلكم السنوات وإنما كان حلقة الإتصال الدراسى بهم مدبرات البيت أو الأمراء الشبان إذ كانت الأسرة ضمن ذلك الجناح الذى يهتم أن تدرس الفتيات بمنازلهن فكان يذهب للقصر ويدخل حجرة بها جمع من الأمراء الشبان يدرس لهم وبحوائطها كاميرات متصلة بشاشات داخلية فى غرفة تجلس أمامها الفتيات لتلقى الدرس حتى فاجئته ذات عام بإحدى الزيارات الأميرية للمدرسة التى يعمل بها وكانت بصحبة جمع تعليمى لإفتتاح أقسام جديدة بالمدرسة بعدما تخرجت وصارت إحدى مدراء الأقسام بالهيئة التعليمية بعد حركة التحديث بالدولة ودخول المرأة سلك العمل العام ..ثم أردفتها بهدية أرسلتها إليه مع هدايا للمعلمين الآخرين وعرفت بها عن نفسها وإن كان عرفها من خطها عندما تعمدت أن تكتب شيئا للتلاميذ على جزء السبورة المعد للشرح والكتابة بجانب الشاشة الرقمية وتكررت الزيارات وتعددت أساليب التراسل ..وصارت كثير من الحكايات عن الأمر .....حتى زوجها أخيها وخالها ممن أرادت بعدما أفضت لأمها بسرها ورغبتها فنقلتها لأخيها وكان هذا الخال أحد خريجى الأزهر الشريف وله علاقات واسعة ومتعددة بكثير من العائلات المصرية ومنهم تعرف على عائلة المعلم وامتداد جذوره لإحدى أكبر القبائل العربية بصعيدها وأقاما عرسها بالاجازة الصيفية على ضفاف النيل وبقيا أشهرها يحوبان شواطئها حتى إذا علم الحاكم ثار ثورة لا مثيل لها وأصرّ على طلاقها ونفيه بعدما عادا ،وقبض عليه وقبع شهورا فى السجن حتى طلقها وأخذ ابنه منها بعدما كادوا أن يقتلوه لولا اشتراطها تسليمه لوالده وإخراجه من السجن وإرجاعه لبلده) ثم زوجوها من ابن خالها بعدما رفضت كل المعروضين وكادوا أن يقتلوها إلا أن خالها أقنعها بأن تتزوج من ابنه الذى توفيت زوجته خلال هذه الأزمة وتركت له ابنة صغيرة أثناء ولادتها فاقتنعت لعلها تصبرها على فراق ابنها)

وعندما وصلت كلا من رهف وأختى حميد إلى قصرها رحبت بهم وعرفت عزمهم الذهاب إلى مصر فتوسلت لهم أن يبحث أخيهم عن ابنها وتطمينها عليه وكان قد تقرر أن تذهب مع أختها وجدان بحجة زيارة أخيها فى مصر ثم ابقاء ابنيها عند خالها حتى يتقرر مصير الحكم فى البلاد وبعدها تتبعها ميزاب وجوهرة .

- أرجكوما وأنتم فى مصر أن تتوصلا لابنى أحمد وتتعرفون على حاله وكيف هو

وعندما أخبرته رهف عن ابن "جود" قرر الدبلوماسى يوما أن يذهب للمدرسة لجلب ابن أخته ...وأمام مدرسة الثانوية بنين رأى لأول مرة "أحمد جود" كما سماه أبوه وتعرف عليه بعد جهد وبحث واستخدام علاقاته كدبلوماسى بالإضافة لإستغلال بعض العاملين بشركة المقاولات التى يملكها فتوصل إلى أنه بنفس المدرسة التى ألحق بها ابن أخته وتعجب من تصاريف القدر ولم يشأ أن يفصح عن ذلك لمن داله عليه ففى هذا اليوم أخذ "أحمد الأصغر" وأمسك بعضده فالتفت إليه وأخذته رعشة غريبة وسرح الدبلوماسى بخاطره مفكرا فى أبناءه والعائلة الحاكة وما كلف به منها أو السر المكنون للأمراء الشبان وتوقف الأصغر محدقا فيه لحظات ووضع يديه على عضديه وتبسم له واندمجا فى عناق شديد" وكبّر فى نفسه مرددا معها المشيئة كيف صار أبناءهم رجالا

- الله أكبر وماشاء الله لقد كبرتم وأصبحتم رجالا

وألقاه مرة أخرى بين ذراعيه ووضع الآخر يديه على كتفيه وأومأ لزملاءه بتحية سلام وكان قد وجد ودا وقبولا سريعا فى صحبة المصريين وتأبطا ذراعى بعضهما وأخذه فى سيارته وعادا للبيت وتكررت زياراته للمدرسة حتى التقى يوما بالاستاذ/ عبدالبارى الذى صار مديرا للمدرسة ولحظات وقفا فيها يتأملان بعضهما حتى تذكرا أيامهما فى الجامعة وعانقا بعضهما بشوق شديد وإن كان عبدالبارى سرح خاطره بذكرى وجدان يوم أن جاءت للمدرسة وتمنى لو عانقها وقتئذ واسترجعا بعض الذكريات وقاطعهما أحمد الأصغر وعرفه الخال بابن جود وكان قد عرفه منذ أن زارته وإن كان انشغل بعد ذلك بمنصبه كمدير للمدرسة بعدما عادت له كل حقوقه بعد براءته مما كان منسوبا إليه وترشحه لإدارة المدرسة بعد خروج السابق إلى السجن لمخالفاته التى اتهمه بها سابقا ومنها أيضا إنكشاف حقيقة مدرسة البنات الدولية للغات وأنها محطة لتفريخ فتيات دعارة يسهل تجنيدهم لأغراض مخابرات دولية ،وقيام الجهات الأمنية بالإستيلاء على ما بها وفوجئوا بأن المجسم الكوكبى ومنظار الكون ما هى إلا أدوات رصد وتجسس ضد الدولة المصرية لصالح الكيان المؤسس لهذه المدارس

وتكررت اللقاءات وإن خففها الدبلوماسى لأمر فى نفسه وذات يوم طلب منه أن يجلب له "أحمد جود "

- استاذ عبدالبارى أرجو منك طلبا

- ما هو؟ لن أخذلك إن كان باستطاعتى

- أريد أن تأتى بأحمد جود طالب لديك بالمدرسة وتعرفنى عليه معرفة شخصية خارج الدوام المدرسى ورفض الاستاذ "عبدالبارى" رفضا شديدا ؟!

- لا لا لن أستطيع ....أى شىء آخر غير هذا الطلب فاستعجب الدبلوماسى منه ذلك

- ولماذ إنه أمر بسيط وإن أخبرتك أنتى قريب لأمه

- لا لا لن أستطيع ،فلما علم السر اطمأن لأن والده أوصاه به عندما التقاه فى السجن وعرف منه سبب بقاءه فى السجن لسنوات عدة، مرحلا من تلك الدولة وإقالته من وظيفته بحجة مخالفته قرار الإعارة وقوانين الإقامة بها وبقاءه هناك اثنتى عشرة سنة منها اثنتين مسجونا وعلم الدبلوماسى أنه هو الذى يتولى تربية ورعاية "أحمد جود" لقرابته من أبيه فهما من قرية واحدة وحاول أن يقربه من أحمد الأصغر إلا أنه كان يسبقه فى الدراسة إذ تخرج الأول من الثانوية وذهب للجامعة فى كلية الهندسة وأثناء ذلك كانت الثورة الجديدة قد بدأت تباشيرها تطل على فشل الحكم فى تحقيق طموحات الشباب فى العيش والحرية والكرامة الإجتماعيةووقتما خرج محمدالقناوى وجد ابنه قد صار شابا جامعيا بعدما قضى مدة السجن فى مصر إذ أن حاكم الدولة ابن عم والد جود أوعز لبعض رجال الحكومة بإكمال سجنه بها بعد إبعاده من دولته، والتقيا محمد القناوى وعبدالبارى من جديد وساءهم حال البلاد وما يحدث فيها وانتشار المراكز الثقافية للسفارات الأجنبية خاصة المركز الثقافى للسلام والتنمية الذى أسس من جديد بعد حرقه وتدميره فى الثورة الإجتماعية للشعب وإن لم يطلق عليها "إنتفاضة الحرامية كالتى كانت فى ١٩٧٧ وإنما سميت إعلاميا "احتجاجات الفقراء" التى سرعان ما هدأها النظام ببعض الزيادات فى أنواع المعاشات والأجور وحصص التموين بينما انتشرت نوادى الروتارى والليونز من جديد بعدما تشعبت وتكاثرت فى دول المنطقة العربية وإن كانت هنا هذه المرة برغبة النظم السياسية لتغيير واقع المجتمع العربى عن طريق المرأة بإدعاء تمكينها الإجتماعى والاقتصادى .....ومروا على المركز بالقاهرة ولاحظوا دخول كثيرين إليه خاصة طلبة المدارس والجامعات وشاهد منهم امرأة وفتاة وكأنه يعرف السيدة وحاول تذكرها أو من هى ؟ فلم يفلح..ولكن ظل إحساسه أنه يعرفها جيدا ...واستكملوا مسيرهم حتى وسط البلد ولكن فاجأتهم تلكم الإعلانات الكثيفة والمتعددة عن المستشفى الأوربى والمركز الثقافى ونادى باريس للسلام والتنمية والمدينة الخضراء التى سيقام جزءا منها على أرض مصرية بمشاركة المركز الثقافى وتمويل من نادى باريس للسلام والتنمية.

"المدينة الخضراء"

هى مدينة حديثة تعتبر أحد ركائز وثمرات نادى باريس للسلام والتنمية المستدامة بالشرق الأوسط تمتد على البحر الأحمر بين خمس دول إحداها إسرائيل وتشترك بها عبر منطقتين استأجرت إحداهما من إحدى الدول بعدما كانتا تتبعان مصر وأصبحت هذه المدينة التأسيس الثانى لها بعد الأرض المحتلة..تأسيسا بدون دماء أو حروب بل وبأموال عربية تجمعت فيها خصال المنطقة كلها فكانت فيها"مارونسية ومزارات صوفيا وبيت إبراهام " وتكاثرت فيها مراكز المؤسسة الأوربية وصارت أكبر مركز تجارى إقليمى ينقل كل شىء من طرف الأرض لأقصاها وغابات إستوائية وأنهار صناعية وغصت بمتنزهات داوود التى أنشئت بهامراكز للتزلج على الجليد واشتهرت فيها لعبة الجوجولثة وهى لعبة حديثة خاصة بالمدينة عبارة عن فرقتين بلونين أزرق وأحمر وكل فرقة بها أربعة أفراد لا يهم إن كانوا كلهم رجالا أو نساء أو مختلطين يمتطي كل اثنين سيارة على شكل حصان عربى يمرقان بها عبر الغابات الكثيفة التى أنشئت من شجر مخصوص ويفوز فيها من يسلب أكثر ملبوسات الآخرين ويحرق أكبر عدد من ممتلكاتهم الموضوعة فى طرف الطرق باللونين الأخضر والأسود وهى مجسمات على شكل مكعب باللون الأسود والأخرى مثمنة تعلوها قبة باللون الأخضر وكل منطقة السباق مثبت بها كاميرات أرضية أو على جذوع الأشجار وإن كانت ضمن الفريق بنت فعليها أن تلبس تاجا أصفر منقوش عليه رسم بارز لامرأة تجلس على حيوان مجنح ذو سبعة رؤوس على شكل جمل وهو شبيه برسم لأغلى اللوحات فى العالم بعدما اشتراها وزيرا فى دولة"نيو هوم " وهو الاسم العالمى للمدينة الخضراء" وعلى الفريق المنهزم أن يقدم نفسه مستسلما للفائزين ليأخذوه لآخر منطقة اللعب عند مكان يسمى" كوكب سمعون "يفعلوا بهما ما يشاءان على أن يضعوا جميعا أسلابهم لنصب من حجارة جسمه على هيئة خنزير مجنح يجلس على إليته مبرزا عضوه ملتفا على حامل من الذهب الخالص ورأسه رأس عربى بدشداشة يعلوه قرص أحمر بقرنين وبيده سيفا كصليب مقلوب وهم ركعا أمامه فإذا انتهوا من تحيتهم له أخذ الفائزان سبيكتين ذهبيتين يعلوهما شمعدان سباعى على رمح أما المنهزمان فيحصلان على سبيكتين معدنيتين يعلوهما هلال بنجمة فوق الرمح وتنقسم مداخل الكوكب لأربعة ذات بوابات شاهقة منقوش على جوانبها أو أعلاها شعر أو نصوص مترجمة بلغات عالمية بشكل منمق لتوحى كأنها أحد أبيات عيون الشعر العربى أو معلقات الفخر العربية ففى القسم الغربى منها بوابة نقش أعلاها :

- "قشطة على كيلة ومن فوقها لوز والخوخ فوق الصدر تحت البلوزة حازت جمال الكون فى جسمها جوز والعطر من ريحة عرقها تحوزه..... أما الجانب الشمالى فكتب علي بوابته :
- "يا راعى الردف السميك المدبل وشى لك بتعذيب القلوب وضياعه راح الربيع ومات ورده وذبل وربيع ردفك فى سمو ومياعة وعلى يمين البوابة الشرقية كتب:
- " أقبل يسوق خطاه وعيونى تشوف الأرض تشفق له كثر ما يغنيه كته مفضّل بس نهدين وردوف فديت بطن أمه وأبوه وفديته "أما يسراها فوضع رسم بارز لجسد امرأة على شكل عروس البحور ذات نهود بارزة ومدلاة راقدة على رمل وردى رافعة أردافها وكانت هذه البوابات يدخل منها القادم من جهاتها الثلاث للمدينة أما الجهة الرابعة فكانت البحر والذى يستنصفها على حافته تمثال

الخنزير"رب الجوجولثة" و سمي هذا الموضع بقلب المدينة ونقش على بابه من ناحية القادم من خارج المدينة :

- بين سيقان الحياة أبحث عن قطرة حب أو حلم يراودنى يروى عطشى يسقينى كأس نبيذ أحمر أرفع يدى لأمسك أعمدة الرخام الأبيض اتفحصها شبرا شبرا وامسح ندى ليلى اضمها بصدرى وأسجد عليها كطفل رضيع آه يا عشقى الأول والأخير. أما واجهته الداخلية عند عروس البحور فكتب عليه نص بالعبرية يقول :

- " فرجى ... فرجى ....التلة المنتفخة من سيحرثه لى ؟ أنا البنت من سيحرثه لى ؟الأرض الرطبة من سيحرثه لى أنا الملكة ؟ فرجى فرجى من سيضع فيه ثوره ...من ؟
أنا أنا أنا دموزى سأحرثه يا إينين ....إينين أنا الملك سأحرثه....أنا دموزى يا إينين سأحرثه ....احرثه يا رجل قلبى ..احرثه...احرثه إذن احرث فرجى يا رجل قلبى..

وفى كتالوج الزيارات الأجنبية سميت المدينة "demon new home " أما التى باللغة العربية فسميت "المدينة الخضراء " وكان الشراب الرسمى لهذه المدينة "الجوجنليز " وهو شراب أفريقى يأتى من ثمار شجرة تسمى التبلدى مولئت بها تلكم المدينة الجديدة وإن كان فى أفريقيا يشقون الثمرة من هذه الشجرة ثم يحلبون داخلها لبن غنم أو بقر ويشربونه أما هنا فإنهم يضيفون إليه بول خنزير مع نبيذ أحمر وأبيض وهناك أساطير شعبية تقول أنها شجرة الحياة والخلود وأن من يشرب عصيرها سيمتلك القوة والشجاعة ولذلك أصبح المشروب الأساسى للاعبي"الجوجلثة" يشربونه قبل البدء فى دخول اللعبة ثم يملئون زجاجتهم كلما فرغت من صنابير ممتدة على طول طريق المدينة حتى إذا ما وصلوا للتمثال العظيم وجدوا بحيرة بجانب البحر كلها من الجونجليز حفت جوانبها بنخل برحى لأن البلح البرحى الأبيض المصفر أفضل أنواع التمر لصنع النبيذ الأبيض الذى انتشر واشتهر بهذه المدينة مختلطا بالنبيذ الأحمر فيلقون أنفسهم فيها وهم عرايا .ويغوص بعضهم فى بعض رجالا ونساء ككتلة واحدة

وللوصول إلى هذه المدينة هناك طريق دولى يمر بناحيتها الشرقية وهو مشترك بين الدول الخمس أوله بمدينة "جومار" التى بنيت حول قبر جدة السمعون والتى أطلقت على نفسها هذا الاسم بعدما حلت فى قرى الهجير بعيد تركها مضارب قبيلتها "الحصرومية" فى شرق الجزيرة العربية .

وجومار هذه لفظة كان يطلقها الحجاج المصريون عند قدومهم المدينة المنورة برا فيصادفون أوان جنى ثمار التمر فيأخذون قلب النخل الصغير الذى لم يثمر ويقطعون جريده وأغصانه ثم يفتحونه ويأكلونه خاصة إذا صادف حجهم أيام الربيع عندهم التى تجعل الشعب كله يأكل البيض والخضروات والأسماك المملحة وكذلك جومار النخل وإن كانت فى حقيقتها دعت نفسها"جومر" كزوجة النبى هوشع فلما أتت الحملة على عهد السلطان" قنصوة الغورى" لتأديب اللصوص وقطاع الطرق من كلاب الهجير الذين قتلوا الحجيج وسلبوا متاعهم وهتكوا بسيدات الحج واستلبوا صرة الأموال الذهبية التى اعتاد الحكام المصريون إرسالها لأهل مكة والمدينة وفقراءهما فتبدر عليهم فقامت الجند وهدّمت خيامهم ومضاربهم وفرقتهم ضباعا فى جبال الحجاز وربما ذهبت الحملة المصرية أوقف الحج العام التالى والذى يليه لما تكاثرت كلاب الهجير فى شعب الجبال حتى قضت عليهم القوة المصرية تماما فقامت

جدة السمعون وأهلها ومن بقى معها من الهجير بالخنوع للسلطان المملوكى وأخذت الأذن منهم فابتنوا لهم هجيرتين الأولى سميت "جومار"والثانية "الخرص" وهى التى أسسوها فى وادى الخرصاء عند قبر ابنة التاجر العربى الذى قتلها زوج الحصرومية لمّا أقنعتها الحامية الحجازية من قبضته عندما فرت إليهم منذ عشرات السنين بعدما غادر جند السلطان وأشاعت بينهم أن المصريين هم من قتلوها وكانت السمعون قد أتوا منذ عدة عقود مطرودين من عند عرب البصرة لما ساءت سيرتهم وأفسدوا بين قبائل العرب ورفعوا شعار صواحبات الرايات الحمر من جديد خاصة على طريق الحج من بغداد للمدينة.فلما ضعفت سلطة خلفاء السلطان قنصوه تكاثروا بين الوديان ما بين مكة والمدينة من جهة البحر الأحمر وهنا ظهرت خسيسة أصلهم فعلى مدار ألف عام حاولت فيها أوربا اختراق الجهة الشمالية للوصول للأماكن المقدسة فلم يستطيعوا بفضل منعة وحماية الجيوش المصرية التى تصدت دائما لتلكم الحملات الصليبية إلا أنهم بسبب أبناء الحصرومية والسمعون استطاعت البحرية الأوربية الإنقضاض على الأماكن المقدسة عن طريق الجنوب عبر البحر الأحمر فعندما ظهر البرتغاليون لم يستطيعوا كسابقيهم كسر طوق الحماية المصري عن بلاد العرب فالتفوا حول البحار فلما وصلوا لحدود الجزيرة العربية جنوبا كانت بقايا الهجير وأبناء الحصرمية قد سيطروا على طرقها ووديانها الداخلية بعدما انتهت دولة بنى رسول شريكة مصر فى حكم وحماية أرض الحجاز من يمنها فسهلّوا لهم السبل للنفاذ إلى قلب الأماكن المقدسة ولأول مرة فى التاريخ استطاعت أوربا الوصول لمكة والمدينة.وأصبح هذا الطريق يمهد لهم إستكمال تلك المرحلة ويمر الطريق الحديث من شرق المدينة شمالا بغرب حتى يدخل "المدينة الخضراء" ثم يتجه ناحية الشمال متتبعا طريق الحج القديم ثم ينحرف عابرا الخليج ويظل فى طريق برى حتى يصل لطرف البحر من تل أبيب فيعبر محاذيا شاطئها ثم يصل إلى"مارونتينيا " أعلى الجبل المطل على البحر من شرق بيروت وغربها .

- خيمات سمعون -

وعلى الطرف البعيد من ضفاف البحر المتوسط الشمالية أقيم مؤتمر "السلام والتنمية المستدامة فى الشرق الأوسط " وكانت الوفود متعددة وفيها من العرب أمراء وشيوخ بترول ووزراء ودبلوماسيين أدباء وشعراء ومن ضمنهم أمير جزيرة العرب "الأمير حميد " الذى أرسلته العائلة الحاكمة ليكون مندوبها بالمؤتمر وبدا أن مصر غابت عن المؤتمر إلا من خلال بعض أولائك المتغربين منها فقد كانت قد بدأت بها ثورة جديدة أو قلاقل إجتماعية دينية كما وصفتها أوربا وأرادت لها أن تكون كذلك .

وكان المؤتمرين قد وضعوا إعلانات مطبوعة ثلاثية الأبعاد للأهرام والكعبة والأقصى ومجسم لسيناء بجبالها والنجف بحلله الذهبية وعليهم جميعا طبعت ثلاث علامات الدولار واليورو والصيصون "والصيصون هذه عملة إلكترونية موحدة لأبناء الحصرومية خاصة بهم وبين البنوك الأوربية والأمريكية

وأما"خيمات سمعون" فهى لفظة أطلقها الأوربيون والإنجليز تحديدا على أولائك المتشردين فى جزيرة العرب ممن أوجدوهم عند دخولهم هناك بعد القضاء على الوجود المصرى فيها وظلت حبيسة المراسلات السرية إلى أن أطلقوها قبل مؤتمر السلام والتنمية فصارت علما على دويلاتها.وكان المؤتمر عبارة عن تجمع لدول "نادى باريس للدول الدائنة" وأخريات من منطقة الشرق الأوسط وبعضا من دول غرب وجنوب الصحراء؟!

وفى يوم الإستضافة أتى جنرالا أوربيا مرتديا زيا عسكريا لبلاده أقرب ما يكون للباس الحملة الصليبية الرابعة واستعرض الحاضرين أنفسهم أمامه واحدا واحدا وحياهم جميعا إلا الأمير حميد الذى استبقى نفسه فى حجرة الإستقبال فمر بهم عليه وأسكر الآخرين من كؤوس الخمر وتحلقوا حول المنضدة العريضة جدا والطويلة جدا جدا الموضوع وسطها مجسمات الأماكن المقدسة بأرض العرب وظل الأمير فى ركن بعيد شاردا ينظر إليهم بترقب وكانوا هم بانتظار بقية الداعين الذين سرعان ما أتوا بعد فض إجتماعهم الخاص والذى اتفقوا فيه على تقاسم المقدسات بين دول العالم من خلال إدارتها بواسطة شركة متعددة الجنسيات سميت mpmatthew وكانوا جميعا يرتدون زى الجنرالات وآخرون يلبسون زيا عصريا مقتبس من العباءات الرومانية ونفر آخرون بزيهم التقليدى بدلة كاملة عليها شعار إمبراطورية شارلمان ثم عرضوا على المجتمعين من رؤساء وأمراء ونواب وثائق الإتفاق الدولى للتوقيع عليها فسارع بعض المجلوبين العرب للتوقيع فاستوقفهم الجنرال المستضيف وحثهم على التريث لحين إلقاء خطابه قبيل التوقيع وكانت ناظريه دائما تجاه الأمير فأخذ يصف لهم براعتهم هم الأوربيون فى السياسة والتجارة وعند الضرورة فى فنون الحرب الغير مباشرة وكيف ظلوا طوال ألف عام يخططون ويسعون وراء هدفهم بالإستيلاء التام على أرض العرب المسلمين حتى وصل لمنتصف القرن السابع عشر وعندها ترك سيرة التاريخ وأخذ يصف لهم مصطلح خيمات سمعون وكيف استولدوا هذه العوائل فى جزيرة العرب وقد بدأ الأمر مع تواجد "بريكستون" ذاك الطفل الأوربى الذى ولد من أم رومية كانت جدتها إحدى مومسات "لويس التاسع "اللاتى أتين معه فى الحملة الصليبية السابعة وتركهم بساحل الشام بعد فك أسره من أيدى المصريين فى رشيد وكان أبوه "حفيجان" قد اتخذها زوجة له وهم نسبو أصل جده لإحدى القبائل العربية تدعى"قبيلة السمعون" ويشيعون زورا عنه فى كتبهم التاريخية أن جده كان شيخ بطن هذه القبيلة فى جنوب غرب البصرة إلا أنه تركها هاربا من بطش المغول

الذين غزوا بغداد فى زمنه واستقر عند تاجر مصرى ببر الشام ممن كانوا أتوا فى جيش الظاهر بيبرس لطرد التتار من شرق الديار الإسلامية –وأما الحقيقة فهو من نسل يهود الغجر الذين طردوا من إسبانيافذهبوا إلى تركيا ومنها إلى بريّة العراق...ويقال أن هذا المصرى هو من أطلق علي جده اسم حفيجان أى" حفيان وجعان "وصفا للحالة التى وجده بها طريحا فى البرية عند عبور نهر الفرات بتجارته من التمر والزبيب وقد لقب الجد حفيده بهذا الاسم ليوهم الناس بقصته التى داوم على تكرارها :

- وهى أنه زوّج ابنته لابن التاجر المصرى وشاركه تجارته وواقع الأمر أنها لم تكن ابنته وإنما ابنة لأحد العرب الذين أكرموا ذله وحقارته ووضاعة أصله فلما اشتد صلبه وعرف الرجل سره غدر به وبأولاده الذكور وقتلهم جميعا واستبقى هذه الطفلة لنفسه وعندما حلّ له المقام هناك إدعى أنها ابنته التى بقيت من بعد أولاده وزوجته ممن قتلهم الغزاة وفعلت نفسه ما اعتادت عليه وقتل التاجر المصرى وأولاده وأبقى الفتاة ابنة العربى كإبنة له أمام الناس وجارية له عند نفسه وهى الخرصاء التى قطع لسانها وألصق التهمة بالغزاة وأخذها مع زوجته الرومية التى تزوجها عند استقراره فى أرض الشام ثم اتجه بهم لأرض الحجاز فلما رجفت نفسه من دخول أرض الحرمين ذهب إلى البصرة مدعيا نفسه ابن شيخ البطن الذى قتل على يد الغزاة المغول وهناك كانت ولادة ذاك الطفل واسمته أمه "بريكستون" تيمنا بالرجل الذي ساكنها وآنسها شهورا فى ساحل بيروت قبيل لقاءها بحفيجان وهناك لف ودار كثيرا حتى ألقت له المقادير بقوم أخلاط لا هم عرب ولا عجم فاستأنس بهم نسبه اليهودى الغجرى وكانوا يتجمعون فى بضعة خيام فى أطراف الصحراء جنوب البصرة فترعرع وسطهم "بريكستون" ولما حان وقت رشده كانت أرض العرب قد وقعت فى أيدى البرتغاليين ثم الإنجليز من بعدهم فلما وصلوا إليها تهللوا بهم وكأنما عثروا على مبتغاهم وصار "حفيجان" كلبهم ودليلهم فى تلكم النواحى وهكذا تربى الطفل فى كنف الإنجليز الذين أشاروا على أمه أن تسميه اسما عربيا فاختارت له "سمعون"كجد القبيلة العربية الأكثر شهرة وعددا فى تلكم الأصقاع وعلمته بعضا من علوم العرب وطبهم التى أخذتها فترة إقامتها بالشام وكثيرا من أمور النساء مما احترفتها كمهنة جدتها الرومية وصنعت له خيمة خاصة لعلاج العربان ونساءهم ...واشتهر بين الصحارى وكانت نساء الأخلاط وبناتهم لا يمتنعون عنه ولايمنعوه أنفسهم وازدادت شهرته بكثرة ترحاله وما أشاعته نسوة الأخلاط ورجالاتهم عن قدرته فى شفاء علل الأمراض وعلاج العقيمات وازدادت مكانته بعدما أكسبت أمه أبيه منصب وكيل قنصل الإنجليز بشرق جزيرة العرب وكثيرا ما كانت توقد الحرب على القبائل المجاورة من عرب البصرة والبحرين وخاصة أبناء "القبطية "وهم مصريون أتوا على فترات من زمن التاريخ كنجدات لجزيرة العرب والعراق منذ أيام الإسلام الأولى بل إن بعضهم تعود جذوره لجنود من أيام رمسيس وتحمتس ممن انصهروا وتصاهروا مع أغلب قبائل العرب فى العراق وساحل البحرين وظفار وتزاوجوا ببناتهم حتى أتت لحظة أرادت القوات الإنجليزية التخلص منهم نهائيا لكى يطيب لها المقام فى جزيرة العرب فأقامت حربا عليهم لا هوادة فيها لمدة عشر سنين حتى تشتتوا على ساحل الخليج

وبوسط الجزيرة واستقر الأمر لخفيجان وزوجته الرومية وابنها الذى صار شيخ تلكم المنطقة ولقب ب"السمعون" وصارت خيام السمعون لها الحماية البريطانية أينما حلت من نهر الفرات حتى ساحل عمان ودائما ما كان سمعون يجعل خيامه متحلقة حول بئر على مسافة ميل أو ميلين ينصب فيه مضاربه وهى على هيئة ثلاث خيمات لحراسه بجوار قطعانه من الإبل والمواشى ثم أربع بعدهما لخدمه من البدو والعبيد ثم البئر التى يستقى منها يليها خيمة كبيرة له بحجم الأربعة يجلس بها صباحا أو مساء يرقب نساء البدو والعربان ممن تأتين للإستقاء وملء قرابهم أو رغبة التطبب منه تعقبها ثلاث خيمات له واحدة لزوجته وابنتيه ثم اثنتين له إحداهما يلقى فيها نساء البدو متى جئنا بحجة العلاج فمن أعجبته أخذها للخيمة الثالثة وباتت معه ليلتها واعتاد الجميع منه ذاك الفعل خاصة نساء البدو والعبيد بل كانوا يسرون لذلك فهو منذ صار وكيل قنصل الإنجليز يملك الكثير من الجنيهات الذهبية والفضية غير النوق والشياه أما زوجته تلك فهى ابنة أحد الرحل ممن كانوا يذهبون لبغداد ويعود ببعض الحصرم ،والحصرم هو ما بقى من تمر على نخل عفّته تجار العراق لرداءته لذلك سماها أبوها"حصرمة" إلا أنها كانت بارعة الجمال فائقة الحسن حتى أصابتها يوما الحمى وهى مازالت صبية فذهب بها أبيها لخيم السمعون وقت حياة أمه فعالجتها وأبقتها ريثما استردت صحتها فدفعتها لابنها بدعوى يكمل تطبيبها فاستلذ بها أياما وسعد بذلك أبيها إذ قررت أم سمعون بقاءها مع ابنها ودعوا أبيها وأهله للإقامة بجوارهم ومنذاك اليوم صاروا يدعون بنى "الحصرمية"وعندما يريد الجميع السمر أو تكون لديهم وليمة فرح كانت خيمته الكبيرة هى ملتقاهم سواء كان هو حاضرا معهم أو بقوا من غيره فقد جعلها ملتقى لهم ولمن جاورهم من القبائل لمّا صارت له وكالة القنصل بعد أبيه فيها يتسامرون ويتبايعون ومنها يتناقلون أخبار العرب خاصة القبائل الذاهبة والعائدة بين العراق واليمن أو مصر والحجاز سواء للتجارة أو الحج وزيارة الكعبة وظل يسرد لهم هذا الإنجليزى تاريخ العرب وأبناء السمعون والحصرومية وإن كانت المذلة قد بدت على كثير من الأمراء الحاضرين لما علموا من أصلهم إلا الأمير حميد ابن المصرية الذى ظل مرتفع الرأس مبتسما فكان ذلك مدعاة لغضبة الإنجليزى فأمسك بسيف أثرى من الحروب الصليبية كان معلقا ويفتخر به كأول سيف حمله إنجليزى وقتل به أتباع محمّد نبى العرب وأشار به إلى رأسه وخاطبه :

- "هل تظن أن هذا السيف مازال لديه القدرة على قطع الرقاب " فما اهتز ابن المصرية ووضع قدمه اليمنى على اليسرى مرتفعة لسته وراح يقهقه عاليا بأن الحرب الصليبية الأخيرة كما ادعى هذا الإنجليزى لن يتم مبتغاها ببيع الأراضى المقدسة فى أرض العرب إذ أنهم لا محالة سيفيقون من غفلتهم وساءله الإنجليزى مستغربا ومعددا له دولها وشرح له حالهم جميعا وأيهم يقصد فرد الأمير :

- يكفينا مصر فإن استيقظت عادت العرب جميعا من موتتها وهنا ضحك الجنرال وقهقه ملء شدقيه وضحك الحاضرون جميعا وظلت ضحكاتهم ترتفع وترتفع حتى شاركهم مغتربيها وأخبروه بأن القاهرة قد ماتت وكشفوا له سر المؤسسة العلمية الأوربية ودورها والمدينة الخضراء وكيف أسسوها وفوق ذلك أن ثلة من جماعات الروتلينز باتت أقرب لحكمها والآخرون الذين تدثروا كشيوخ السلفية الأولى تابعين لهم ثم صفق بيده فخرج من احدى أبواب الزوايا الجانبية "الشيخ اليعقوبى "أحد أشهر شيوخ السلفية وعرفه بحقيقته :

- السير "جيرجيوس ألبرت "ثم صفق ثانية فخرجت "الدكتورة هيام الوردانى " أشهر طبيبة وكاتبة عربية ومشرفة أشهر المجلات النسائية بالخليج وقدمها باسم مدام "إميلا شمعون "سليلة حاكم أورفا وهنا تذكر الأمير مربيات ومديرات منازل الأميرات وخرج ثالثهم "رفعت حسام الدين" مدير المؤسسة الأوربية بمصر وقدم هذا نفسه بنفسه ناعتها بالكولونيل "باتيرك دبليو جلوب"حفيد جلوب قائد هزيمة جيوش العرب فى حرب فلسطين واتجه بهم للأمير حميد :

- لسه محتاج أدلة أكثر أظن أنه آن الأوان تتبع العاقلين وأشار للمستعربين فرد الأمير واقفا أمامهم جميعا

- أنا الأمير "حميدالدين" ابن المصرية كما تعلمون ومالا تعلمونه أن جدة أبى أيضا مصرية فتبسموا جميعا:

-وما يفيد ذلك الآن"حدثوه بصوت واحد :

- فكل أرض العرب صارت لنا

- إلا القاهرة "صرخ فيهم الأمير وشكك قولهم واثقا فى كلامه فراهنه الإنجليزى على ذلك فى بضعة أيام من إنتهاء المؤتمر العالمى للسلام والتنمية المستدامة فى الشرق الأوسط مقابل التوقيع على صك تأجير الكعبة والقدس فرفض الأمير غاضبا صارخا فيهم موضحا أنهما ليستا محلا لذلك فعاوده بالمراهنة على ملكه فسكت الجميع منتظرين رده فأخذ برهة واستفسر منه عن مقابل رهانه فصعق الكل من ثقة ظهرت بكلامه فرد أحد الأوربيين فى مقابل جزيرة الإنجليز فأغضب صاحبه وتغير وجهه فأعاد ثالث الرهان:

- جزيرة العرب مقابل جزيرة الإنجليز هكذا تكون الرهانات وأنا أول المشاركين عن جزيرة الإنجليز فأعجب كلاهما بالرهان وطلبا من الجميع الإلتقاء بعد أشهر لإستكمال "مزاد الشرق الأوسط "كما وصفه الإنجليزى ورهان الجزيرتين كما قال العربى.وشدد الجنرالات على الجميع بأن يتابعوا ما يحدث وسوف يتم وكانت جزيرة العرب قد استقرت على وضعها المتردى رغم الطغمة الهائلة التى تجمعت لديهم من ثروات الغاز والبترول إلا أن هناك قد صارت نذر وتباشير توحى بأمور جديدة .

النزاهة قبل العدل

وفى أرض مصر ازدادت حوادث قتل النساء من فئة الخاصة فهذا ضابط شرطة يقتل زوجته ذبحا لورود اسمها ضمن كشوف عمليات الإجهاض بمستشفى الفرنساوى بعد حرقه والتى اضطلع عليها كونه أحد المحققين فى الحادث فقد توجه ذات يوم للقسم الذى يعمل به وأخرج كل المقبوض عليهم بتهم بسيطة وساذجة كشجار فى سوق أو إشغال طريق عام وبعضهم قبض عليه بسبب محاضر كيدية لسرقة كهرباء أو التعدى على شبكات المياه العمومية ودعاهم جميعا للتمسك بحقهم فى الإستفادة من ثروات الدولة وعدم التنازل عن حقوقهم وذهب آخر النهار فذبح زوجته وأبناءها وانتحر؟ وكان قبل ذلك قد تم إيفاده على رأس حملة عليا من رؤساء الأمن والحماية للقبض على أكبر عصابة لتهريب الآثار فى القرية السياحية الأشهر على شاطىء البحر الأحمر تضم صاحب القرية والمستكشف الذهبى الذى كان أشهر من يكتشف آثارا مصرية ويحتكر إذاعتها وعرضها لإحدى الفضائيات العالمية التى دأبت على إمداده بملايين الدولارات كتبرعات ومساهمات شعبية دولية للكشف عن خفايا الحضارة الفرعونية واتضح أنه يكشف عنها للعامة بعدما ينتقون ما يريدون وكانت هذه إحدى صفقاته وصدم الضباط من هول المفاجآت التى تكشفت أمامهم وإن كان ما صعقهم تلكم الصناديق الطبية المملؤة بعبوات حافظة تحوى ملايين من عينات الحيوانات المنوية المصرية وبويضات مجمدة لآلاف من المصريات تجمعت من أغلب مراكز الإخصاب والتلقيح التى انتشرت بلا رقيب أو حسيب بأرجاء مصر وإن كان أكثرها أتى من مستشفى الفرنساوى ومراكز الصحة الأوربية للمرأة التى تغلغلت فى كل مدنها وقراها ضمن المشروع الأوربى ووجدوا وجهتها دول شمال وغرب المتوسط فقرروا فتح تحقيق عالى المستوى فلما عادوا لعاصمة الدولة كان قد احترق مع مستشفيات خاصة عديدة تابعة لتلك المؤسسة فتولى هو التحقيق وعرف ما عرف .وزوجته هذه كانت الإبنة الثالثة لرجل الإعلان والرياضة الذى لمع نجمه قبل وبعد الثورتين السابقتين ولم يكن له تاريخ يذكر فى دنيا الإعلام الرياضى إلا من مشاركات قارية قليلة مع منتخب البلاد وفريقه المحلى وإنما سطع نجمه فجأة أوائل القرن بعدما إلتحق بدورة تدريبية رياضية فى الولايات الأمريكية وصارت زوجته إحدى مؤسسات نادى الروتلينز بمدينتهم الدلتاوية ولم يكن معهم سوى ابنتين وكانتا فى بداية مراهقتهما ثم أنجبت الأبنتين الأخرتين الثالثة أثناء أحداث سبتمبر وكانت قبلها معه بالدورة الرياضية الأولى فلما عادا العام التالى لإستكمال الدورة الثانية ولدتها هناك وحصلت لابنتها على الجنسية عن طريق المحكمة بعدما رفضت الإدارة الأمريكية منحها لهم بسبب الأحداث التى وقعت والحملة ضد العرب ثم جاءت الرابعة فترة وجودها بباريس ضمن ندوات الروتلينز التى ينظمها المعهد وكانت الكبيرتان تشبهان أبيهما تماما قمحيتى اللون سوداوات الشعر بأنوف معقوفة وصارت الثانية زوجة لرجل أعمال ضمن حاشية الجيل الجديد بحزب الحكومة قبيل الثورة الشبابية أما الأولى فزوجها لأحد أقارب أمها بينما الثالثة فشابهت أمها بملامحها فقط على عينين زرقاوين والرابعة لم تشابهما وكانت شقراء بعينين خضراوين وارتبط اسمه بقضية صفر المونديال إذ أنه أراد أن يكون أحد رؤساء اللجنة المسئولة عن الملف فلما رفض رجاءه وطلبه لتواضع مستواه التعليمى إذ أنه لم يحصل على شهادة معهد التعاون الذى كان ملتحقا به بل إنه حصل على دبلوم زراعى من الدور الثانى عندما كان بمدينته قبيل إنتقاله للفريق القاهرى واتخذ موقفا معاديا ضد وزارة الألعاب فبعدما كان الملف المصرى يمتلك

تأييد سبعة دول على الأقل فوجىء الجميع بالنتيجة ولما شكلت لجنة برلمانية للتحقيق ورد اسمه ضمن المستفيدين والمتسببين فى تسريب مكونات الملف الرياضى وساند ملفات الدول الأخرى وساهم بزوجته فى المشاورات ضد دولته ولكن لم يتواجد دليل مادى رسمى يثبت ذلك ومن تلك اللحظة بدء نجمه فى السطوع وأسهمه ترتفع محليا وإقليميا فلما كبرت ابنته الرابعة ألحقها بالقسم العربى لهيئة إذاعة وفضائية أوربية كانت قد عمدت جاهدة للوصول لنتيجة الصفر... وأقامت الفتاة بمفردها هناك ومن ثم تحصلت له على بكالوريوس إعلام من دولة الإذاعة وصار نجم دعاية وإعلان فى شركتها التى أسستها هناك وجعلت له مقرها الثانى بالقاهرة وافتتح أكاديمية رياضية بمدينته السابقة وكاد أن يصبح يوما ذو منصب إقليمى ودولى لولا أن التقارير السرية حذرت السلطات من ذلك. فلما ذبحت ابنته على يد زوجها الضابط أفل نجمه وهرب خارج البلاد وبقى لدى الأخيرة التى استثمرت علاقاتها ففتحت له أبواب جديدة عاد بها للتلاعب فى الشأن الداخلى ولكن هذه المرة سياسيا وإقتصاديا.

وثانية تلك القضايا الأشهر قيام مستشار بإعطاء البراءة وأخف الأحكام لكل من جاءه متهما فى أى قضية كانت سياسية أو جنائية رغم أنه كان سابقا يعطى الإعدام أو الأشغال الشاقة لمن يكون مناهضا أو معارضا لسياسة الحكم وتبرئة آخرين أو تخفيف الأحكام عليهم ممن كانوا يحسبون على النظام القائم وكل ذلك بعدما تيقن من أن أمه إحدى رائدات عالم الروتلينز تقيم حفلات جنس جماعى فى إحدى مقرات الهيئة والتى كانت فيلا بالحى الذى أقيم على طريق شرق العاصمة وقد جذبت معها زوجته بعدما كانت أخذت معها ابنتيها اللاتى كانت إحداهما عميدة كلية بالجامعة الخاصة الأشهر ذات الرعاية الدولية متخصصة فى علم الإجتماع وإحدى رائدات العمل الأهلى لحقوق المراة وزوجة لأشهر رئيس جمعية حقوقية ،وبعد عشرة أيام عمل أنهى فيها كل القضايا بالبراءة أو الحبس المخفف توجه فى أوج النهار ووقف أمام الدار العليا وأخرج مسدسه الشخصى فأطلق على نفسه الرصاص ووجدت معه ورقة كتب فيها:

- عندما يكون أهل العدل والنزاهة أبناء فجر وبيت الشرف وكرا للملذات المحرمة فموت الحق أصبح دينا ولزاما ولا عيش لوطن سقطت فيه نزاهة العدل وشرف الأمانة وإنى لآسف لكل من حكمت بإعدامهم وحبسهم زورا وبهتانا وعلى كل من به ذرة من شرف أن يحرق جثتى ويمزقها بأرخص سلاح فإنى لا أدرى هل هذا الجسد من حلال أم حرام ومن فقد الايمان بشرف أهله فماذا يفعل أكثر من قتل نفسه ؟!وهذا الحرم ؟؟!! إما أن يكون حرما للعدل والنزاهة فى أهله وعلى أهله أولا وثانيا ، .أو نترك الناس تعيش بقانونها وعدلها وإنتى ممن كنت أعارض أن يكون أبناء العمال والزبالين قضاة ورؤساء نيابة أمّا اليوم أقر معترفا بأنهم هم الأحق بذلك ففيهم الشرف إيمانهم والنزاهة حياتهم وإنتى ومن مثلى كنا أبعد الناس عن ذلك وإن كان لمصر عهد جديد فعليها أن تتنزه من أفعال سفلة القوم وتتحرر من عدالة الفاسدين وأن تقضى على حكم الفاجرين واسفا عليها إن لم تفعل ذلك"

فلما تكشفت كل هذه الخبايا كانت سببا فى قيام الثورة الجديدة بالأقاليم وإن بدت العاصمة الجديدة هادئة لا تأبه لها وفى ذات يوم وعند الفجر وصلت جموع الناس على شاطىء النيل آتية من صعيدها ودلتاها للحفاظ على شرف الأمة وعزّها ونزلوا فى شاطىء بولاق من جهة مبنى الإذاعة القديم ومن نشوة المحتفلين بتدشين

مقر"العصر الجديد للحضارة والسلام " بأحد قصور الروتليز فما شعروا بقدومهم وظنوا أنهم مجرد آحاد تفرقهم عصا شرطى..أو يخوفهم كلب حراسة تابع لأية سفارة أحاطت العاصمة بزيها الدبلوماسى والذين اشتركوا كحراس للحفل وراعين له من قبل دولهم ولكن الواقع كان أشد فنزلت على رؤوسهم جميعا النيران تلتهمهم إلتهاما وكلها شهيق وزفير تطلب المزيد.

وظهرت جموع الأمة العربية تهتف لأبناء مصر رافضة بيع مكة والمدينة أو المساومة على أرض القدس وسيناء وانبثقت وقود ثورة عربية كبرى ففى كل قطر نبتت إنتفاضة وفى كل مدينة انفجرت نفرة وبكل قرية قامت هبّة وكل بيت صارت له نخوة وديست حريم الروتليز تحت أقدام الكريمات وياله من يوم امتلأت أرض العرب جميعا بثائرات وثائرين للكرامة والشرف ،وكأنّ السماء فرحت للعرب فألقت بلالىء مطرها على أرضهم صيبا كثيفا زخات مطر تملىء شقوق الأرض وترتفع جارية كنهر ومن بين الجموع بزغ نجم فارس جديد ممن يجود به الزمان فوق أرض المحروسة ولم تبعد الأيام عن طلته فما إن هدأت الثورة الجديدة حتى وصل بعبّارة ونزل عند منطقة المنيل القديمة واتجه للسيدة زينب فألقى لها تحية محبة فى ضريحها وصلى ركعتين بمسجدها ثم اتجه للميدان وأعلن نيته الترشح لرئاسة الجمهورية ودعى الجميع للهدوء واليقظة والعودة لعملهم وإعطاء فرصة لمجلس إدارة الدولة الذى تشكل أن يؤدى دوره الذى أسس من أجله وهو إدارة دفة الحكم حتى انتخابات رئاسية جديدة وتشكل هذا المجلس -بعد دخول الثائرين القاهرة التى منعت عنهم وأغلقت طرقها أمامهم -من رؤساء نقابات الفلاحين والمهندسين والمحامين وهم الذين جاءوا بإنتخابات حرة ضد رغبة النظام بالإضافة للنقابات المستقلة للمعلمين والعمال وبجانبهم رئيسا لأركان الجيش وقرروا أن يبسط الجيش الأحكام العرفية لأربعة أشهر يتبعها دعوة الناخبين لإختيار رئيس جديد .....

.وكان رجل العصر والمصر الجديد من جنوب البلاد قد أتى مع الجموع لإنقاذ مقامى الحسين والسيدة زينب فلما كان الله مدافعا عنها بقى بشارع المقامين يستحث الناس على الثورة وعدم مغادرة المكان حتى بنى المسجدين فى بضعة أيام وعادا أجمل مما كانا فازدان مقام السيدة بمنارة خضراء يعلوها ذو الفقار على سنيه هلالين أبيضين وجامع الحسين جعلت له قبب رباعية نصفها الأسفل من در أبيض حوله طوق مصقول بزبرجد أزرق يعلوها نصف ثان مطلى بماء الذهب فوقهم هلالان لكل قبة من الياقوت الأخضر

وتردد فى صدى مصر قول أحدهم :

آن لك أيتها الأصيلة

أن تهللى فرحا لمنقذيكى الأوفياء

كنت الجنة لنا والنعيما

شرينا من إيمانك حتى الإرتواء

ثورة وثورة

وبعدما هدأت ثورة الثائرين وأحرقت كل نوادى الروتليز والديسكوهات وقصور بعض القضاة والسياسيين والضباط ممن وردت أسماؤهم أو أسماء زوجاتهم وبناتهم ضمن قوائم مستشفى الفرنساوى والمركز الأوربى وبدأ للقضاة نزاهة وتخلص نادى العدل من فجّاره واستقرت قليلا النفرة وتقررت الإنتخابات الرئاسية خلال أربعة أشهر يتبعها برلمانية ثم شعبية محلية وأخيرا إنتخابات لرؤساء الجامعات والإتحادات الطلابية والنقابات العمالية والمهنية ممن لم تكن تطهرت بإنتخابات حرة... وعادت للجامعات حلق السياسة بعدما حرّمت على أبناءها بقرارات زمن الخيبة وفتحت مناصب وكلاء النيابة والضباط جيشا وشرطة أمام الجميع وألغيت كلمة "عدم اللياقة الإجتماعية "وأصبح كل من ليس لديه هو أو عائلته جريمة محكوما فيها حكما نهائيا أو تكون مخلة بالشرف"لائقا" للتقدم لأى منصب أو وظيفة فى القضاء والجيش والشرطة وصار الإختيار بناء على الأعلى تقديرا ضمن تسلسل للدرجات أسس على عوامل القياس العلمية والطبية والنفسية ثم الجنائية فى إطار من النزاهة والمساواة فى الفرص.

ثم استكمل التحقيق مع المحبوسين سابقا ومازالت قضياهم مفتوحة فأوتى برؤساء النيابات ووكلاءها فى قضايا الثورة الشعبية الثانية والثالثة وضموا إليها بعضا من ملفات ثورة١٩٧٧ وما وجدوه متبقى فى سجلاتها وملفاتها من موضوعات تركت مفتوحة بدون إنهاء أو تحويل للقضاء كإستيراد الأغذية الفاسدة وتربح عائلة الرئيس واختراقات أمنية للدولة خاصة وأن بعض المتهمين أدلوا بإعترافات جديدة تخص إشتراكهم فى بعضها فترة شبابهم كما حدث وأوتى بـ"متولى حسون " بعد حجزه لعام وأكثر منذ آخر تحقيق واشترك المستشار "بسادة" فى التحقيق مع وكيل النيابة الجديد وقد تغير الكاتب وتبدلت الحجرة التى يجلسون بها فأصبحت واسعة جدا ذات كراسى جلدية بحائطها زجاج لامع يرى فيها صورة الجالسين أمامها وإن كان خلفها يجلس آخرون يستمعون ويسجلون .....

وذكّره بأنهم توقفوا عند حريق الجمالية فاستعاد الأحداث سريعا بعدما أتته صحة وافرة وأصبح عقله يقظا منذ الإنتعاش السابق وإهتمامهم به وتوفير سبل الراحة له على مدى الأشهر السابقة فتغيرت غرفة الحجز التى كان يقيم بها فنقل إلى واحدة ذات سرير حديدى بمرتبة ملحق بها دورة مياه وجىء له بشاشة صغيرة ذات قنوات فضائية محددة وتحسنت نوعية الطعام المقدمة له وكانت تأتيه كل أسبوع خرطوشة سجائر كاملة غير التى كان يرسل فى شراءها مع الحراس فأخذ يسرد تلك الأيام براحة وسلاسة وكأنها ماحدثت إلا من قريب :

- اختفى فريد وعنتر من بعد الحادثة فقد سافروا إلى فرنسا ثم جاء موعد الإستفتاء الجديد للرئاسة وسأله المحقق :
- هل كان لكم فيه أى دور ؟ فرد عليه بالإيجاب وأنهم كانوا يجمعون الناخبين من الأحياء عبر سيارات خاصة ويذهبون بهم إلى اللجان للإدلاء بصوتهم لصالح الرئيس وسأله
- هل هناك أى دور آخر غير هذا الشىء المعتاد ؟ فأخبره أنه بعد إنتهاء الإستفتاء بعدة أشهر هلت عليهم مجموعات كهيئة الباحثين والصحفيين من الجامعة الدولية ومندوبى السفارات الأوربية وكان فى

طليعتهم وبصحبتهم إما فريد أو عنتر أو كليهما أو مندوبين من أتباعهما واستفسر منه مشددا على تذكر كل ما كانوا يطلبون فأجابه:

- أنهم بدءوا فى تدريبهم على الإشتراك فى المظاهرات والتعامل مع المتظاهرين خاصة فئات العمال فى أى جهة من العاصمة أو الدلتا ثم تطورت التدريبات إلى أسلوب كيفية تأجيج مظاهرة وكثيرا ما ألحوا فى طلب إنضمام عم بصلة إليهم ولكنه كان دائم الرفض وكثير الشك والريبة فيهم ويحذره دائما منهم رغم أنه عرض عليه الكثير من الأموال لتبنى قضيته خاصة بعدما علموا بتفاصيلها وكان متولى قد أخبرهم عنها فى إحدى المرات ولم ييأسوا وظلوا يرسلون إليه الكثير مرة على هيئة صحفيين وأخرى مسئولى حقوقيين عن العمال ولم يفلحوا معه أبدا وأوضح أنه دائما كان لديه إحساس بشىء غير عادى فى هذا الرجل وأنه يخبىء سرا أكبر بكثير مما عرفه منه ثم أتى إليه يوما فريد وأراده للمبيت معه وبعد تمنع قليل منه والحاح بسيط من الآخر ذهب معه وقد مرا على وسط البلد واشترى كثيرا من المأكولات وكان معه فى السيارة صندوق بيرة كامل فوصلا إلى سور الفيلا التى أقام فيها بعد إنتقاله من شقته وحرك يده بين فخذيه :

- أنت أول من وطئت قدمه فيها منذ أن استلمتها قبل عشرة أيام ثم ضرب نفير السيارة وخرج البواب ورحب بهما كثيرا

- أهلا أهلا سعادة البيه وأخذ أكياس المأكولات وصندوق الشرب وكان كهلا تبدوا عليه آثار السنين ولكنه شديد العزيمة غير متأثر بسنه فقد حملها معا بخفة الشباب وصعد السلم ذو الأربعة درجات وهما خلفه فأخذ يرقب المكان ويتفحص الحديقة فجذبه من يده

- بكرة الصبح سأريك كل جزء وشبر فيها ولكن دعنا لا نضيع هذه الليلة ثم صعدا مباشرة للدور الثانى ودخلا لحجرة الطعام وأخرج زجاجة شمبانيا من ثلاجة مكتب صغيرة بحائط جانبى وملىء كأسين كبيرين وأعطاه أحدهما وشرب كأسه على مرة واحدة ثم أشربه كأسه كاملا حتى أتى البواب بزجاجتى بيرة ووضعهما على منضدة صغيرة وذهب يرص أطباق الكباب والكفتة على طاولة الطعام وكانت مستطيلة حديدية بلون فضى حولها أربعة كراسى مثلها وبدأ بتفحص اللوحات المذينة بها حجرة الطعام وكانت مبتذلة وعارية على نمط الفن اليونانى فأفرغ نصف زجاجة البيرة الأولى وأعطى كأسها له وشرب نصفها ثم أمسك يده وشرب منها وأعادها إليه وشرب ما تبقى ثم طالبه بالجلوس لطاولة الطعام

- عاوزك تخلص على كل هذه الأطباق ولا تترك شيئا منها وأجلسه وتحسس جسده وتركه وراح يستحم وكان قد أصبح ممتلىء القوام يرتدى نظارة طبية بصفة مستمرة يلبس بدلة بنطالها دائما بحمالات وشعره أشقر وله شارب كثيف أبيض به صفرة ووجه مستدير وكذلك إليته أصبحت مستديرة إستدارة لا تجدها فى كثير من النساء وهو الذى كان يعمل مراسلا صحفيا لجريدة أوربية

وعين فترة رئيسا لتحرير إحدى الصحف ذات الترخيص القبرصى تصدر باللغة العربية فى القاهرة ثم مذيعا لامعا بإحدى الفضائيات الجديدة فغاب داخل حجرة النوم وجلس متولى يأكل فأتاه البواب بزجاجة البيرة والنصف ووضعها بجانبه :

- أتمنى لك ليلة سعيدة وهنية ، و كأنه يعرف ماهية مخدومه ،فأكل متولى وكلما أكل عطش وكلما عطش شرب من البيرة وكلما شرب جاع حتى أنهي كل الأطباق فشعر بعطش شديد ولم يجد ما يرويه فقد فرغت الزجاجتين فذهب للثلاجة وأخرج زجاجتين وشرب ما بهما ثم وجده فجأة أمامه سعيدا مبتهجا فدله على حجرة الإستحمام بغرفة النوم وأدخله إليها:
- اتفضل جهزتلك الحمام سخن ودافىء علشان تفوق وتصحصح ، ثم أتاه وأخرج من صندوق على حائطها الجانبى زجاجة زيت نفاذة الرائحة وطالبه بدهان كل جسده وخلع الروب وغطس فى البانيو ثم استدار ورفع ظهره ثم إليته فبدأ بدهانها وخلال دقائق شعر بقشعريرة الشهوة فدهن قضيبه بالزيت وغطس معه فى المغطس ودكه فيه دكا فشخر شخيرا عاليا وطالبه المزيد فأعطاه ثم أمره :
- احملنى على يديك وخذنى إلى السرير ففعل ومازال جزءه بداخله فاستعدل نفسه أكثر فوضعه أعمق وكلما فتر جسده وجد قضيبه منتصبا وذاك يتمايل يمنى ويسرى وللخلف فيأخذه كاملا فينتفض من جديد فيه وظلا كذلك طوال الليل حتى أشرق الصبح فتهاوي بجانبه وهو مازال يريد الكثير فلم يستطع إعطاءه وغفى من شدة التعب ثم أيقظه منتصف النهار وأعطاه شرابا فما مرت لحظات من شربه فألتهب ظهره ووجده ممسكا بقضيبه فانتصب واستدار ووضعه بداخله وأراد الإستراحة
- مرة كمان وسأتركك تستريح ،مرة واحدة كمان ووعده بأن تكون هذه المرة فقط فطاوعه ولكنها كانت بنصف قوة الليلة ومع ذلك استمتع كثيرا بإدخاله وإخراجه حتى طرق الباب فإذ بالبواب قد أعد فطارهما
- الفطار جاهز سعادتك
- إحنا جايين نجهز كل حاجة وانصرف ،واستمرا سويعة ثم تركه وذهب ليستحم وبعدها خرج لطاولة الطعام فوجدها مملؤة بشراب المانجو والجريب فروت وبيضا مسلوقا ففرغ منهم كثيرا وكأنه ما أكل منذ شهر أما الآخر فقد استلقى على بطنه فوق الفراش عاريا ،فأنهي طعامه وارتدي ملابسه وخرج مسرعا خوفا أن يطلب استمراره معه ليلة أخرى ولم يفعلها معه مرة أخرى رغم أنه كثيرا ما كان يدعوه حتى لاحظ ذلك عنتر فبدا عليه التغير من ناحيته وقد شاع خبر أنهما أثناء إقامتهما بباريس قد شاركا فى حفلة مثلية تزوجا خلالها زواجا أوربيا رسميا ثم أتيا إليه يوما فى معرض السيارات وعلم منهما بتغيير حكومى قريب جدا وأنه سيأتى أحد رجالات بيع أملاك الدولة على رأس الحكومة الجديدة مع استمرار وزراء النخبة الأمريكية وطلبا منه تجميع أكبر كمية من الدولارات لأن الفترة القادمة ستشهد تحولات كبيرة فى السياسة الإقتصادية وأنشأوا عدة شركات بالشراكة مع بعض الوكلاء العرب

لشركات عالمية للسيارات والتأمين والمقاولات ثم أتى قرار تعويم الجنيه فربحا ما يقرب من عشرة ملايين جنيها لكل مائة ألف جمعوا بها الدولارات واشتريا كثيرا من العقارات بأماكن متعددة بالقاهرة والإسكندرية وعدة مراكب سياحية بالأقصر وأسوان بينما فريد اشترى بعضا من أسهم بنك مصرى كعضو منتدب عن شركة تمويل عالمية متعددة الجنسيات وأصبحت تعاملاتهما السرية شرعية من خلاله فى داخل البلاد وخارجها واستغلوا أيام غزو العراق وبدأوا فى استقبال تحويلات المصريين العائدين منه أو حوالاتهم المتأخرة من سنة ٩٠ عبر صندوق التعويضات الذى تم تأسيسه لهذا الغرض فى العراق بعد الغزو من الحكومة الموالية للغرب وخلال ثلاث سنوات تضاعفت ثروتهم خمسة أمثال وقاموا بتحويلها كلها لبنوك خارجية ثم اقترضوا بضمان ما اشتروه من عقارات ومراكب أموال من البنوك المصرية حوّل أكثرها أيضا للخارج ثم تغيرت الحكومة وبدأ عنتر مسيرته فى حزب الحكومة بعد إعادة تأهيله وترتيب الإدارة المركزية العليا به وأصبح كادرا مهما بجانب أنه اشترك فى توريد مهام و سيارات طبية لمستشفيات ممولة أوربيا مثل المستشفى الفرنساوى والمؤسسة الطبية الأوربية بل ووصل إنفتاح السوق أن اشتركا فى توريد أكياس دم للمستشفيات المصرية الحكومية عن طريق شراكتهما بعدة شركات للمستلزمات الطبية ظهرت فى العهد الجديد من عمر حزب الحكومة ثم طلبا فى أحد الأيام من متولى ومعاونيه الجدد والقدامى بالتجمع فى النادى التابع لهيئة المعونة الدولية الذى كانوا يتجمعون فيه قبل سفرهما لفرنسا ولم يكن وقتها يسأل أو يعرف شيئا فى السياسة ولكن هذه المرة سأل كثيرا وعرف من الحاضرين أن النادى هو أحد الأذرع الإجتماعية التابعة مخابراتيا لهيئة المعونة ولكن بغطاء ثقافى إقتصادى وتمويل لمؤسسات المجتمع المدنى التى تنفذ سياستهم وتلبى رغباتهم وتطبق خططهم داخل البلاد أو بالمنطقة الأفروعربية وهناك فى هذه المرة وجد أن الخطط بدأت تتغير كثيرا "فاهتم السامعون من خلف الزجاج كثيرا لما سيقوله وأكدوا على بعضهم بضرورة تسجيل كل كلمة سيقولها بدء من هذه الفترة خاصة وأن تحقيقات متعددة وعلى أعلى مستويات الرقابة والمتابعة بالدولة كانت تجاه كثير من جمعيات المجتمع المدنى التى تتلقى تمويلات خارجية وخاصة تلكم المرتبطة بهيئة المعونة "وأشار له المحقق برأسه دافعا له بالإستمرار فاهتم وبدأ يركز فى كلماته "فقرر:

- أنهم أول الأمر طالبوا بملازمة نشر دعوات تطالب بالتغيير الديمقراطى داخل مصر وإنهاء سيطرة الحزب الحاكم وفتح أبوابها كما كان الحال فى نهاية السبعينيات ومع هذه الدعوات والحملات بدأت صحيفة فريد تهاجم الحكومة والنظام الحاكم على أساس أنه نظام قمعى ديكتاتورى وتطالب بالحرية السياسية للمصريين ومن ناحية ثانية تطالب بفتح الإقتصاد أمام الإستثمار الأجنبى وإلغاء قوانين الحماية المفروضة على الإقتصاد وكان آخرون قد تولوا نفس المهمة داخل الحزب الحاكم مدفوعين بالتشكيلات الجديدة به تحوطهم شبكة علاقاتهم الخارجية ومثلهم من مجلس الشعب وبعد تغيير الحكومة أصدرت الدولة قرارا بتبديل سياسات الدولة الإقتصادية وكذلك أصبح منصب رئيس

الجمهورية بالإنتخابات التعددية المباشرة بدلا من الإستفتاء وجرت الإنتخابات بالنظام الجديد وكان هناك ثلاثة من الذين ترشحوا فى هذه الإنتخابات يترددون على نفس النادى الذى تردد عليه فريد وعنتر وكان أحدهم ثالثهما فى باريس ولندن وشاركهما كثيرا فى تدريباتهم السياسية هناك وبعضا من حفلاتهم الجنسية الخاصة حتى إذا ما علمت زوجته طلقت نفسها منه وبعد إنتهاء الإنتخابات جاءت لهم تعليمات بالتجمع فى القرية السياحية على الشاطىء الأحمر وأمروا بضرورة تنشيط أتباعهم والموالين لهم فى تنظيم مظاهرات متعددة ومتشعبة والإشتراك فى تظاهرات العمال خاصة بمنطقة حلوان والمحلة وطالبوهم بمساعدة أية حركة من الحركات الإحتجاجية التى ستظهر بتجمعات شبابية مدفوعة الأجر "وهنا سأله المحقق ":

- هل كان عنتر مشاركا معهم "فرد عليه بالنفى أن يكون مشتركا بنفسه لأنه أصبح كادرا فى حزب الحكومة وإنما كان ممولا لكثير منها مستخدما مركزه الحزبى كغطاء لذلك ثم سأله المحقق :
- هل شاركت فى مظاهرات المحلة ؟....أو إنك تعرفت على أشخاص آخرين ؟
- فأخبره أن الأشخاص بدأت تتغير وتتبدل كثيرا وبسرعة غير معتادة وعندما بدأت مظاهرات العمال خاصة عمال المحلة طلب منهم فورا بالذهاب والإشتراك فيها ببعض الشباب والعمال السابقين الذين تم إخراجهم فى معاش مبكر لبعض الشركات التى باعتها الحكومة واعترف أنه شارك فى آخر أيامها وذهب إلى هناك مصاحبا لبعض الباحثين الذين ارتدوا زيا صحفيا فى أشهر وكالة أخبار دولية ودبر لهم لقاءات مع بعض العمال الذين أخرجوا من العمل وعائلات كثير ممن تم القبض عليهم فى المظاهرات وساعتها شعر بشىء غريب يداخل نفسه وتمثل له عم بصلة فى مخيلته بصوته الضعيف وجسده النحيل محذرا له من هؤلاء الخبثاء وأنه قرر وقتها الإبتعاد عنهم قدر ما يستطيع ولكنه لم يستطع الفكاك من قبضة فريد وعنتر وأصرا على بقاءه معهما وإن كان فقط فى شركة السيارات فأذعن لهما محاولا التمسك بعدم إنغماسه مرة أخرى فى لقاءات السفارات والمراكز التابعة لها وأبديا موافقة مؤقتة له ولكن انقلبت حاله يوما ما وقرر قطع علاقته نهائيا بهما وسبب هذا الطارىء فى حالته ظهور "سيد الخضيرى " أو الشيخ الخضيرى ورفيقته الشيخة "سعاد " اللذين تزوجا منذ ثلاثين عاما وهما رفيقى شارع مع متولى وكانا قادمين عنده لإستلام سيارتهما التى أخبراه أنها مدفوعة الثمن من شريكيه صاحبى المعرض ورأى سوسن تلك الفتاة التى كانت تسريهم فى بداية شبابهما وقتما كانوا مشردين تحت الكبارى وأتته بهيئة جديدة متلفحة بنقاب طويل حتى منتصف وسطها وأصبحت ممتلئة الجسد مدورة الأجزاء العلوية والسفلية وكحل عينيها أكسبهما فتنة على فتنتها التى ألفها فيهما وكانت فى الزمن السابق ضئيلة الجسد طويلة القوام أجمل ما بها عينيها المدورتين ذواتى المقلتين العسليتين والتى إن كحلت جفونهما أصابت كل من راها بسهم الغرام فتأسره وتقانعه الهوى ولا ترفضه وكثيرا ما غشى منها الشباب قبلات خدية أو مسكات بزية ولكنها لم تمكن أحدا منها إلا إنه هو الوحيد الذى أخذ منها ما اشتهاه.. وتذكر ذلك جيدا

- ففى إحدى الليالى التى كانت تجمعهم مع سيد حشيش خطيبها كأمر واقع لما كان له من سطوة على مجموعة يديرها لتوزيع الأفيون والحشيش من خلال أطفال الشوارع وبعض الخادمات التى كانت هى إحداهن فزاد له فى تعميرة الشيشة حتى ترنح مغشيا عليه فعاجلها بالإمساك بها وسحبها لداخل حجرته وقد علمت هى مراده لمّا دعاها لسهرة ليلية وهى التى ألحّت على خطيبها بقضاءها معه لذلك لم تقاوم إلا قليلا فقد كان الوحيد من كل الشباب الذى تمنّع عنها ولم يجرى خلفها فعشقته وتمنت أن تكون له لولا خوفها من بطش عشيقها الذى أيقظه من ذكرياته:

- وأخذ يسرد له كيف هداهما الله عندما توجها لمملكة المسيار ! هى كمديرة منزل لدى أسرة أحد الأمراء وهو محرمها الذى تزوجها قبيل إستخراج تأشيرة السفر لها ففهم متولى أنها ذهبت كجارية لذاك الأمير ثم انتقالها إلى أنقرة وأقاما هناك مصنعا لملبوسات المحجبات وأنهما التقيا هناك بشريكيه وأقنعاه بالعودة لمصر وفتح فرعا لشركته لتوريد لبس المحجبات وكذلك إشتراكها معه فى إقامة قناة فضائية سيترأسها هو ويكون قطبها الأول وهى كذلك فى الجانب النسائى وخاصة أنه كما كان يدعى أنه خريج دراسات إسلامية بفرع إقليمى وحقيقة الأمر أنه التحق فترة بهذه الكلية ورسب فيها لتكرار سكره وضبط أكثر من مرة بقطع الأفيون داخل حرمها وإن كان لعب دور المخبرين للأمن عن زملاءه فوفر له الأمان من الطرد ثم فصل منها نهائيا حين استعادت الدولة بعض وعيها الذى أضاعه نظامها الأسبق وقتما جعل الحشيش والأفيون عادة شعبيةوجرفته تبدل أحوال الجمهورية فصار عليه الأمر كالآخرين حتى اختفيا منها فى منتصف الثمانينيات وكانا قد توجها لتلك الدولة الخليجية والآن يعودا بهيئتهما الجديدة فهو أصبح الشيخ سيد الخضيرى ملتفحا بعباءة رجال الدين وعلى رأسه عمامة ووشاح أبيضين منتفخ الوجه أحمره فوق عينيه نظارة طبية ذات شنبر فضى لامع بعدستين خفيفتين يحيطهما إطار ذهبى وبطنه مرتفعة من كثرة الحشو والأكل فأصبح كرشا واسعا وقد كان سابقا قصيرا نحيفا جدا عيناه غائرتين أسود الوجه أنتف الشعر "ثم أشار له المحقق بالتوقف" وكان المستشار "بسادة" قد تركهم منذ لحظات لما استأنسا لبعضهما وجلس مع الآخرين خلف الزجاج .. ورنّ جرس الساعى وأخذ الكاتب يريح يده ويتمطى كثيرا على الكرسى فدخل الساعى وتوجه له المحقق:

- تطلب إيه... فرد متولى بالشكر

- ألف شكر سعادتك إنه ليس ضروريا "وهو فى قرارة نفسه يتمنى الإستراحة وتناول الكثير من الطعام فقد آلمه الجوع والعطش " فألّح المحقق عليه فتردد متولى دقيقة ثم أمر المحقق الساعى

- هات أكل للجميع وحاول متولى التظاهر بالرفض فرده المحقق

- دعنا نذيقك طعامنا

....وتوجه لغرفة الحمام ....فوقف متولى وشد جسمه وحركه يمنة ويسرة وشرب من الماء الكثير ثم دخل الساعى بثلاث صوانى تقديم متوسطة الحجم مكشوفة فوق صينية أكبر عليهم عيش أبيض

وسلطة وسندوشات جبنة متنوعة وأطباق بطاطس مقلية ولانشون مقطع شرائح دائرية وزيتون أخضر وزجاجات صلصة صغيرة وكلها متماثلة إلا صينية واحدة بلا بيض مسلوق والآخرتين عليها وبجانبهم زجاجات عصائر من التفاح ونظر متولى طويلا عليهم جميعا وأخذ يقلب عينيه بينهم وانتظرا دقائق فخرج المحقق "وطالبهم بالأكل وعدم الإنتظار :

- اتفضلوا الأكل أنا معى مجموعة أوراق سأنهيها واتجه لمكتب ثان وأخذ يكتب فى بعض الأوراق فذهب الكاتب بالصينية التى بلا بيض إليه ووضعها على طرف المكتب فشكره وعاد أدراجه ونظر إليه متولى ووجده جلس خاشعا بهدوء وهو كاد أن تطيح يده بالأكل وقد التقط بيضة وبعضا من الأرغفة المحشية ففعل مثله وتوقف عن الأكل حتى نظر المحقق لهما فكتب سريعا كلمات أسفل بعضها كأنه يكتب رؤوس موضوعات ثم سحب الصينية وطالبهما بالأكل فانقض المتهم على الأكل إنقضاضا أما وكيل النيابة فأخذها إلى بلكونة المكتب وجلس على منضدة هناك ثم عاد وجذب سماعة هاتف معلق بالحائط وحادث الآخرين خلف الزجاج فاستحسنوا فعله وقام المعاون وجلس على كرسى أمامه منضدة صغيرة فى زاوية لا ترى المستشار ومضت ما يقرب من نصف ساعة أنهوا أكلهم ثم قام الكاتب وترك صينيته على المنضدة وكان متولى قد أنهى قبلها أكله فأخذ منه صينيته ووضعها بجانب الأخرى وطالبه بالذهاب لغسل أيديهما

- الحوض والحنفية من هذه الناحية ،وعاد ورن جرس الساعى وكان المحقق يمسح يديه بمنديل من تلكم العلبة الموجودة على المنضدة فأتى بالتى كانت أمامه ووضع بجانبها الأخرتين على تلكم الكبرى وقبيل مغادرته دخل آخر بفنجان قهوة فواحة ووضعها لوكيل النيابة وخرج وعاد بكوبين من الشاى وأخذ المحقق سيجارة من علبة جديدة أخرجها من جيبه وأشعلها وكان مشهد الغروب بديعا جدا فى هذا اليوم فجلس جلسة حالم وكأنه يرتاح على كرسيه من عناء كبير وهبت عليه نسمات عليلة ذات عبق اتسعت لها رئتيه وأخذوا فى ذلك سويعة ثم استأنفوا التحقيق

- فذكّر المتهم أنه قرر ترك الشراكة معهما بعدما أبديا ممانعة ورفض وإلحاح كثير منهما واشترطا أخذ جميع التابعين له وعدم ذكر شيئا عن علاقتهم بل ونسيان أنهم التقوا أو تعاملوا معه كما أصرّا على تأجيل فض الشراكة إلى ما بعد إنتخابات ٢٠١٠ فانتظر هذه الأشهر حتى انتهت وأعلنت النتيجة الإنتخابية- واستولت كوادر الحزب على المجلس كله لحسابها ولم يدخله معارض واحد وكانت تلك المرة الوحيدة التى خلت من منافسين أو معارضين للنظام حتى وإن كانوا صوريين بينما لعب الحزب وحكومته ضد أنفسها فرشحوا أعضاء أساسيين وتركوا الإحتياطيين ينزلوا كمستقلين ثم أعلنوا ولاءهم وعضويتهم للحزب فور إعلان دخولهم المجلس ومرت بضعة أشهر صارت الدولة فيها كرجل يغلى من أداناها لأقصاها فكان لابد أن تقوم الثورة كما قامت فى عام ١٩٧٧ وكأنها اليوم المكمل لها رغم مرور ثلاثة وثلاثون عاما بينهما -عمر جيل كامل - فتمم الأبناء ما لم يستطعه الآباء وأتت التعليمات إليه بأن يقسّم أتباعهم مجموعات متعددة ومتنوعة ففرقة أولاد وبنات تذهب لميدان التحرير وتنصب الخيام

كالآخرين وكأنهم من الشباب الثوار وحددوا لهم مواقع خيامهم وشعاراتها وتحركاتهم ولا يتركون مواقعهم أو يغادروها إلا كآخر فوج من الثوار وفرقة أخرى كانت مهمتهم حرق أقسام الشرطة وحزب الحكومة والإستيلاء على بعضا مما فى أشهر سلاسل المحلات والصاغة والفنادق فى وسط البلد وعندما قررت المجموع الشبابية إستمرار الإعتصام وعدم المغادرة نزلت فرق إحترافية مدربة إلى المجمع العلمى والمتحف المصرى ودار الكتب لسرقة محتويات معينة ومحددة بدقة وحرق ما لا يستطيعون أخذه وتدمير هذه المقرات

وهنا سأله المحقق:

- أين كنت أنت وأتباعك ؟ فنظر إليه وإلى الكاتب وظل صامتا يقلب ناظريه بينهما والمحقق منتظر إجابته بإيماءات متتالية من رأسه وإشارات من يده اليسرى لكى يسرد ويرد فاعترف بصراحة تامة

- لقد كنا ضمن الفرقة الثانية التى تحرق وتستولى على المقرات الحكومية وأقسام الشرطة وبعضا من المتاجر ومحلات الصاغة

-فسأله المحقق :

- هل قبض عليكم ؟ ومتى ؟ فنفى قاطعا أن يكون قد قبض عليه أو حتى أثبت أنه اشترك بهذه الثورة إذ أنه بعد اليوم العاشر من الثورة غادر مسرعا مع عنتر وفريد إلى لبنان ومنها على تركيا واستطاعوا إخراج أرصدتهم المالية كلها وتحريكها بسرعة مدهشة وسلاسة غير معهودة إلى تركيا وإيطاليا وفرنسا. فسأله :

- وما هى أهم الأماكن التى اشتركتم فى حرقها أو جاءتكم التعليمات بذلك فقرر أنه كان لديهم تصميم غريب على حرق وتدمير مبنى المجمع العلمى ودار الكتب والمحفوظات وسرقة المتحف المصرى وذكر أنه فى إحدى المرات طلبوا منهم أشخاص هجّامة تستطيع الدخول للمجمع ودار الوثائق فوفرهم لهم ولكنهم لم يشركوهم أو يستخدموهم وإنما أرادوهم كتغطية للآخرين والتضحية بهم عند محاولة الشرطة العسكرية تتبع الفاعلين إذ أنهم استعانوا بأشخاص آخرين كانوا طلبة دراسات عليا أو كانت لديهم وثائق ثبوتية أو جوازات سفر كطلبة داخل البلاد خاصة بالجامعة الدولية وأخبره أنهم استطاعوا أخذ بعض الوثائق دون أن يشعر بهم أحد وقد علم بذلك بعدما ارتحل من تركيا وأقام بفرنسا رفقة فريد وعنتر وآخرين

- وما هى نوعية هذه الوثائق ؟ فأخبره أنه التقى بأحد هؤلاء الأشخاص وعرف منه أنهم دائما كانوا يبحثون عن خرائط ومشجرات عائلية خاصة دليل قبائل الجزيرة العربية وفلسطين وأيضا خرائط قديمة منذ أيام الخديوى عن ثروات مصر التعدينية والأثرية وبعضا من سجلات الأرصدة المصرية القديمة فى بنوك أوربا وخاصة سجلات الشركات القديمة وقناة السويس بالأخص

فاستفسر منه عن المدة التى قضاها فى تركيا فقال :

- لقد قاربت عاما ثم عدت فور تسلم الجماعة الإخوانجية السلطة الرئاسية ،ثم استفسر عن شريكيه

- وشريكيك ؟فأردف:
- إنهما استمرا أكثر بالخارج واستثمرا أموالهما المهربة فى لبنان ووسعا نشاطهما فى تركيا وإيطاليا وعادا بحصانة وحماية خاصة من الجماعة ولم يعترضهم أحد وكانوا حلقة وصل بينها وبين كثير من رجالات المخابرات الدولية ينقلان إليهم وثائق وسجلات عبر المنافذ الرسمية ولم يقابلهما بعدها حتى ظهرا فى بدايات تباشير الثورة الجديدة بعد خمسة عشرة عاما من السابقة ثم أعاده للوراء قليلا وأراد منه سرد أياما من بعد ثورة شباب يناير "وهنا سكت وقتا شرب خلاله قليلا من الماء المثلج أمامه وطلب سيجارة فأعطاه الكاتب إحداها من علبته الخاصة وأشعلها له فأخذ منها ثلاث سحبات وفرك عينيه"كأنه يستيقظ أو يستعيد ذاكرته وأكمل :
- أنه بعد ثورة يناير تغاضي عن فض الشراكة معهما وكان همهم الأول الهروب خارج البلاد بأكبر قدر من الأموال وأنهم كانوا خائفين جدا من القادم وأنه سوف يقبض عليهم وتفتح القضايا والملفات القديمة ضدهم وهى كانت كثيرا جدا لذلك تمسك بشراكتهما وأغلب ظنه أن الخضيرى وزوجته كانوا كذلك ولكنه استغرب استمرارهما وبقاءهما بالبلد وتمت منهما مساومات مع الآخرين وتحولت على أرصدتهم الأموال التى لم يستطيع الآخرون تحويلها للخارج بسبب أنها عينية ما بين عقارات وأراضى وأسهم بنكية وتجارية وارتفعت أسهم سيد حشيش المشهور بالشيخ سيد الخضيرى وأصبح أهم المنظرين للثورة الشبابية وانطلقت قناته فى أجواء القاهرة بصورة لم يتوقعها أحد والتف حوله كثير من المخدوعين والمنتفعين وخدام ذوى المال خاصة تجار العطارة والأعشاب وكثير من الصحفيين وحاشية الأحزاب الدينية أما زوجته الشيخة سعاد فقد كسبت خلال سنة واحدة أكثر من عشرين مليونا من الجنيهات من بيع لبس المحجبات وافتتحت الكثير من الأفرع بمختلف المحافظات وإن كانت دعايات قناتها السبب الأكبر فلما استقر بأنقرة طلبا منه إدارة عملية توريد الملابس "الإسلامية" لمصر وذهب عدة مرات لمصنعها هناك وفى أحدها راجع عملية التصنيع وفوجئ بأن عبايات السيدات تصنع بخامات رقيقة سريعة الإهتراء كما أنها تغزل وتنسج بغرزة واحدة والمفترض أنها ثلاث غرز لكى لا تشف فحاول مراجعة عملية التصنيع لعل فيها خطأ فاتضح له أنها تعليمات الشيخة سعاد الزعترى وهذا اسمها الذى اكتسبته من إقامتها فى مملكة المسيار إذ أنها أقامت لدى فارس الزعترى وهو أحد أغنياء المملكة الذين ادعى أنه رئيس طائفة صوفية كبرى تمتد فروعها من الهند حتى لندن وأقيمت له عدة ليالى صوفية كأهم زعيم دينى إسلامى من جزيرة العرب وكان يأخذها معه فى رحلاته وتجواله لتسرى عنه بينما يبقى زوجها داخل المملكة لإدارة مزارعه ومتاجره المتعددة وظلا على كذلك الحال خمس سنوات انجبت فيها ابنتين إحداهما بعدما غادرت مصر بعدة أشهر والثانية بعد عودتها من لندن منتصف الثمانينيات فلما انفضح الأمر أشاعوا أنها ابنته من إحدى نساء الهند وكان ذلك على أثر حادثة مقتل ابنه الوحيد بالولايات الأمريكية بعد تناوله جرعة أفيون مركزة بقصره المشيد بإحدى منتجعاتها وقيل أن إحدى عشيقاته وكانت يهودية الديانة صهيونية السياسة وراء ذلك

واستغلت قوانين الولاية ونسبت له ابنا لها طالبت جده الإعتراف به وإعطاءه كل ثروته كوريث وحيد لابنه وحصلت على حكم قضائى مكنها من ثروة الجد بأمريكا وبريطانيا ومنها شركة للأزياء الإسلامية بلندن وأنقرة فانتهز الزعترى مرافقة سعاد له بلندن وجعل لها بقية ثروته واثبتها كابنة له ومنذ ذاك اليوم سميت "الشيخة سعاد الزعترى " وشاركت الصهيونية فى الشركة بعد موته بلندن إثر تناوله جرعة ماكس عالية التركيز قبيل إحدى لياليه الصوفية المزعومة وصارت اليهودية مصممة تابلوهات لملابس النساء الإسلامية فكانت بالاسم ملابس محجبات ولكنها فاضحة واصفة شفافة أكثر من لبس المبتذلات وجعلت لها حقوق الإبتكار لهذه النوعية من الملبوسات على مستوى العالم وأخذ الكل منها هذا النسق وتلك التصميمات بأغلب الدول الإسلامية والعربية وأخذ هو يتنقل بين أنقرة ولندن وروما وبيروت وكانت أغلبها رحلات لنقل وتحويل الأموال منها ست عمليات قام بها لاثنين من رجالات الحزب السابق أحدهما لواء كان مديرا لأحد الموانىء الجمركية فاستغرب المحقق مستنكرا ونظر للحائط الزجاجي وما هى إلا برهة حتى أتى المستشار "بسادة" وجلس أمام زميله مقابلا لمتولى الذى أخذ يقلب ناظريه بينهما وبين زجاج الحائط كأنه يتابع من هم خلفه فاستفسر منه أكثر :

- فقام وقرب منه وفى أذنه البعيدة عن الكاتب أسر إليه باسميهما فاستعجب كلا المستشارين أولا من خوفه وهو فى مقر النيابة وبعد ثورتين وثانية على هذين الآسمين فأفادهما بأن لديهما نفوذهما الذى مازال مستمرا فاستنكرا عليه قوله
- لا أكيد مرور السنين وتبدل الأشخاص جعلوا عقلك يخلط بين الناس
- ولكنه استمسك برأيه فأخرج المستشار بسادة مفكرته الخاصة وكتب لقبيهما فلما وجد إهتمامه أسرّ إليه باسم ثالث لابن أحد اللواءات الذى حروف اسمه صكت أذنى الجميع "فأثار قلق الكاتب وانتقل منه إليهما " فهو الذى تولى وزارة خدمية ظهر كالأسد الهسور محقق الإلتزام الوظيفى واستعرض خلالها سمات والده الفظة عندما كان وزيرا هو الآخر فأظهر مدى تسلطه وعجرفته اللتين اكتسبهما منه وأنه كان سببا مباشرة لإتجاه كثير من الشباب الجامعى للتطرف المسلح أواسط التسعينيات فلما انتقل فى حكومة الثورة الثانية إلى وزارة الخدمات الأهلية أصبح كالقطة البلدية فلم يحرك ساكنا تجاه إختلاسات ومخالفات كثير من كبار قادة الوزارة و جوقة الخدمات الأهلية خاصة أباطرة العاصمة الثانية وأغلبهم ذوى حصانة ممتدة بحكم وظائفهم السابقة بل إنه أثرى منها أيما إثراء بطرق شرعية وأخرى مستترة وأما فى العلن فلبس ثوب هادم قصور المفسدين وبانى جسور العدالة الإجتماعية وهنا صمتوا دقائق وأخذتهم لحظات الحيرة فاستأذن الكاتب لدخول الحمام وسمح له وكأنه أعطاهما فرصة كان يريداها فاقتربا من متولى وطالباه بسرد أسماء كل من تعامل معهم بتحويل ونقل الأموال من قضاة ولواءات يخاف أن يذكر اسمهم فى تحقيقات رسمية

- عاوزينك تقل لنا أسماء كل من تعاملت معهم أو سمعت أن عنتر وفريد نقلا لهم أموالا إلى خارج مصر

- وظل يلقى عليه أسماءهم واحدا واحدا حتى وصل عددهم تسعة عشر فاستوقفت يد المحقق نفسه عن الإستمرار وصمت ونظر لمفكرته وما كتبه من شخصيات وأسماء فقد وصلت اثنتين وعشرين اسما وانتابته قشعريرة الشك والإرتياب إذ أن غالبيتهم عادوا فى مناصب جديدة بعد إخراج زمرة الجماعة من الحكم واستوثق مجددا منه عن الأسماء

- أنت متأكد مما قلت وهذه الشخصيات ؟!

- فأكد له صدق قوله بل زاده يقينا أن فريد لديه قائمة كاملة بكل أسماءهم فهو الذى كان يتولى تحويل الأموال عن طريق البنك الذى كان عضوا منتدبا به فلما أتى الكاتب وأظهر كأنه خارجا لتوه من دورة المياه وهو الذى أخذ يتلصص عليهم منذ بضع دقائق حتى انتهوا وسحب المستشار بسادة مفكرة صاحبه ونظر فيها ثم وضعها بجيبه فلما جلس الكاتب مكانه عاد لقصة أنقرة وأنه استمر عاما ونصف بها يقوم ببعض السفريات بصحبة فريد الذى انتهزها فرصة وأبقاه معه حيثما ذهب وتعرف فيها على مجموعات مثلية فى لندن ثم تركه ينزل للقاهرة عند الإنتخابات الأولى بعد ثورة الشباب بعدما استبدله بأحد رجالات العهد الجديد من شلة الجماعة مدعى التدين والتقوى والذى ظهرت عليه ميوله الجنسية التى كان يخفيها تحت ذقنه الكاذبة وصار هو همزة الوصل بينه وبين رجاريج الحكم ،والذين كان همهم الأكبر الإستيلاء على أعظم قدر من أموال العهد البائد ورجالاته والأموال المصرية المودعة فى الغرب ولكن قبلما تلك الأيام أفرغت خزانة الدولة على يد رئيس حكومة ما بعد الثورة وهو الذى أخذ يبعثر يمنة ويسرة احتياطات الدولة المصرية متتبعا أسهل الطرق وأسرعها لإدارة دفة أى مؤسسة وهى الصرف مما جمع للمستقبل رغم أنه كان أحد منظرى البنك الدولى وواضعى سياسات متشددة تجاه الدولة متهما إياها بالبذخ والإسراف ،وأوتى به ظنا من القائمين على إدارة الدولة أنه صاحب العصا السحرية التى ستنقذها من الإنهيار ولم تسلم إختيارات وزراءه من المحاباة والمحاصصة الإجتماعية والطبقية فكانت سنة ضاعت فيها ثروة جمعت خلال ٣٠ عاما سواء من الأرصدة الإحتياطية بالبنك المركزى أو تريليونات بالصناديق الخاصة للمحافظات والهيئات الإقتصادية-

- ثم ذكر لهم أنه بعدها توارى عنهم بل إنهم هم الذين نسوه وأسقطوه من حساباتهم إذ لم تعد تخيفهم أسرارهم التى معه فقد وجدوا فى السلطة الجديدة لجماعة الإخوان أشخاصا أكثر ميلا للفساد والإفساد ممن سبقهم واستطاعوا مد صلات الود السياسى والتبادل التجارى معهم بل والنسب والمصاهرة فانتهزها فرصة ورجع لمقره القديم حوش عم بصلة حتى انقلبت عليهم الحال وذهبوا عن السلطة وعاد فريد وعنتر والتئم شملهم بالشيخ الخضيرى وسيدة المجتمع والأعمال الشيخة سعاد الزعترى التى جلبت الكثير من المعالجات الروحانيات التى كن ضمن طريقة الزعترى الصوفية الدولية

واللاتى التقت أغلبهن فى موروكونتينا خلال الرحلتين الوحيدتين اللتين صاحبت فيها الزعترى وأصبحت شراكة متداخلة ومتشعبة مع رئيسة شركة الأزياء الإسلامية بلندن وأنقرة مدام"إيميلا" وشيخات المعالجة الروحية اللاتى أتت بهن من سوق المطلقات وكن فى حقيقة الأمر بائعات هوى محترفات سرعان ما ظهرت قدراتهن فى توريد فتيات نكاح الجهاد ونشرهن فى سوريا والعراق :

"ونكاح الجهاد هى فتيا مساليخ السلفية الأولى بإمكان مشاركة المرأة فريضة الجهاد بأن تكن نساء متعة للمجاهدين على شريعة مملكة المسيار حتى فاجئته يوما الشيخة الزعترية بحضورها صحبة ابنتها الكبرى واعترفت له أنها ابنته هو وليست ابنة للخضيرى أو الزعترى وأن المسمى والدها صمم أن تذهب صحبة فتيات الجهاد بعد طلاقها من أحد الأوربيين شركاء الزعترى ممن استغلها كجارية عربية فى الأوساط الأوربية وكأميرة أوربية فى البلدان العربية فذهبت شهورا هناك وهربت بسلطة والدتها من إحدى مخيمات النكاح فى غرب العراق فرفض متشككا فى نسبها له ولكنه كثيرا ما أخذت تحدثه نفسه أنها ربما تكون كذلك حتى جاء يوم استوثقت نفسه من ذكرياته مع سوسن قبل أن تصبح سعاد الزعترى فراح يبحث عنها لدى أمها ولكنه فوجىء أنها أصبحت زوجة لفريد! وكان يعلم جيدا أنه ليس له فى النساء شهوة ولا لذة إنما اتخذها تجارة ووسيلة لإنهاء صفقاته وأبقاها بقصره فى روما .وأشار المحقق لها بإنتهاء هذا اليوم من الإستماع ولملم الكاتب أوراقه مجددا وأعطاها له فنظر فيها وأعادها إليه طالبا منه تبييضها بإعادة كتابتها على الكمبيوتر بحضوره الشخصى وعدم تركها للناسخين وأوقف بضغطة زر جهاز التسجيل الذى بجيبه ثم أغلقه بغلافه ووضعه داخل سترته وخرج المسشاران وخرجوا من بعده وأتى الساعى فاطفأ كل الأنوار وأغلق الحجرات وسلم الليلة لحراسها وخرج إلى بيته بعدما ذهبت سيارة المتهم به إلى محبسه وغادرت بالمحقق الأخرى واصطحب المستشار الآخرين بسيارته الخاصة .

تجار الدين

وأتى يوم جديد كان فيه راوى آخر ومتولى أخذ ينصت بلا مشاركة إلا عند طلب المحقق وهذا الراوى ممن سقطوا قريبا بعد مرور عشر سنوات على تفجير مديرية الأمن وكان يعمل بأحد المحال بقرب المتحف الإسلامى وساهم كرشد لعملية التفجير فلما تيقن من عدم توصل البحث له عاد من أقصرية تلك المدينة التركية التى تعاقب عليها الإخوان الهاربون ومن شاكلهم الوصول إليها ولم تشهد يوما تفجيرا أو إحتجاجا واحدا وهى التى تعج ببيوت الدعارة التى يديرها ملاك يهود وتعمل بها نساء تركيات من الجانب الأوربى ولها تعريف دولى معتمد من سفارات الدول الأوربية ورخص تركية مسجلة فلا تستطيع الحكومات المتتالية وإن أدعت غيرتها الإسلامية من غلقها أو إيقاف نشاطها لأنها الشرط الرئيسى لإمكانية إنضمام الجمهورية التركية للإتحاد الأوربى أما عن ذاك اليوم فاستيقظ فيه المصريون على إنفجار مروّع بمبنى مديرية الأمن وصل للمتحف ودمر وأحرق عددا من المنازل بالشوارع المحيطة وهو المبنى الذى يتوسط الشارع الرئيسى الموصل بين مقامى وحيى السيدة زينب والحسين وقد أخذ هذا العائد يسرد ما شارك به :

- لقد انضممت للجماعة قبيل قيام الثورة الشبابية بعدما لم تفلح محاولاتى فى الصعود ضمن عناصر حزب الحكومة وأخذت أحضر جلساتهم وأعطيهم بعضا من دخلى وكانت أغلب لجنتى من تجار الحسين والسيدة زينب

وسأله المحقق عن بدايته فأوضح له :

- لقد تربيت بين الحيين صبيا لدى تاجر عرفت بعد الثورة أنه كادرا قياديا فصعدنى معه بعدما سلمت إليهم زمام أمور الدولة وهذا التاجر هو الشيخ ابن الداوودى أحد أمراء الظل فى مملكة الذهب والدولار التى تغللت بالمجتمع من أواسط السبعينيات حتى أوئل التسعينيات وغشّوا الناس ودلّسوا عليهم بذقونهم الكاذبة وأرباحهم الربوية

ويعتبر أشهر مشايخ الفضائيات فى العقد الأول من القرن الجديد وكان والده من قبلها نجم نجوم الكاسيت وأحد أكابر جماعة الهجرة والتكفير وهذا الشلولو "وسمى كذلك لكثرة عشقه للمأكولات الدسمة سريعة التجهيز مع بديهته الأسرع فى إصدار الفتاوى والأحكام الدينية لأي مسألة تواجههم ولهم فيها شك فيفتيهم بأسرعها مكسبا وأسهلها تكاليفا " كون مع أمراء المسيار فى مملكتهم جماعة السلفية الأولى بينما هى فى الحقيقة كالجاهلية الأولى إذ جمعت فيها مساوىء الرايات الحمر من إباحة وتعددية النساء وإمتلاكهم أو هبتهم لبعضهم البعض مع خسيسة التشيع من حلة المتعة لكل من سافر من بلد لبلد وشريعة اليهود فى إتخاذ الذهب والمرأة وسيلة وغاية لإستجلاب المريدين والأتباع وكان ذلك بعيد موت والده أواخر السبعينات وفراره إليها فوجد فيها الملجأ والأمان والمال والنساء خاصة بعد الثورة على الشاطىء المقابل لهم وخوفهم على سلطانهم فادّعوا باطلا أنهم المحافظون على السنة ثم عاد بعد حرب الكويت وإنفضاح كذبتهم إذ دخلت الجيوش الغربية أرض العرب وصاروا خدما لهم فلما ارتفعت شوكتهم بعد إلتقائهم بالفارين من عرب الأفغان فى السودان وتغللهم وسط المجتمع المصرى إصر غفلة من الدولة أمست فريتهم متشعبة فى أوصال الوطن وزادت ثرواتهم أكثر مما ربحوه فى دويلات البترول...

وبزغ نجم ابن الداوودى ليستعيد كفل والده وابتنى له فيلا بأحد الأحياء الراقية ،وكانت ذات خمسة طوابق العلوية باتت لثلاثة زوجات مقسمة بينهم والثانى ترك مجهزا لزوجة رابعة يبدلها كل ستة أشهر على أن تكون بكرا لا تزيد عن ١٨ عاما كانت غالبيتهن بنات مريديه وأتباعه بدعوى القربى والتزلف لهم وإن كانت أغلبها زنا بدعوى علاج روحانى بقراءات اتضح أن أغلبها تحوى عبارات من تلمود بنى إسرائيل وهذه بدعتهم التى ابتدعوها وهى إباحة تعدد الزوجات بدعوى محاربة العنوسة وزيادة نسلهم فكانوا كلهم جميعا يتحايلون على شرع الله بتثبيت ثلاث زوجات ثم يغيرون الرابعة التى لا تستمر على ذمتهم إلّا أشهر معدودات لا تزيد عن ستة أشهر بل وصل لبعضهم أن يعطيها لبعض أتباعه بعدما استمتع بها شهورا ليتزوجها وكأنّهم يفعلون فعل المؤاخاة فى زمن الهجرة فينسب أولادهم لأولئك الشبان السذج الذين زوجوا بلا مهر أو تكاليف وكانوا كذلك يفعلون فى هجير المسيار خلال عقدى الثمانينات والتسعينات وادّعوا أنهم هم أهل الإسلام وخاصته وعامة المسلمين على ضلال وكفر أما نجمهم اللامع الشيخ الداوودى فهو حاصل على دبلوم تجارة ورث والده فى خطبة الدروس والجمع بإحدى الزوايا الشعبية بمنطقة إمبابة مسقط رأس جدتهم التى كانت سليلة لإمرأة من غجر اليهود المغاربة أتت لمصر فى زمن الولاية العثمانية وادّعوا أنهم من السادة الأدارسة فكثيرا ما اتخذ لنفسه بطاقات تعارف باسم ابن داوود الإدريسى اشتهر هو ووالده بنكتهم الدينية ومن أشهرها تلك التى رفعت أسهمه بين مشايخ الطعن واللعن فى أواسط السبعينيات وهى تألّى على الله ورسوله فى حديث أمتى فيقولان فى جزء منها:

- أن أحد الصعايدة توفى فأتته ملائكة القبر تسأله فلم يفهموا له قولا فكأنّه أتى به يوم الحشرفذهبوا به لكل نبى فكان الجميع يقول:
- نفسى نفسى حتى وصلوا لأبو البشر آدم فتوجه للملائكة بالعتاب قائلا :
- أنتم عاوزين تشبكونى مع الصعايدة...نفسى نفسى .

وتفوق الابن الداوودى على أبيه وإذ فجأة كنجم الغناء الأمريكى بدل جلده وهيئته وظهر للجميع يرتدى جلبابا أبيضا شعره أبيض ذقنه طويلة متشعبة لامعة البياض وكان سابقا أسمرا أجردا بلا لحية أصلع إلا من شعر خلف رأسه ولكنه زرع شعرا للحيته ورأسه واستعمل لهما زيت الكبريت ليصيرا أبيضين لكى يدعى كذبا بمشيخته لعموم السلفيين وأخذ مقام كبير أكابرهم وكان قد تبادل نساءه مع أمير المسيار فى مملكة الهجير فزوجه طليقته وابنته من بعدها والآخر استمتع بأخته وعمتها وهى من الأفاعيل الباطلة والمحرمة التى كانت أيسر وأقل ما انتهكاه من تعاليم الإسلام ونواهى القرءان وذاعت شهرتهما فى تزويج شباب المجاهدين بنساء المسيار المجلوبات من أقاصى العالم بدعوى الإلتحاق بفريضة الجهاد الغائبة عن المسلمين والتى رفعوا راياته بعد سقوط العراق ولكن ليس ضد الغزو الأنجلوأمريكى وإنما ضد البلدان العربية الآمنة خاصة مصر والتى أحاطوها من جنوبها وغربها بمخطط لم يحيدوا عنه شبرا وإنما نفذوه بحقد أكبر وكره دفين لأهلها المؤمنين.

وانتقلت الأسماع من جديد بعد ذلك للمتهم "متولى" فأكمل حكاياته بقصة الباحث الأوربى "وهنا استيقظ الكاتب والمحقق من روتين الإستماع الذى اعتادا عليه ثم صرخ فيه متعجبا ومتشككا فى سلامة أقواله أو قواه العقلية:

- أنت كمان ليك علاقة بقضية الأوربى ؟؟ فاستوقفه وأمرهم بالإستراحة على الأرائك بوسط الحجرة وطلب من الكاتب أن يوصى بثلاث فناجين قهوة وأن ياخذ لنفسه وقتا يستريح فيه فبادر واستدعى الساعى وأعطاه الأمر وخرج معه لإراحة نفسه وذهب المحقق وفتح أبواب الشرفة كاملة وأشعل سجائره وخرج فى هواءها وأخذ يقلب نظره بين الرجل ومتولى والأفق البعيد غير مصدق أن يكون شخصا واحدا لديه كل تلك الأسرار وبعدما انتهيا من شرب القهوة وأفاقا وقد ظلا كلاهما صامتا ينظرا لبعضهما وكل يسرح بفكره فى ذاكرته ثم جاءهما من الغرفة الأخرى التى ذهب إليها ليستمع لرؤية شركاء التحقيق ثم حثه على التدقيق فى كل كلمة يقولها وعلى الآخر التدخل إن تذكر شيئا له علاقة بقول غريمه وأخبرها أن هناك غيره من سيتابعها ويسجل أقوالها فأذعنا لطلبه وأكمل :

- أنه أتاه يوما رسول من فريد لإلتقاءه وظن أنه يريده ليطفىء له شبقته فلم يذهب له أول مرة فأرسل له مرة ثانية عنتر بنفسه وقرر وقتها أن الفرصة قد أتته للإنتقام منها بعدما فعلاه به بسنين أوربا وما أقرا به من تجارة بفتيات الأقاليم لبضعة أمراء ورعاة أجانب اتخذوهم فى بيوت الدعارة التركية كانت إحداها زوجة لرجل أكرمه وقت تشرده فى أواسط السبعينيات ،بجانب نشر الرذيلة داخل الدولة فاستجلب لمثل تلكما الفرصة زيت خردل به إضافات خاصة أعدها بدقة تختلط بالزيت وكانت مادة تسبب جفافا ونزفا داخليا لمن أكثر منها وذهب إليه ليلا فوجده معد الخمر والطعام بشقته القديمة وسط البلد فلاطه بشدة وعنف كالأيام الخوالى وبعد إنتهاءه منه رش مؤخرته بالزيت وأعلمه أنه زيت مخصوص للرجال لتهدئة فتحة الإست بعد كل علاقة وتلطيفها فانبسط كثيرا من إهتمامه به ووعد بإستخدامها كلما أحس بالشبق وقد أخبره أن هناك باحثون آتون مسجلين بالجامعة الدولية وأراده مشاركتهم فى جولاتهم وتسهيل مهامهم كالأيام الخوالى خاصة وأن منهم بعضا ممن التقوا بهم بروما ومارس معهم ليلة جماعية وكان أحدهم الباحث الأوربى والذى استعذبه عنتر فاتخذه خليلا له وكانت مهمة هذا الباحث الإلتقاء بالشباب والأهالى الذين اشتركوا فى الثورتين السابقتين وأراد أن يكون الحوش هو مركز تجمع للفئات المختلفة فرفض متولى كاذبا أن شقيق عم بصلة متواجد به دائما ولا يثق فى أحواله وقد كان الباحثين يستخدمون الإغراء المالى والجنسى للوصول لما يريدون خاصة أنهم يصطحبون فتيات مدربات على ذلك ،وأحيانا يتدثرون بهيئة السلفيين أو الإخوان حسب طبيعة المكان المقصود وقد كان كثيرا من شراذم الإخوان وأبناء المسيار من أهل الدعارة أو المثلية ولكن بلباس ورداء باطنى يظهر للعامة كشرع وتدين ، واستطاعوا تكوين معارف شبابية مختلفة فقد كانوا يعرفون بعضا من اللغة العربية حتى أتاه يوما فريد وعنتر غاضبين ومنزعجين باحثين عن الفتى بتلهف شديد فاستغرب الأمر ولكنهما ذهبا سريعا لما بدا أنه لا يعلم مكانه وقد كان لم يلتقيه منذ شهرين وأكثر وأتى بعدهما يوما عدة رجال باحثين أيضا عنه وفتشوا الحوش جزءا جزءا وذهبوا وأبقوا أحدهم بقرب المنطقة لترقب وصوله وبعد بضعة أيام ذهب إليها فى الفيلا فوجدهما قد أمسكاه عندما وجداه بمنطقة حلوان يلتقى بعض عمال المصانع واستقرر عنتر عما حدث منه ليثير كل هذا الذعر لديهما

- لماذ كل هذا الإصرار على هذا الشاب دون غيره ممن أتوا فعرف منه أنه استطاع الحصول من فريد على فلاشة وبطاقة تخزين تحويان أسماء شركات ومؤسسات متعددة الجنسيات مقراتها بلندن وروما وأنقرة ونيويورك وتل أبيب تتعامل مع بنكه وفروعه المختلفة ووجدها يتبادلان توسلاتها له للإقرار بمكان تسجيلاته وأبحاثه :

- أرجوك أخبرنى أين هى تلك الوثائق ومع من خبأتها ، بينما تركا الشمع المشتعل يتساقط على جسده ويديه مربوطة من خلف لعنقه وجسده العارى ملصق به سلك كهربى موصول بمصدر التيار ممدا على بطنه فوق منضدة حديدية فلما تعبا من تعذيبه وهو مستمتع ومتبلد لا يصرخ أو يبكى لديه ابتسامة تختفى وتظهر كلما أكثرا من توسلاتها..وجذب فريد متولى لحجرته ودخلا البانيو وطالبه بالفعل به ما اعتادا عليه ولما انتهي منه زاد عليه من قارورة الخردل الجديدة التى جلبها معه تحسبا لهذا الأمر فلما خرجا وجدا عنتر قد غادر بعدما فعل بالشاب كما فعل هو بشريكه وتركه على حاله فجلس فريد عاريا بجواره وأشعل مفتاح التيار الكهربى فأخذ جسد الشاب ينتفض بعدما كان مسترخيا فأخذت متولى الشفقة به ونزع فيشة الجهاز عنه وحضّر ثلاث كؤوس شمبانيا وأعطي واحدة لفريد واستفسر منه عن السبب الحقيقى لكل هذا لأنه غير مقتنع بأن سببا واحدا أدى لكل هذا وأخذ الفتى ونزع عنه أربطته وأجلسه على أريكة وأعطاه الكأس الثانى فشرب قليلا وسكب البقية على جسده فانتعشت جراحه فأعطاه الثالث وأمسك به ليشربه كاملا فشرب ثم فوجيء بصاحبه يصيح بالشاب أنه لا يريد أن يعذبه ،فالبطاقة والفلاشة اللتين أخذهما لا يسببان له قلقا فما فيهما لا يمكن فتح ملفاتها إلا ببرامج مخصوصة لا توجد إلا مع قلة كما أن بها أدوات برمجية تخفى محتوياتها ووضع رأس الفتى على صدره العارى وتأسف كثيرا لما فعل به فقد أتته أوامر مشددة من لندن بفعل كل ذلك لمّا خالف هو الإتفاق مع الجهات التى أرسلته وفشى ببعض بنود مهماته السرية فوصلت لجهات متعددة عن طريق الذين التقاهم بالجامعة وبعد ساعة راح الفتى يهذى بالكلمات والأسرار، فطرد متولى من عنده فخرج مسرعا من عنف الأمر وتوقف بخارج الفيلا ليرقب ما يحدث وأتى آخرون على عجل ثم خرج بعضهم وداروا حول الفيلا فوجدوه وأمسكوه وأدخلوه إليه فوجد عنترا قد أتى أيضا فنهره على تلصصه عليهم وبقائه فلما تغافلوا عنهما أخذه وفرا من المكان وأخبره

- أن الفتى يموت الآن ، ثم ذهبا لشقته وأخذ جواز سفره وطالبه بالفعل مثله فأنزله بشقته واتصل وحجز لهم ثلاثة تذاكر فقد قررا مغادرة مصر ولكنه خشي منهما فلملم أشيائه البسيطة وأحرق الباقى على عجل واتصل بأحد مساعديه بالحوش وشدد عليه بغلق الحوش والورش وجميع نوافذهم وأبوابهم جيدا وهرب إلى الإسكندرية فى شاليه امتلكه ولا يعلم عنه أحد وبقي به عدة أشهر حتى موسم الشتاء وكانوا قد أخذوا الشاب ليعيدوه لشقته محل إقامته إلا أنهم ألقوه بأحد الطرقات المتطرفة عندما فاجئهم وجود كمين على الطريق وهنا تدخل المتهم الثانى وأكمل

- لقد كنت ممن استدعاه قائدنا تليفونيا الذى صدرت له أوامر أن يأخذ رجالا ليذهبا لفريد ولما وجد المحقق مستغربا زاده توضيحا :

- إنني من جملة الأشخاص الذين كانوا يصطحبون الأوربيين للتجول بالمنطقة الشعبية بأوامر من قيادة الجماعة لأن أغلبهم كانوا من منتسبى الجماعة بأوربا خاصة مقر إستقرارهم بلندن وكثيرا ما تبادلوا المنافع والمصالح بملحقى

سفارات تلكم الدول التى سهلت لهم عملهم وأمدتهم كثيرا بمال وتصاريح سفر وعمل وأنه هو الذى أوصله لأعضاءها بمنطقة حلوان لدراستها وترصد عمالها ومصانعها فقد كانت لهم مركزا للأبحاث والزيارات وأن فترة إختفاء هذا الشاب ورفقته كانت إقامتهم فى منازل لدى منتسبى الجماعة حتى استدعاه أحد وسطاءها ليرافق عنتر وفريد لمقر مكث الشاب وإطاعة أمرهما فأخذهما وقبضا على هذا الشاب وثلاثة فقط من رفقاءه بيد أتباع الوسيط ،وعاد لفم متولى الحديث :

- فأخبره أنه غادر من الإسكندرية إلى بيروت وهناك فاجئه وجود عنتر وابنة الشيخة سعاد وعلم منه أنه ذهب لروما والتقاها وأتى بها معه كطلب الشيخة سعاد التى أتت بعده ثم لحقها الشيخ الخضيرى ولما استفسر منه عن الحادث فأخبره :

- أنه بعد مغادرة الفيلا قام فريد بدهن جسد الفتى من الزجاجة التى أعطاها له ليخفى آثار نار الشمع ولكنها زادت الأمر سوء خاصة وأنه أعطاه أحد العقاقير المهدئة فأديتا إلى موته وبعد سفرهما لأنقرة توجه فريد للندن وظل عدة أشهر يراسله ويحولان الأموال حتى انقطعت أخباره فجأة ولا يعلم عنه شيئا من وقتها فأيقن أن رجال ال (أف أمFM) وراء ذلك فاستفهم منه عن علاقتهم بالأمر وعلاقته هو بهم فأعاده ليوم الإنتخابات الرئاسية التعددية الأولى وأنه أثناء إقامته بلندن تم تجنيدهما هناك لتنفيذ ما تم "وهنا استفسر المحقق عن الأسماء المصرية طالبا الكاتب بالتوقف عن الكتابة وأخرج من جديد مفكرته

- أعصر دماغك من تانى وأخبرنى بكل أسماءهم فردا فردا ، وسمع أسماء صادمة فهم كثر ومنهم صحفيين وقيادات حزبية وجامعية ولأول مرة يلفت إنتباهه رئيس المؤسسة الأوربية الطبية ورئيستى الروتليز بالعاصمة والمحافظة الدلتاوية زوجتى أشهر مذيع رياضى ورئيس المؤسسة الحقوقية ومعها الفراشة الزرقاء؟

والفراشة الزرقاء هى تلك الفتاة الأربعينية التى ولدت من أب تعود أصوله لإحدى الولايات العثمانية والأم جدتها لاتينية ،برز نجمها أثناء دراستها بالفرقة الثالثة بكلية الإعلام بالجامعة العريقة واستطاعت بلطف أنوثتها وعلاقات والديها أخذ حديث صحفى للجريدة التى أسسها فريد مع أحد أبرز وأشهر قيادات الحزب الحكومى وقتئذ فأكسبها مكانة داخل الجامعة وكثيرا ما كانت أمها وهى قيادية بإتحاد نوادى الروتليز تقيم الحفلات وتدعى إليها قيادات جامعية وإعلامية وحزبية فأنجب بها فى أحدها كادر من كوادر الحزب الذي كان والده قيادة أمنية وحزبية كبرى سرعان ما تطورت علاقتهما إلى زواج ذى طابع سياسى وهى ما زالت بالفرقة الرابعة فلما نالت الشهادة وتخرجت كالأولى على الجامعة بفضل والد زوجها وما حققته بنفسها من علاقات داخل الجامعة والحزب وخارجهما ألحقت بالتليفزيون الرسمى من فورها وبرزت فى القناة الرئيسية ثم انتقلت كقيادة شابة لإحدى القنوات الفضائية الرسمية واختفت قليلا بعد الثورة الشبابية ثم طلت مرة أخرى بعد إستعادة العهد القديم أيامه ومساهمته فى النظام الجديد بشكل يناسب لما بعد الثورة الشبابية ولم تفقد وقتها نفوذها فقد ظلت تتنقل ما بين الأوساط خاصة وأنها منفتحة على النظام الأوربى وكثيرا ما لبت رغبة بعض المتحكمين حتى فى سنة الإخوانجية فقد اعتادت على ذلك منذ صباها فلقب الفراشة الزرقاء اكتسبته من إرتداء المايوه الأزرق فى أغلب دورات السباحة التى كانت تتسابق فيها بل وكذلك ملابسها الداخلية وكان مدربها هو مدرب والدتها إحدى رائدات النادى فى السباحة أيضا

ويقال أنه أول من مارس الجنس معها أثناء التدريب داخل حوض السباحة كما فعل سابقا مع أمها التى اعتبرت هذا التصرف سلوكا أوربيا طبيعيا ومعتادا ورغم علم الزوج بكل ذلك قبل الإرتباط بها فلم يمنعه ذلك وهى التى كانت ترعى حفلات الجامعة الفنية وتأتى لها بالموافقات الإدارية والأمنية حتى بعد تخرجها فقد ألحقت بكلية الدراسات العليا بها وساهم كثير من أساتذتها بتحضير رسائلها مقابل أنوثتها مما أعطاها درجات علمية رسمية متعددة فى فترات متتالية قصيرة ومن أشهر ما نظمت حفلة الجامعة لزميلتها "نانى" فنانة الإستعراض فهما خريجتى مدرسة البنات الدولية وكانتا تتبادلان علاقاتهما العامة والخاصة آنذاك.

- ثم أشار له المحقق بالتوقف عند هذه الأحداث والإستكمال فى يوم آخر وهو يفرد جسمه من الناحيتين ومتولى يتنفس مرتاحا من عناء السرد وأنه أزاح عن نفسه بعض ما يثقلها من هم وأسرار ،ولملم الكاتب أوراقه وحمد الله فى نفسه أنهم لم يستمروا أو يطبقوا ليلة أخرى فى التحقيقات ثم هم بالخروج وأخذ المتهمين معه فقابلهم العسكرى الذى أتت به رنة الجرس عندما ضغطه سيادة المحقق وأمسك الثانى من ذراعه وجذبه تاركا الأول بحريته وما إن فتح الباب عن آخره فسمعوا صوت النداء

- "متولى "

- فرد مسرعا وعدل من إتجاهه ونظر للمحقق ورد بأنه تحت أمره وطوع بنانه بينما الذى ناداه المستشار بسادة فوجده ألقى إليه بعلبة السجائر ..فرد شاكرا له عظيم الشكر وفرح بها فرحا شديدا فحسده العسكرى فى نفسه من إهتمامه به وبما أعطاه وتمنى لو أنه مكانه وأكرمه بتلكم النفحة فأظهر متولى عظيم انبساطه وسروره ولكن ليس من أجل علبة السجاير وإنما من ذوق ومجاملة المستشار له وخرجوا وأغلقوا الباب بعد أن سبقهم الكاتب وأخذ المحقق يجمع أوراقه ويرتبها بينما جلس رئيسه على كرسيه بعد أن دفعه من حافته أمام النوافذ الزجاجية وراح يتأمل وسرح ذهنه فى ذكرى والده وحكايات جده :"وكان والده مهندسا معماريا بارعا كاد أن يلحق ب"حسن فتحى " فى فنون تصميمه إلا أن حوادث أواخر السبعينيات دارت عليه كما على غيره فقد أعفى جده من القضاء بعد أن التحم من جديد مع القوى المناهضة لتصرفات الرئيس وخاصة أولئك المعارضين بشدة لتقاربه مع أمريكا وإسرائيل ومنهم القاضى" نصار "زميله الجليل ممن كان معه من رؤساء نيابة ومحاكم عندما أبعدوا فيما وصف وقتها بمذبحة ٦٩ ثم أراد الرئيس الجديد كسب جولة مع الشعب فأعاد بعضهم على دفعات وترك الآخرين فكان ممن عادوا فى الدفعة الثانية إلا أنه سرعان ما اصطدم بتقلبات الرئيس المزاجية الحادة فجن جنون السلطة وطرد نهائيا من القضاء بعد فتح قضايا الفساد المتعددة والتى أتهم فيها كثيرا من حاشية الرئيس وعائلته، وثانيها الوزير" أبوالعطا" الذى عارض أفعال النظام خاصة وعده لليهود بمد قناة من النيل إليهم عبر سيناء فأقاله وضيّق عليه ،وقبض على جد المحقق وأبيه فى أعقاب ثورة الرفض فلما طاش صواب السلطة وقتها أخذت الكثيرين بذنب وبدون ذنب وزج بهم فى سجون بنيت فى أماكن ثكنات كانت تستخدم للتدريب وقت الحرب وأخرج الجد أولا وبقى الوالد ما يقرب من عامين فلما خرج وجد كل شىء تبدل وتغير من سافله لأعلاه فترك البلد وسافر للعراق مع من سافروا وبقى الجد فى إقامة شبه إجبارية فكان هو المربى لأبناء ابنه ولذلك يتذكر المحقق كلمات جده جيدا :

- "لقد عشنا حلم عبدالناصر ورفرفت أماننا معه عاليا فلامسنا السماء حتى وقعت اللطمة ودائما ما كان يسميها الجد "اللطمة" إذ كان يشرح لأحفاده دائما أن مصر عبدالناصر كانت مستهدفة من الجميع حتى من أفراد شاركوا فى قيام الثورة غير الغرب وأمريكا وكذلك من حزب البعثرة العربية فى الشام وهو يعرف حقيقته والأسباب الخفية لإنشاءه وعناصره وشركاؤهم الذين خدعوا مصر ونصبوا لرئيسها الفخ بإدعاءات الحشود الإسرائيلية وشاركت فى ذلك كثير من الدول العربية حسدا من عند أنفسهم لزعامة الرئيس المصرى"وكان يحكى لهم عن موضوع القضاة مع عبدالناصر خاصة بعد الأحكام الهزيلة لقادة الجيش والطيران ثم مظاهرات طلبة الجامعة والعمال ورغم أنه أبعد من القضاء ضمن قرارت رئيس الجمهورية إلا أنه كان مازال يعشق عبدالناصر حتى أنه ظل محتفظا بصورته معلقة على حائط مكتبه الخاص بالمنزل وكذلك يتذكر الحفيد جيدا بعدما شب قليلا أن جده كان غاضبا من الرئيس جمال ولكنه لم يكرهه يوما بينما طوال السبعينيات لم يقتنع بمن يحكم وأفعاله ووصل الأمر أنه أخذ يجاهر بمعارضة الحكومة جهارا نهارا مع من لقيه من أقارب أو زوار وأحيانا على القهوة التى كانت فى منتصف الشارع الذى يسكن به وكان يجلس بها ليلا كلما ملّ من مكثه بالبيت خاصة الأيام التى كان يشعره الناس وزواره أنها خالية من "مخبرى الديمقراطية " كما كان يسميهم حتى وشى به أحدهم فأخذ فى إعتقالات سبتمبر ورغم أن اسمه لم يرد ضمن ال١٥٠٠مصرى الذين صدر بهم قرار الإعتقال فى ليلة واحدة ويكاد يكون هو الوحيد الذى توفى وقتها بالسجن قبل الإفراج العام عن المعتقلين وهذا الجد سليل مجد لأحد النازحين من الصعيد وكان والده كثير الصلة بمكرم عبيد فإنهما ينتميان لذات المكان فأصول هذا الجد الملقب أندراوس أبو هدرا تعود لبلدة نجع هدراوى التى نسبت للقديس "هدرا " والذى يروون أنه كان أول من ترهبن فى عموم القطر المصرى وعرفت المنطقة التى استقر قربها بجبل الأساس أو البريّة كما تسمى بين الرهبان وهى لا تبعد كثيرا عن عين مريم الموجودة غرب النيل بجنوب الصعيد بل يقال أن هذه العين تفجرت له خصيصا عندما قرر سكن الجبل والترهبن فلما عطش ذات يوم نزل تجاه النيل لملء وعاءه بالماء وكان بعيدا فوقع عطشا ثم أيقظه بعض المارين ووجدت هذه البئر بجواره وحدثهم أن أحدهم سقاه وروى عطشه من تلكم البئر ،وإن وجد آخرون يقولون أنها بئر النبى إدريس الذى عاش بقربها وقد عادت وتفجرت ببركة القديس هدرا ، وثلة قليلة جدا أدعوا أنها بئر مريم البتول عندما ولدت المسيح هناك وغمرته من ماءها ثم طمست لعقود حتى تفجرت ثانية للمترهبن .

ثم انتبها لطرقات الساعى مبديا استعداده لتلبية طلباتها وإن كانت حالته تنبأ بأمنيته المغادرة فقد مضى الليل كله حتى اقترب الفجر فسأله عن السادة المستمعين فى الحجرة الأخرى فقد نسى أن يلتقيهم

- لقد رحلوا سعادتك فور إيقاف التحقيقات مع المتهم وإن بقى واحدا لملم بعض الأدوات ورحل منذ دقائق فسأله باسمه فأجابه بالإيجاب أنه هو وتيقن أن كل كلمة ستصل لمستويات أعلى وأبعد ممن لهم حق متابعة التحقيقات فوعده بالإنصراف

- دقيقة ونغادر

وبالفعل أغلق الساعى المكتب بعدما خرجا.وركب المحقق سيارته وحثّ رئيسه الذى أوقف سائقه بعد مدة لما طالبه بالتجوال فى الشوارع العتيقة للعاصمة وأمره بالمغادرة وأشار له برغبته فى السير وذهب يتمشى فى

طرقات المدينة وذكريات جده تؤنسه ثم لفحته نسمة دافئة غريبة على فجر القاهرة فوجد نفسه أمام دار الكتب المصرية التى أحرقت منذ أيام خلال إحدى مواجهات السلطة لمسيرة شعبية غاضبة من إرتفاع الأسعار وإختفاء الزيت والسكر والأرز بعدما أنشئت شركات بقيادات أمنية لتنظيم تجارة السلع الغذائية والتموين فإذا بها تشح وتختفى عن الأسواق فما كان من شرطة الحكومة إلا التعامل بالقذائف الملتهبة المسيلة للدموع والتى أصابت إحداها دار الكتب فأتت على مكتبتها صغيرة الحجم كبيرة المحتويات، ولسعت وجهه ورقة محترقة فأمسكها فرأى بها مقتطف إحدى الروايات واستعجب من عباراتها وأخذ يتلفت حوله ثم ركز بصره للسماء مستعجبا وحائرا من تلكم الإشارة الإلهية الغريبة فقد كانت السطور مكتوب فيها:

- "أرى القاهرة الآن رجلا معصوب العينين مطروحا فوق ظهره ينتظر قدرا خفيا.. أشعر بأنفاس الرجال داخل البيوت تتقارب رؤوسهم.. الآن يتهامسون يتهامسون بما سمعوه من أخبار .النداءات مجهولة ....الوقت يمضى ولا يمضى .....لا يمكننى الطلوع إلى الطابق الأعلى لأرقب مواضع النجوم ....ربما يقترب الفجر غير أننى حتى الآن لم أسمع ديكا واحدا يصيح "

فقرأها مرارا ونظره يتردد بينها وبين السماء ثم أطبقها بين كفيه حتى أتته أخرى وثالثة ورابعة وأمسكهم ودارت رأسه من ترتيبات قدرية شعر بها فالثانية تحمل نصا مصريا قديما كتب بعد الثورة الكبرى فى زمن الأجداد ومنقوش أصله بقصر أنس الوجود بجزيرة فيلة وكانت كلماتها تقول:

- "أمام مندوليس ابن حورس ...بيد أسمت أخوم ابن أسمت الكاهن الثانى للألهة إيزيس .....للأبد على الدوام ترتيل قول بواسطة مندوليس : رب أباتون الإله العظيم لأنه بشوش فى وجهى فقد أديت عملا عظيما هذا اليوم ...."

أما الثالثة فكانت جزءا من نص مكتوب لخطبة جمال عبدالناصر فى المنشية وتقول كلماتها:

- "كانوا يحاولون فى كل الأوقات أنهم يغرونا بالعلاوات وأنهم يميزونا عن باقى طبقات الشعب وكنا ننظر لهذه الرشاوى وهذه الوعود وكان أمامنا طريق من اثنين إما نتجه ونلتقى مع هذا الشعب فى كفاحه أو نمشى فى طريق الإغراء وطريق الرشوة، كانت الطريق التى أمامنا صعبة وقررنا أننا نسير فى الطريق الأول ونلتقى مع الشعب لنحقق أهدافه....."

وأما الأخيرة فتعزى إليه نفسه وكانت ورقة مصحف بها الآية القرآنية :

- "ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إنى أرانى أعصر خمرا وقال الآخر إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين "

ثم تحسس جيبه وأخرج مفكرة المحقق وقرأ أسماء أصحاب الرتب والحصانات من محترفى سرقة المال العام وساءه كثرتهم وإنتشارهم فى جهاز الدولة بعدما تلونوا للعهد الجديد بعد الثورتين وأنهم السبب الأول للغضبات الشعبية لشح الأطعمة وأساسيات الحياة بإحتكارها وإخفاءها فى مخازنهم المحصنة رقابيا بمناصبهم

الحالية ورتبهم السابقة وإتباعهم النهج الأمريكى بحرق وتدمير الفائض من السلع الضرورية لتحقيق أرباح طائلة مما خزنوه وكذلك كوسيلة ضغط على النظام الحاكم حتى لا يغدر بهم .

وما إن وصل البيت فأتصل بأصدقاءه القضاة فوجدهم جميعا يقظى وكل أتاه خاطر أو حلم منامى حيّرهم وأطار النوم من أعينهم وسرد على كل واحد منهم ماحدث له فى ليلته فكان ردهم جميعا أن ما اعتراهم كان إشارة تفيد بأن أحدهم له وعد قد أتى فحذروه جميعا على نفسه

- انتبه لنفسك فكل ما رأينا يدل على أمور عظيمة ستحدث

فقد ثبتت أحلامهم أنه هو المقصود واحتار فى غرفته حتى استيقظت زوجته فأخبرها بأن تسرع بجمع حاجياتها وإيقاظ ابنيها فحاولت الإستفسار وأجابها وهما يجمعان ما خف من حاجيتهما فتوقفت شاردة متجمدة وألقت ظهرها على جدار الغرفة فروت له كذلك حلمها :

- لقد رأيت كأن نسرا أسود أتى من الجو وحاولت إيقافه ولكنه اختطف ابننا ثم أتى نسر أبيض وعاركه وخلص ابننا منه

وأيقن بمصيره الآتى فأخرجهما مسرعا وودعها وابنه..... وأدار لهما السيارة وأشار لها بالإنطلاق فانطلقت إلى الصعيد وجلس ينتظر ثم تذكر شيئا فأمسك الهاتف واتصل بصديقه العميد ففاجئته سرعة رده وكلمه بضعة كلمات وأخبره أنهم ممسكون به الآن والآخرون آتون إليه هو، فأغلق الهاتف وفتح باب الفيلا وجلس على كرسى مقابلا له .....وأمسك بحزام شنطته التى أعدها للحدث واسترخى ممدا رجليه للأمام فلم يغيبوا سوى دقائق وأتوا له بأمر استدعاء للتحفظ عليه ونظر فيه وأعاده للضابط ولم يطالب بحصانته القضائية وإنما خرج معهم فى صمت وطمأنينة وهم دهشى من إستعداده وعدم إعتراضه .

ومكث بالسجن ثلاثة أيام لم يأته أحد بخبر أو سببا لإعتقاله ومرت بذاكرته فى هذه الليالى كل ما مر به من وقائع باحثا عن السبب الأساسى وراء ما حدث له وللآخرين فهل تحقيقات متولى حسون ورجال الحكومة السابقين للثورة الشبابية واللاحقين لها أم مشاركته فى الوقفة الإحتجاجية لأعضاء نادى القضاة ضد قرارات رئيسه المسيسة أم دراساته القانونية المشتركة مع المستشار الشرقاوى وآخرين لفترة السداح مداح وإتفاقيات إسطبل ديفيد القديمة وإبراهام الحديثة ولم يهتدى وأخرج فى اليوم الرابع للتريض فقابل من أصدقاءه عميد الأمن واحتارا كلاهما فى تفسير الأمر والزج بهما ووضعهما معا فى ذات السجن وجلسا على عشب ناشف فوق الأرض توحى بأنها كانت حديقة صغيرة وأخذتهما ابتسامة كبيرة من تغير الحال بعدما كانا يجلسان على أرائك موشاة وكراسى جلدية وأوامرهما لا ترد وأخذت عيون كثيرة ترقبهما وتراقبهما ثم وقف منتبها فجأة ومرددا:

- إنها هى أكيد السبب أتذكرها جيدا وكانت بعض قصاصات ورقية صورها أحد الباحثين الذين تعرف عليهم بالدراسات العليا وأهدى إليه بعض كتبه وكان ممن يترددون على دار الكتب والوثائق القومية أحدها عن أعداد اليهود فى فلسطين والأرض العربية سنة ١٩٣٥ قبيل الثورة هناك وبيان بقبائل الجزيرة العربية وقاطنى سيناء مؤرخة بعام ١٧٩٩ أى أثناء الحملة الصليبية النابوليونية على مصر كتبت بالفرنسية ومترجمة من الدار إلى اللغة العربية والثالثة تذكرها جيدا كلمة كلمة وأخذ يرددها وكانت

عبارة عن مخطوط موقع بخاتم قاضى المحكمة مندوبا عن والى مصر أهداه له الباحث لمساعدته فى رسالته.الجامعيةمسجل.فيه.:

العنوان الرئيسى "محكمة قليوب" وتسلسل لترقيمه بدار الوثائق ثم السنة المورخة بعام ١٢٦٢ هـ وهى تعادل عام ١٧٤٨م أى زمن أمير الصعيد الأمير همام والذى وجد له الكثير من الإنعامات والأوقاف الموثقة والمخطوطة كذلك على أهالى وقاطنى أرض الحجاز وكتب فيه : -"حضرة

المكرم شيخ العرب "..." ثم تتحدث عن رجل يريد إثبات وقفية كصدقة لأهل الحرمين فيخبر فيها عن نفسه أنه من عرب الحويطات القاطن الآن بناحية صنافير البلد بقليوب -وهى محلة موطنه الحالى وأقر أن جده كان مقيما بأرض سيناء قبالة أرض الحجاز وبينهما جزيرة يحرسها أفراد من قبيلته وأبناءعمومتهم "بنى عطية"بشاطئها المقابل أطلق عليها صنافير تقابلها ثلاث أخريات سميت جميعهن بأسماء جدات لبنى عطية والحويطات-ويدعى الحويطى وأنه أراد إثبات نسبه وإيقاف أرض له بصنافير البلد والجزيرة على شط سيناء نصفها لطلبة العلم ممن جاوروا الأزهر والآخر للصرف والمشاركة فى تنظيم التكية المصرية بمكة والحرم النبوى وأودع المحكمة حجة عن ملكه بجزيرة صنافير وهو عبارة عن بيت حجرى بلغ نصف قيراط ملحقة به زريبة مساحتها قيراطان تحتوى عددا من رؤوس الكباش والماعز ومركبان للصيد ونقل الحجيج وأرض زراعية بلغت ستة قراريط بصنافيرالبلد"وأخذيصيح:

-هو دا السبب تيران وصنافير أرض مصرية أملاك مصرية وحاول المقدم إسكاته ووضع يده على فمه فانفلت منه ورددها كثيرا فتجمع كل المساجين حوله وتفاجأ أحد المسجونين فى آخر طرقة الإستراحة بالصوت وسمعه جيدا ولم يصدق أذنيه حتى أتى مسرعا واخترق الصفوف ووقفا أمام بعضهما صامتين(المسجون ذاهلا والقاضى أجلمته نظرات المسجون فها هو متولى الذى كان يحقق معه ويستجوبه يقف أمامه ومعه بالسجن)وأخذه العميد وهو وراءهما وذهوله لإزداد وفرد يديه ولم يستطع ضربهما ببعضهما فلا يمكن أن يبدع راوى فى وصف تلك المعادلة المحقق والضابط والمتهم فى سجن واحد وصار بهما بعيدا عن الحشود الذين سارع بعضهم لمن دسوهم وسط المساجين وأخبروهم الخبر فأتت التعليمات بإبعاد الثلاثة عن بعضهم ونقل ضابط الأمن ومتولى إلى سجنين آخرين وبقى القاضى أبوهدرا بحبس إنفرادى ثلاثة أشهر وهنا تذكر جده وأبيه وإعتقالها وأخذته خواطره هل يبقى حيا ويخرج كأبيه أم يموت كمثل جده بمحبسه واعتم أياما ثم امتنع عن الطعام حتى أتته البشريات وكانت رؤية لثلاث ليالى رأى فيها النسر الأبيض يحلق به بعيدا فى الأفق ليلقيه عند النسر الذهبى فوق أحد قمم الجبال الشاهقة وكأنّه جبل الطور بسيناء وفعاود يأكل القليل مما يأتيه ولا يطلب شيئا آخر رغم أن مدير السجن أسس له حجرته بسرير ومكتب وحاجتيها وأنه لم توجه له تهمة حتى الآن وأن طلباته جميعها مجابة بل وبوفيه المأمور رهن إشارته فى أيما يطلبه .وكانت الثورة الرابعة قد تأججت وارتفعت أسقفها ولم يصدق العالم ما يجرى بأرض مصر فثورة جديدة على قائد الثورة السابقة تتهمه بالفساد والتفريط فى أملاك مصر وإعادة إحتكار رأس المال الأجنبى للأصول الوطنية فتشكل مجلس جديد لإدارة الدولة.

وكان متولى قد ألقى عليها فى السجن مفاجأة مدويّة علمها من شركاءه قبل موت الباحث الأوربى أن السبب الرئيسى لصدور أوامر قتله كان إطلاعه على تحقيقات الأمن الباريسى فى مقتل أميرة ويلز ورفيقها المصرى وتوصله لمعلومات ممن شاركوا بالتحقيق من الإنجليز تؤكد أنها كانت حامل بطفلة ذات أربعة أشهر وأنهم استأصلوا الجنين من رحمها وحفظت رفاته داخل قوارير بمصلحة الأمن وصادف أو أراد أحد ذلك أنها تكون على هيئة أوعية قدماء المصريين لحفظ أجزاء الجسد المتوفى وأنه اتفق مع بعض السياسيين المنحرفين ورجال البنوك المزورين أن يتولى خطة البحث لإثبات نسبها بعدما تحصلوا على عينات من الخلايا المحفوظة وأن يذهب لأفراد عائلتهم ومحاولة التحصل منهم على تحاليل DNA لمطابقتها لإثبات أن ابنة المصرى كانت هى وريثة إمارة ويلز .

أولا :لإمكانية استثمار ذلك وأخذ الأموال السرية الطائلة لجدها بأغلب بنوك أوربا بتزوير لبعض أشخاص كأقارب لأبيها وآخرين كأقرابها من ناحية أمها

وثانية: لأغراض خاصة تتعلق ببعض الشركات الغربية التى مولتهم وأخذت منهم هذه المعلومات لغرض المساومات القارية و الدولية فى بعض القضايا العالقة خاصة المالية والتجارية بين هذه الدول الأوربية وبعضها فما إن تكشفت صلة هؤلاء جميعا بمنظمة دولية تشارك عددا من شركات الجنسيات المتعددة العاملين بالبترول وتجارة الأسلحة والمواد المخدرة وتسهيل أعمال الدعارة داخل الإتحاد وخارجه وتسربت منهم الخطط فتخلصوا من الباحث لغرض أكبر مما كانوا يرتبون ويدبرون له بمساعدة مأجورين من الداخل وتيقن الضابط والقاضى أن الشخوص التى عادت لواجهة الحياة السياسية بعد الثورة الثالثة وأقروا لأنفسهم قانون إمكانية إزدواج الجنسية للنواب ورجالات الحكم والسياسة والدبلوماسية مما مكنهم من بسط نفوذهم داخل أروقة الحكم الجديد لهم صلات متشبعة مع تلكم المنظمات المالية والسياسية التى تدير كثير من عواصم العالم وأن هذا سببا مباشرا ضمن كثير لإبعادهما عما كانا قد توصلا إليه .

وحكاية أميرة ويلز وصديقها المصرى تتلخص فى أن العائلة المالكة بغرب أوربا استخلصت لإنها الأمير فتاة ذات حسب من أصول أيرلندية تعود لأهل البلاد الأصليين ذوى المكانة الإجتماعية العالية المعروفة من قديم تاريخ أوربا الغربية لتكون أما لأولاده لكى يثبّت حكمهم بكل تلك الممالك التى استولوا عليها من قديم بالمكر والخداع وقتل لحكامها بعدما يتصاهرون معهم وهى نفس الطريقة التى أسسوا بها خيم السمعون والحصرومية فى بلاد العرب فلما أنجبت لهم ما أرادوا نبذوها وأرادوا التخلص منها أو تركها كمجرد واجهة شعبية لهم بينما داخل بلاطهم تعامل معاملة الجوارى فلما ضيقوا عليها مساحة الذل والمهانة لم تجد سوى ابن المصرى ليخفف عنها حزنها ويؤنس وحدتها وكان والده قد برع وتفوق عليهم جميعا فى استخدام طرقهم السرية والدنيئة مما صار معه أغنى أغنياءهم ورفضوا على مدى خمسين عاما منحه جنسية المملكة خوفا من رغبته فى الحكم كرئيس حكومة البلاد ومما لديهم من إثباتات بتعامله مع أغلب شركات الأسلحة والتجسس والدعارة فى أنحاء أوربا بل وصلت سطوته أن يتحكم فى تسيير معيشة كثير من الأمراء والأميرات بإنعاماته المالية عليهم فوجدها فرصة وقرب ابنه من أم الملك القادم

للبلاد عسى أن يكون له حفيدا كشقيق لهذا الحاكم فلكل ذلك تخلصوا منهما معا بعد ثبوت حملها منه وتحديهما لإرادة العائلة الحاكمة.

ففى أحد الأيام بعد فترة ما بعد الظهر كانا عائدين من إحدى رحلاتهما الخاصة بجزيرة نائية إلى فندقها الذى كانت تستقر به وبدلت ملابسها ثم خرجا إلى شقته بباريس وبقيا هناك حتى منتصف الليل ثم نزلا واستقلا سيارتهما الخاصة عائدين إلى لندن عبر الممر الشهير وخلال ثلاث دقائق من دخولها النفق ظهرت حولهم سيارات إحداها لأشخاص بهيئة مصورين صحفيين والأخريات لا يظهر من بهم وقد حاولت الإقتراب من سيارتهما وظن السائق أنهم رجال إعلام متلصصين وساعين للشهرة والإثارة إلى أن اصطدمت بهم سيارة منهم محاولة إلصاقهم بجدار النفق فحاول الإسراع للفرار منهم فزادوا السرعة وأخذوا يصدمونهم بقصد وشدة حتى أدت إلى إنزلاق عجلاتها على السور الصغير لجوانب النفق وإنقلابها عدة مرات ولم يتركوهم بل أصروا على دفع السيارة فى جوانب الحائط وتكسيرها تماما وترجل شخصين ونظرا سريعا إليهما فوجدا السائق محشم الرأس تماما والدماء تغطى كل زجاج السيارة وأما الآخرين بالخلف فكأنهما مزقا بسيف حامى فأشارا لبعضهما بإنتهاء المهمة وغادرا سريعا وأتت سيارات متعددة وأخذت الأميرة بصعوبة من بين حطام السيارة التى كان الدخان يتصاعد منها والزجاج بكل قطعة من جسدها إلا أن بطنها لم تمس ويديها بقربها وكأنها كانت تحمى من بداخلها وفى سرعة بارقة وسرية تامة من بين الأجهزة السرية للدولتين نقلت إلى لندن وصدر تقرير بحالتها يوضح أن بها قطوع وتمزقات كبيرة ببطنها من أثر الحادث ثم فى ليالى معدودة أقفلت القضية وأقيمت لها جنازة خاصة غير عادية شيعتها فيها كثير من شعوب العالم أما المصرى فسلّم جسده لأبيه ليتولى دفنه والسائق ظل شهورا بالمستشفى تجرى له عمليات جراحية متعددة عاش بعدها فاقدا لذكريات الليلة وما قبلها فقط دون بقية حياته.

ابن الزبال رئيسا للجمهورية

وبعد قليل من الهدوء فارت الثورة الرابعة فى مصر وأخذ المجلس الذى تشكل فى ترتيب الأمور.ومرت أيام ووضع الرئيس المبعد بإقامة جبرية بإحدى الإستراحات الملحقة بمصنع حربى قديم أغلقه السادات إثر إتفاقيات إسطبل ديفيد .وتقرر فتح باب الإنتخابات الرئاسية بعد ثلاثة أشهر فقط وتقدم لها الكثيرين منهم ابن رئيس هيئة النظافة والتنسيق الحضارى الذى حرم كثيرا من منصب قاضى ورفض طلبه بدخول الشرطة أو الجيش وهو الأول على دفعته فى كلية الشريعة والقانون وثانيهم هذا المعلم الذى بزغ نجمه مع ثورة الناس وأتى من أقاصى الصعيد لإنقاذ مصر وتحديدا من نجع الحلال فى الجبل الغربى بقرب الموضع الذى يتناقل الناس أنه عاش به النبى إدريس وأغلب الأراء الأثرية تقول أنه موطن "نارمر" والد المجاهد الأول "مينا" موحد أراضى مصر كما حدثت على مقربة منه قصة إيزيس وأزوريس وابنيهما حورس وتبقت هناك عين بقرب أول دير للرهبنة فسميت عين مريم حيث انتشرت حولها حكايات وأساطير حتى ظن الناس أنها مكان مولد المسيح لما يحيطها من نخيل وشجر الجميز ومنها تلكم الجزوع الباقية والتى يقال أن عمرها ثلاثة الاف عام وكثيرا ما تبرك بها المصريون فكل مريض أتى العين شفى وكل زوجة عاقر انجبت بعدما ألقت على جسدها من ماء العين .ويفوزان فى الجولة الأولى بأعلى الأصوات وسبقا سياسيين وقضاة وضباط ورجال أعمال ويصلان للجولة الثانية منافسين لبعضهما البعض.ثم يأتى يوم قبيل الصمت الإنتخابى ويلتقيان حيث ذهب المعلم للمقر الإنتخابى لإبن الزبال "كما أشاع المنافسين عنه هذا اللقب وقد أعجبه أيما إعجاب وافتخر بأن والده كان يوما يحمل مكنسة يطوف بها شوارع العاصمة منظفا لها من كل قذارة -وإن كانوا فى حقيقة الأمر هم من نسل أعظم رجالات مصر بالإسكندرية ممن شاركوا عمر مكرم وتصدوا للحملة الفرنسية فنفى جدهم من هناك إلى ضواحى شبرا -وما إن رآه حتى نزل عن المنصة والتقاه وتأبطه بأجمل التحيات وصعدا معا وهتف المعلم فى الجماهير بحياة ابن الزبال رئيسا للجمهورية وأردف:

- إننى سعيد بكونى منافسا له وإذا لم أفز بالمنصب سأكون أسعد تحت رئاسته وإن طلبنى لأكون نائبا له أو حتى وزيرا فى حكومته سألبى من فورى (فكانت كلمات كافية لتثير فى الناس الحماس وبشريات الأمل ومرت دقائق والناس تهتف لها ثم جاءت رصاصات من بعيد جدا ونالت منهما وسقطا على الأرض واشتعلت الأروقة والميادين بثورة شعبية جارفة ونزلت القوات الخاصة إلى الميادين والتقى القضاة والضباط مقسمين بأعظم الأيمان أنهم ما كانت لهم يد أو علما فيما جرى وخلال سويعات تم إلقاء القبض على كثير من عملاء الدول الأجنبية الذين انتحر أغلبهم وسيق الآخرون للحبس العسكرى وتتالت الأخبار بموت الاستاذ ونجاة ابن الزبال فقد كان من نصيب المعلم خمس رصاصات وسادسة جرحته واخترقت كتف ابن الزبال الأيمن بجوار واحدة أخرى أتته مباشرة فى منتصف فخذه وأصرّ ضباط بمجلس إدارة الدولة على تأجيل الإنتخابات إلا أن جموع الشعب ومن خلفهم القضاة الجدد أصروا على إجراءها واجتمع من فوره مجلس الأمن القومى مع

مجلس إدارة الدولة ومجلس فتيا الدستور من شيوخ القضاة السابقين وقرروا إجراءها بذات الترتيبات رغم إعتراض الكثير وعدم حسم الجدل القانونى لتلك الحالة فقد اقترح البعض إجراءها بين أول أربع مترشحين من الجولة الأولى بعد القتيل ولكن غالبية الشعب رفض المقترح وتمت الإنتخابات كم كانت مقررة ولم يرفع اسم القتيل من ورقة الترشح وجاء الاستاذ الشهيد فى المركز الأول يليه ابن الزبال وأقرت المحكمة الدستورية العليا فى اجتماع عاجل ليلة ظهور النتيجة بحق الثانى بالرئاسة فتسلم السلطة فى الضحى الثالث من إعلانها الرسمى وإقرار المحكمة بذلك وموافقة جموع رؤساء النقابات وغالبية الأحزاب وفى يوم إستلام السلطة أقيمت للشهيد مراسم جنازة رئاسية سياسية وعسكرية ودفن بمدافن الرؤساء التى أنشئت من فترة قريبة فكان أول النازلين بها وتولى الحكم ابن الزبال رئيسا لمصر ورئيسا للهيئات القضائية والعسكرية والشرطية ...وأخذ على عاتقه إعادة الحياة للقطاع العام وشركات الدولة بإدارة عصرية مشتركة بين القطاع الشعبى الوطنى والقطاع العام واتحاد النقابات وعكف على إعطاء الفقراء نصيبهم فى ثروات الدولة بتخصيص أنصبة لهم فى مستخرجات الزراعة والتصنيع والإنتاج والتعدين ومن بعد ثورة مصر قامت فى كل العرب ثورة وأوقفت مزادات "نادى باريس للسلام والتنمية المستدامة " وانتهت كل خططها وكُكل وطنى بدأت ضده المؤامرات خارجية وداخلية واشتدت على مصر الكروب ولكنها كما كانت أبدا أقوى من كل الصعاب ..فخرجت منها جميعا وعادت عودها الحسن وإن كان داهمها طوفان من اللاجئين والمهاجرين خاصة من غربيها الشمالى والجنوبى فكان أغلبهم من عرب الهلايل والمساليت فصارت الشرق طريق عودتهم لجزيرة العرب بعدما ثارت فيها بحافل من عباد الحجر والبقر وتمكنوا من دولها التى أباحت لهم سابقا إقامة معابد سيخية ونصب أصنامهم حولهاواتخاذ الشرائع البوذية بديلا عن الإسلام من قبل مخاريش المسيار فلما داهم الكفر كعبة المسلمين حاول الحجازيون طردهم فرادى وجماعات فما استطاعوا فهتكت أعراض أميراتهم وصرن كبغايا الرب فى معابد بوذا حتى أتت إليها كعادة الزمان جنود مصر فأعادوا لها شرفها كما فعلت دوما ،وكانت درعها الواقى بالتكليف القرآنى واستقر أمر العرب بالقدرة والإرادة المصرية.

وأئتلف مجلس "الرهان" فى شمال المتوسط وأتوا بالأمير "حميد" الذى كان لديهم أسيرا وطالبوه بالإشتراك معهم فى مواجهة حكام الأمة الجدد بقيادة المصريين فجلس بينهم وهم وقوف وطالبهم بمليكهم ليستلم جزيرتهم منه كما كان الإتفاق فضحك كثيرا الجنرال ووبخه مبينا له سذاجة العرب فقد صدقوا أن الغرب عامة والإنجليز خاصة حقا صادقين وأخبره بمقولتهم الشهيرة :

- "الغرب دائما صادق ولا يكذب أبدا ويفى بوعده - ثم سكت برهة وأخفت صوته كثيرا ثم أُكمل ولكن فى لعبة الجولف فقط " وأن هذه كذبتهم على العالم أجمع فأنت إذا لعبت مع أحدهم لعبة الجولف ظلوا صادقين فيها مما بعدوا فى السير ولو بقوا منفردين ثم يقولون لك الحقيقة دائما فى ضرباتهم

ونقاطهم أما فى الواقع فليس هناك أكذب منهم ولا يفون بالعهد لأى أحد كان على وجه الأرض .فتبسم الأمير شاكرا على هذه النصيحة الغالية والتى لن ينساها:

– "إنكم أبناء الغرب صادقون دائما وأبدا توفون بوعودكم ولكن .."ولكن فى لعبة الجولف فقط " سأتذكر هذه المقولة دائما وأنا أحكم بلادكم ...وراح الجنرالات يشجعون كبيرهم المستضيف على قتله

فأرخى لهم خيوط التمهل حتى تظهر فى أرض العرب النبوءة المنتظرة وهذه النبوءة ألّفها كتبة التلمود أنه سيأتى يوم تقوم فيه إسرائيل الكبرى على أنقاض أرض العرب وإشارتها أن تولد هناك بقرة حمراء اللون من أعلاها لأسفلها وأنهم مازالوا يلقحون إناث بقرهم من كل حيوان حتى اقترب ميلاد تلكم البقرة وكانت أبحاثهم السرية تأخذ من كل حيوان ذكر لقحة يضعونها فى إناث بقرهم داخل مختبرات مخفاة عن العامة ووصلوا أخيرا لتركيبة جينية تتيح إنتاج بقر أحمر ولكن الشرط الوحيد الذى أعاقهم أنه لابد أن تكون كالنسب فيهم إذ أن اليهودى لا يكون يهوديا إلا إذا أتى من أم يهودية متسلسة لثلاثة عشرة جدة يهودية ولا يهم الأب المبذر من أى جنسية أو ملة وظلوا عشرات السنين يولّدون بقراتهم حتى تحقق ذلك وهم بإنتظار الحدث الأكبر لديهم فقد آن أوانه الآن ،وأخذ يذكرهم بتلك الشروط وأنها علامة حكم العالم سياسيا ودينيا فاستنكر عليه بعضهم الإبقاء على ذاك الأمير العربى مادامت مخططاتهم قد أنجزت فأملهم لآخر مخطط أن يدخلوا أرض الحرم والكعبة بأمير عربى مسلم ليثبطوا هم مسلمى العالم وهم كثر ويخشى منهم إن ثاروا قبل إستكمال السيطرة وأخبرهم أن ينتظروا ساعات أخرى فقد أرسل من يأتيه بالخبر

ثم داهمهم الداخل منبها ومستصرخا ...فوقف الجنرالات ...ثم أردفوا جميعا وهم فى صوت واحد:

- هل فعلها رجالنا فى أرض العرب و مصر ؟ .....

- هل جاءت الحمراء ؟وبدأت أساريره تتفتح واتجه للأمير :

- أرأيت كما قلت لك :الآن أنا أحكم جزيرة العرب ففاجأه المستصرخ

- لقد أتوا يا سيدى

-من ؟ سأل الجنرالات فى إنزعاج

- فرد :العرب

- العرب ؟ أين وأى عرب؟ تكلم سريعا

-يا سيدى إنهم عبروا البحر وأتوا ؟

- أتوا... من هم ،وعبروا البحر .....أى بحر؟وازدادت عروقه نفرة وأسود وجهه من شدة إحمرار الغضب وصاح به

- تكلم سريعا وبلا توقف

- يا سيدى العرب عبروا المتوسط وارتقوا البرانس والآن هم فى بحر المانش

- ماذا تهذى يا رجل ؟...هل شرب هذا الجندى من خمركم "سأل ضيوفه" ثم دخل عليهم قائد البحرية الأوربية وفى هدوء وبرود شديدين :

-أيها السادة لقد عبر كثير من شباب العرب ووصلوا أرض البرانس فذهل الجميع ووقف الأمير العربى وكبر مهللا:

- الله أكبر الله أكبر

- إضربهم بالقنابل .....بالفسفور الأبيض.....بالنووى "هكذا ردد جنرالا متقاعدا من قادتهم "

- يا سيدى الحشية كلها من المهاجرين الذين حبسناهم فى الجزيرة الميتة إنهم قادمون "خاطبه ضابطا فى الإستخبارات الإنجليزية دخل منذ برهة وراء السابق ....

"والجزيرة الميتة عبارة عن سفن ضخمة من الأسمنت كانت من أوائل السفن التى جابت البحار ولكنها سرعان ما فقدت المنافسة لصالح المراكب الخشبية والحديدية فاستقرت على شواطىء جزر القنال الإنجليزى وكانت تستخدم كمزارات سياحية فلما قرروا الإكتفاء من خطتهم بجلب المهاجرين لخدمتهم فى الأعمال المتدنية قرروا التخلص ممن لا تنطبق عليهم الشروط بحجزهم بتلك السفن كعبيد أمريكا الذين اختطفوهم من سبعمائة عام و صاروا غالبية سكان الأمريكتين فخشيت أوربا والإنجليز تحديدا من تكرار ذلك على أراضيهم،فقرروا سجنهم بتلك الجزيرة حتى يتخذوا قرارا بطريقة إعادتهم أو قتلهم" ولكنهم ثاروا ثورتهم الكبرى بعدما ضاعت أحلامهم فى أوربا وطن العدل والحرية ،واتضحت خسة هذه الشعوب وفكوا أغلال سجونهم وقتلوا حراسهم وهم الآن على أبواب لندن وباريس

- وازداد صياح الجنرال :إنكم تهذون جميعكم تهذون ثم صرخ في مساعديه بأن يأتوا بالمنتظر وبعيد قليل جاءه ووقف يلتقط أنفاسه فلم يمهله
- هل أتت الحمراء ؟
- فأومأ برأسه بأى نعم وحاول الإستدراك فتقطعت أنفاسه وطرب الجنرال وأخذ يرقص ويغنى
- جاءت الحمراء جاءت الحمراء فأوقفه صراخ الضابط :
- إنها ليست البقرة الحمراء يا سيدى فقد أتت سوداء قاتمة
- كيف ؟تعجب الجنرال فكل أبحاثهم وصورهم وتحاليلهم تثبت أنها حمراء اللون ...
- فماذا كنت تقول منذ قليل ألم تشر بإتيانها، فأردف له :
- إنها ليست بقرتنا الحمراء التى كنا ننتظرها
- فما هى إذن ؟
- ناقة حمراء يا سيدى !
- ناقة حمراء ؟ ازدادات دهشته
- هل كل أبحاثنا وتجاربنا لتأتى لنا ناقة حمراء ...أفهمنى كيف ذلك ؟

- يا سيدى ليست بقراتنا
- إذن ماذا ؟ فلم يعد لدى صبر
- لقد....لقد "ويستجمع آخر أنفاسه". لقد انتشر فى أرض مصر خبر مولد ناقة حمراء بصحراءها الجنوبية القادمة من جهة إفريقيا ومعها فرسة أنجبت حصانا أدهم فاقع اللون وظهر النسر المصرى المجنح بعد إنقراضه لسنوات وامتلأت بئر الحياة عند جبل الأساس بالمياه . ثم سقط الرجل من شدة التعب
- فأخذ الجنرال يردد كثيرا:
- ناقة حمراء وحصان أدهم ونسر مجنح فى أرض مصر ناقة حمراء وحصان أدهم ونسر مجنح فى أرض مصر ناقة حمراء وحصان أدهم ونسر مجنح فى أرض مصر .حتى ظن الحاضرون أنه جن ثم أخذ قبعته وراح يغادر وهنا قهقه الأمير العربى وخاطبه بصوت عال مرتفع :
- أيها الجنرال ، فتوقف ونظر له بعينين متلونتين بين سواد وإحمرار
- لا تنسى أن تأتى بمليكك ليقدم فروض الطاعة
- اقتلوا هذا ...اقتلوهم كلهم ولا تبقوا أحدا "أشار للحراس آمرا لهم"

وهنا إنقض جمع من العرب الحاضرين واستلوا السيوف المعلقة وقتلوا نفرا منهم قبل أن تتدخل عساكر الإنجليز وتقتلهم جميعا حتى الجنرالات الأوربيين.

وكانت أوربا قد اتخذت قرارين الأول يخص المهاجرين الأفروعرب الذين حاولوا جلبهم بخطة مخابراتية لتفريغ دولهم للسيطرة التامة على مواردها فلما خرج الأمر عن قدراتهم قرروا حبسهم فى جزيرة يطلقون عليها الجزيرة الميتة ببحر المانش بحجة تجهيزهم قبيل منحهم اللجوء فأخذوا أقل القليل منهم وأبعدوا الآخرين ووصل عدد المحبوسين لما يربوا عن عشرين ألفا لم يستطيعوا إعادتهم ،والقرار الثانى توجيه المهاجرين لساحل المتوسط الشرقى فى بيروت أو اللاذقية أو جزيرة العرب قليلة السكان وإعادة توطينهم هناك فكانت أية سفينة تحمل مهاجرين متجهين إلى أوربا يتم توجيهها إلى هذه الأماكن فلما قامت الثورة الجديدة فى مصر حدث أن خرجت فى يوم واحد مائة سفينة كل سفينة تحمل ٥٠٠ مهاجر فتصدت لهم البحرية الأوربية ووجهتهم إلى هناك ولكن استطاعت ما يقرب من ٢٠ سفينة عبور المتوسط ونزلوا الساحل الأوربى بينما وصل الآخرون إلى ساحل السلوم فعلم الرئيس المصرى الجديد بهم قبل قدومهم إذ فوجىء يوما وهو نائم بأن جاء إليه طائف الرئيس الشهيد وأشار له بالذهاب إلي بئر مريم فرأى كأنه ذهب فى حلمه ونظر فى البئر ووجد ورقة فلما فتحها وجد مكتوبا فيها :

لكم مائت قافلة سايرين بعجلة وعشر الليالى كاملة بنهار
ولابد من تأتى هلال بنى عامر من الغرب فى عدد غزار

فاستدعى من فوره وزراءه ومستشاريه وكان قد اختار فيهم محمد أحمد القناوى والد أحمد جود وزيرا للتعليم وبسادة أندراوس أبوهدرا رئيس المحققين السجين الذى أخرجه من سجنه فى الثورة الأخيرة وزيرا للعدل ثم عامرة جعفر أبوالفدا وزيرة للداخلية وهى الحاصلة على دكتوراة للعلوم الجنائية أسست فيها مقياس جديدا لمعاملة المتهمين طبقا لطبائع جرائمهم ، واللواء بدوى البدوى وزيرا للدفاع بعدما رقاه إستثنائيا والمستشار الشرقاوى رئيسا للمحكمة العليا للفتوى والتشريع واللواء مختار هريدى وزيرا للأمن الخاص وجاءوا من ساعتهم وأخبرهم الخبر فوقف ثلاثة من فورهم وهم من أهل الصعيد ويعرفون سر البئر فسردوا له سر البئر وتذكر يوما وقف مع الرئيس الشهيد وأعلمه بأنه سيقتل وأنه رأى ذلك فى عين البئر

- إنني لا محالة مقتول ولقد رأيتني أضرب بالنار واستشهد ،فعليك أن تكمل المهمة مصر أمانة بين أيديكم

وجلست عامرة وتحدثت عن أعاجيب البئر وأخبرته

-أن هذه الكلمات من قصيدة سعدى بنت الزناتى لأبى زيد الهلالى واستبدل فيها الشرق بالغرب.

فأخذهم فى الحال وذهبوا للبئر بعمق الصعيد ورآه مطموسا حتى منتصفه إلا قليلا من ماء ناشع يرتفع لمترين قبل سطحه فلما نظر نظرة رأى الشهيد وأخبره

-أن يترك السفن تعبر لشاطىء فلسطين ففيهم بنى هلال وأنّ آوان عودتهم قد أتى فابتعد عن البئر حيث كانوا جميعا واقفين فلم يتحرك أحد أو يتجه للبئر وإنما يستحثونه على إخبارهم سبب وجله ووجومه ونظر ثالثة فوجد كأن الشهيد معه فرقة جند يقف فوق سد مرتفع لألف متر فى مخرج النيل وقد ضربه ثلاث ضربات ضربة فى منتصف أعلاه بالسيف ذو الفقار ومن بعيد بسهم حورسى مجنح وثالثة على حوائطه بصليب مصرى ذهبى .فانهد السد وانهدت خلفه ثلاث سدود أخريات كمثله "ففهم الرئيس "فأعطى الإشارة للتنفيذ وأمر من وقتها بحفر البئر وإحاطتها وتشجير أسفل الجبل بالنخيل وشجرة البتول مريم فارتفع الماء من فوره ولاح فى الجو نسر عظيم زاهى الألوان لم يرى منذ مئات السنين وكان الناس يقولون

- أنه إذا إمتلأت البئر وجاء النسر فقد حضرت روح السابقين

وعلم المصريون فأقبلت جموعهم على شطى النيل واستبشرت وأعدت العدة ودعيت القوات الخاصة للتجهز وتركت السفن تمر وتجمزها ومونها بكثير من الزاد والذخائر فاتجهت فى ثلاث طرق بعضها نزل اللاذقية وأخريات بغزة أما المجموعة الثالثة فعبرت سيناء من قناة المرشرش إلى جزيرة العرب وكان قد أشار على أحمد جود عبر أبيه بالتوجه إلى جزيرة العرب وإستكمال هدم وتحطيم مدينة "نيو هوم "وتمثالها اللعين بعد خلاص مصر مما بها وقررت الدولة قبلها مساعدة الأمير "المهيوب" فى ثورته بالجزيرة فما كاد أحمد جود يعبر سيناء حتى ألفى القادمين فأخذهم وانضم لثورة خاله وصلصل بينهم صوت:

وأفنى أكابركم وكل رجالكم ***وأجعل دماكم على التراب مديد

وأخرج أبناء الحصرومية وطرد عباد الحجر والبقر من أرض الحجاز وجزيرة العرب. والتهب الآخرون بقتل أمثالهم من يهود الغجر الأوربيين فى فلسطين .

وفى أرض مصر أتت سحب بيضاء تمر بسماءها ليل صباح لمدة ثلاثة أيام وفى صباح الرابعة اختفت كل السحب وأشرقت شمس فضية ساطعة النور وفى جوها نسيم عليل وبليلها أضاء بدر السماء جبل المقطم وكان الناس يرون الأنوار قادمة تنزل بقدس الأهرام وتسير محلقة حتى تختفى بسفح المقطم وصبيحة اليوم التالى أرسلت السماء مطرها على جنوب البلاد فملأت أنهارها الثلاثة النيل ونهير بشرقه شق بصحراءها لتجميع مياه السيول والثالث بغربه لأخذ زيادة النيل من مفيض السد وما جلبته أنهار أفريقيا وهذا النيل الغربى بوادى كركر كانت له ثلاثة روافد :أولها الخارج من بحيرة ناصر ، وثانيها :من نبع الأرض ،وثالثها : قادم من خلف جبل العوينات عند مصب قديم اكتشف هناك كإمتدادا للبحيرة العظمى فى أفريقيا

وكأنما الزمان دار دورته وعاد سيرته الأولى فها هو نيل مصر ظهرت روافده كما كانت منذ قديم السنين وصدقت مقولة أهل التاريخ :

- "أن نيل مصر أحد أسرارها فهو قد تفرد عن غيره من أنهار الدنيا وكأنه كما قيل نابع من كوثر الجنة بل إنه أسر واستولى على كل نهر فى أفريقيا وأتى بهم جميعا إليه خاضعين.
- "وذات يوم وهم وقوف فوق رصيف السد أتاهم الآتى بظهور تابوت على صفحة مياه النيل وكان محلى بنقوش مصرية قديمة مذهبة إرتفاعه مترين فى متر طولا وعرضا على حوامل أربع من خشب الصندل فطلب فتحه وأخذ ما به فإذ بداخله لوح جرانيت مكتوب عليه قصة العجوز وتحمس وتحكى أنه خرج بقواه للصحراء يدربها ويستعرض قوتها ثم غلبه النعاس تحت نخلة مثمرة سقطت إحدى ثمارها عليه وهو نائم فأفاق من غفوته فإذا يفاجأ بوجه عجوز يحدق فيه عن قرب فانتفض قائلا له :
- من أنت ؟
- قال الرجل وسط تجاعيد وجهه الكثيفة : أنا من يعرف سرك وأنا مرسال الآلهة أُكشف لك مالا تعرفه ومالا يعرفه عنك البشر فصمت تحتمس ولم يعرف ماذا يقول ويتأمل العجوز وجه تحتمس قليلا ثم قال :
- إن مثلك لا يتكرر إلا كل بضعة قرون من الزمان لقد حبتك الآلهة فى ساحة القتال بقدرات مخلوقاتها جميعا وتسمر تحتمس فى مكانه بينما واصل الرجل حديثه وقد بدا وكأنه يردد ما يملى عليه :
- ستقطع المسافات كالخيل الرامحة وتجتاز الرمال كالجمال الهادرة وتعبر المياه كالأسماك السابحة وسيكون لك فى كل ذلك سرعة الطيور الجارحة ثم ابتسم العجوز مظهرا أسنانه الصدئة وخيل لتحتمس أنه يهزأ به وهو يقول :
- "أمّا فى داخل الدولة وبعد أيام المعارك وخارج الحروب فمثلك مثل جنودك البسطاء لا ميزة لك عليهم. فنهض ليمسك به ولكنه اختفى وكأنه وجه خرج من سراب الصحراء ثم اختفى بين الكثبان

الرملية ومع اللوح ورق بردى مكتوب فيه تعاليم أمنموبى الحكيم المصرى وكأنها من تراتيل النبى إدريس الذى بعثت بثره من قبل عند جبل الأساس فقرأ الرئيس منها

- احذر أن تسلب فقيرا بائسا وأن تكون شجاعا أمام رجل مهيض الجناح
- ولا تمدن يدك لتمس رجلا مسنا بسوء
- ولا تضرن رجلا بجرة قلم على بردية لأن ذلك يمقته الله .
- وإذا وجدت فقيرا عليه دين كبير فقسمه ثلاثة أقسام سامحه فى اثنتين وأبق واحدا وستجد ذلك سبيلا للحياة وستضطجع بالليل وتنام نوما عميقا وفى اليوم التالى ستجد أنها أخبار سارة على ألسنة الناس .
- لا تتلاعب بكفتى الميزان ولا تطففن الموازين ولا تنقص من أجزاء مكاييل الغلال ولا تزيد فى مكاييل الحقل ثم تهمل مكاييل الخزانة.
- لا تصنع لنفسك موازين منقوصة فإذا رأيت إنسانا يغش وجب عليك أن تأمر بإبعاده .

ثم جاءه خبر ظهور تابوت ثانى على شاطىء القناطر الخيرية ووجد به سيف ذو الفقار ورقع جلدية عليها الآية الكريمة :

- "وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين "بها وصف لأشهر أشجار مصر المثمرة وكيفية زراعتها وتوقيتها وآخر رقعة فيها نص الحديث الشريف:
- "سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة "وهى عبارة عن مخطوط يحتوى رسم مفصل لمنابع النيل المصرى "ومعها رسالة الخليفة عمر بن الخطاب إلى النيل والتى قال فيها :
- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ من عبد الله أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر أما بعد فإن كنت إنما تجرى من قبلك فلا تجر وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك

وما كادوا يفيقوا من الأقدار حتى عثر جمع من جموع العائدين للجزيرة على قبر دلدل ويقربها أجزاء من آخر كسوة مصرية زينت بها الكعبة وكانت غطاء بابها وطوق الحجر الأسعد وصرة أموال من الذهب الخالص ووثيقة أمر من حاكم الديار المصرية إلى تابعه على الحجاز وكان محتواها يتضمن:

- "يا بنى العزيز إن طوائف العربان لا تخضع لغير الحاكم القوى وليس للمرونة أى تأثير عليهم ليس لنا ما نقوله على الأشراف الكرام ولكنهم عاجزون فى الأخذ عاجزون فى العطاء ولا يمكنهم والحالة هذه أن يقوموا بأعباء الحكم حسب مقتضيات الوقت" ثم فى نهايتها أمر بالقبض على من أفسد من ساكنى هجير المسيار وإرسالهم مكبلين إلى القاهرة .

ودلدل هى البغلة المصرية التى أهداها المقوقس حاكم أرض النيل إلى النبى محمد وتحدثت السير أنها عاشت إلى زمن معاوية وخاضت عدة غزوات مع المسلمين الأوائل حتى اتخذها "الإمام على" راحلة له فلما تجمعت كل تلكم

العلامات والدلالات أعطى كل جزء لذوى الإختصاص وقرر الثائرون ببلاد العرب إقامة مدينة جديدة بعدما هدمت أدرعة الحصرومية وهجيرها

وفى مصر أودع ذو الفقار بجوار عمة الرسول وحذاءه بالمتحف الإسلامى وافتتحت من جديد دار الكسوة لطباعة المصحف الشريف ونسج الكسوة وسجاجيد الصلاة من قطن وكتان مصريين وأقيم بها متحفا لمتعلقات الكعبة من الأزمان المصرية ،وقسمت تراتيل إدريس بين وزارتى العدل والمالية ولوح الجرانيت أخذ لقصر الرئاسة ووضع خطاب ابن الخطاب فى غلاف فضى بالروضة النهرية.

وأما الرقع والمخطوطات فأودعت بالجامعة الأم بعدما تطهرت من أدرانها وعادت لعلمائها الأفاضل وأساتذتها النجباء وأخرج منها كل جاهل متطفل وفاضت بشباب الباحثين وبدأت فى الحياة مسيرة جديدة .

****

-انتهت ، وتمت -

وأترك لك أخى القارىء - فى أى زمن - تصور فصول أخرى تكتبها فى الوريقات القادمة وإن كنت بعدى بكثير فاسرد فيها وقائع ما قد كان وتم حتى الوقت الذى تعيشه فربما أحلام المرؤ تجافى الواقع أو ربما يأتى الواقع بأحلى من أحلامنا .